

الشوقيات

المجت هولة

آثار شوقي

التي لم يسبق كشفها أو نشرها
دراسات وأضواء جديدة على حياة الشاعر وعصره وأدبه

الجزء الأول

١٨٨٨ - ١٩٠٣

بقلم
الدكتور محمد صبري



دار المسيرة

بيروت

جميع الحقوق محفوظة
طبعة ثانية منقحة

١٩٩٩ مجرّة

١٩٧٩ ميلاديّة

تنبيه

لست بحاجة إلى القول إن الكتاب الذى أتقدم به بحث لى تاريخى ، يستند ككل بحث إلى قدرة الكاتب فى حسن العرض والاختيار وبناء الموضوع . ومعلوم أن الطريقة التاريخية الحديثة تمتاز بتخصيص الوقائع ونشر الوثائق والتعليق عليها . هذا هو لب لباب التاريخ ، يستوى فى ذلك تاريخ الحوادث وتاريخ الأدب .

وقد وجدنا لشوق أكثر من مائة وثلاثين قصيدة ، أو حوالى ٤٠٠ بيت من الشعر ، وذلك بخلاف حوالى ١٠٠٠ بيت من المقطوعات والأبيات المتفرقة ، وبخلاف حوالى ستين مقالة أو قطعة نثرية ، وكل هذا لم يسبق نشره فى دواوين شوقي ومؤلفاته التى طبعت فى أثناء حياته وبعد مماته . وبعبارة أخرى لقد وجدنا كل ذلك التراث بعد ما أفرغت أسرته كل ما فى جرابها ونشرته ، فقد طبع الجزء الرابع والأخير من ديوانه فى سنة ١٩٤٣ ، أى من نحو عشرين عاما . ولولا أن الله قد وقفنا إلى العثر على ذلك الكثر لظل جزء كبير من شعر شوقي دفيناً إلى الأبد ، خصوصاً وأن الكثير من قصائده ومقطوعاته كان ينشر فى الصحف بلا إمضاء أو بإمضاء مستعار ، وقد كشفنا عن هذا الشعر الأخير المستتر ، كما كشفنا عن الشعر الذى كان مطويًا فى بطون الصحف والمجلات القديمة . ولا شك أن السبق إلى نشر هذه الوثائق المجهولة أو المطمورة حق من حقوق التأليف ، أى أنه لا يجوز • قانوناً ولا عرفاً إعادة نشر شيء منها إلا فى حدود معينة ، وبعد استئذان المؤلف والإشارة إلى المصدر ، وذلك تطبيقاً لقواعد الأمانة العلمية التى هى الدعامات الأولى لصيانة حقوق التأليف والمؤلفين ، ومنع السطو على جهود الغير ، هذا السطو الذى أصبح لا يتورع عنه جهارا وبلا استحياء نفر من الناشرين والكتاب .

إننا لا ندعى العصمة فى كل ما نسبناه لشوقي من شعر مجهول النسب ، ولكن فى استطاعتنا أن نؤكد ، إذا كان هناك خطأ ، أن نسبة الخطأ لا تتجاوز قصائد أو مقطوعات معدودات . ومثل هذا الخطأ يحدث فى نسبة الصور لأصحابها فى المتاحف الكبرى ، وقد يصحح النسب أحيانا بعد سنوات ، وأحيانا بعد قرون ، لأن الأمر اجتهدى بحث ، والمهم أن المجتهدين من أهل الخبرة والفق كان لهم الفضل فى إغناء المتاحف بعدد كبير من الصور القيمة التى كانت مجهولة النسب لأن اجتهدهم كان يستند إلى علم وخبرة .

وعلى أية حال لا مرء في أنت مهمة جبراء الفن كانت عسيرة ، لأن الصور القديمة مضت عليها قرون على الرغم من أنها تحمل توقيع اصحابها أحيانا كان يحيط بها الشك ، لبراعة المقلدين وتنبأه الملاح أحيانا وحبينا أننا وجدنا قصائد جليلة لشوقي صحيحة النسب مائة في المائة ، ظهرت في الصحف في صور مختلفة حتى سنة وفاته ، ولكنها لم تنشر في الديوان . أما القصائد والأبيات التي تحمل إمضاءات مستعارة لشوقي ، فبعض هذه الإمضاءات قد تنكشف لنا مع الزمن (كالنديم) و (سائح) و (شن) ، والبعض الآخر تم عليه أنفاس شوقي . وهذا الشعر على أية حال محصور في طبقة من الشعراء المبرزين أمثال حافظ إبراهيم ، وإسماعيل مجرى ، و خليل مطران ، وقد نشرت دواوين أولئك الشعراء كاملة ، وبذلك انحصر الشك في أضيق حدوده ، خصوصا وأن بعض المعاصرين النفاة رفعوا الشك عن بعض الشعر المجهول النسب مما سنفصله . وقد كنت شخصا من معاصري النهضة الشعرية الكبرى ، التي حمل لواحقها شوقي ، ولم أكن غريبا عنها . لذلك أقدم بهذا الكتاب وكل يميني أدب واجبا في عني بحر الأدب .

مقدمة

أضواء على حياة الشاعر وأدبه المنشأة الدراسية

أصدر أحمد عبد الوهاب أبو العز سكرتير شوقي كتيباً عنوانه (إثنا عشر عاماً في صحبة أمير الشعراء) جاء فيه في صفحة ٧٣ :

ولد أمير الشعراء سنة ١٨٦٨	سافر إلى أوروبا للتمتع الدراسة سنة ١٨٨٧
ودخل مكتب الشيخ صالح سنة ١٨٧٣	وعاد إلى مصر سنة ١٨٩١
تخرج من المدرسة الخديوية سنة ١٨٨٣	ونفى إلى أسبانيا سنة ١٩١٥
ودخل مدرسة الحقوق	وعاد إلى مصر وأختر سنة ١٩١٩

لا شك أن فترة الدراسة في أوروبا من أهم الفترات في حياة الشاعر ، وكان لها نتائج بالغة في جميع أطوارها . وتاريخها هنا خطأ (١٨٨٧ - ١٨٩١) وصححه (١٨٩١ - ١٨٩٣) . ولعل منشأ ذلك الخطأ العُجاب كله أو بعضه ما كتبه شوقي في مقدمة الشوقيات (طبعة سنة ٩٨) . قال : " دخلت مكتب الشيخ صالح وأنا في الرابعة . . ثم انتقلت منه إلى المهديان فالتجهيزية فكنت التلميذ الثاني لهذه المدرسة وأنا في الخامسة عشرة . . ثم رأى أبي أن أدرس القوانين والشرائع فدخلت مدرسة الحقوق . . فدرست الحقوق سنتين ثم أرادت الحكومة أن ينشأ بمدرسة الحقوق قسم للترجمة فنصح لي الوكيل أن أدخل هذا القسم ففعلت وأقيمت به سنتين ثم منحتني نظارة المعارف الشهادة النهائية في فن الترجمة " .

يُفهم مما تقدم أن شوقي دخل مكتب الشيخ صالح سنة ١٨٧٣ (في سن الرابعة) وأنه خرج من المدرسة الخديوية ودخل مدرسة الحقوق في سنة ١٨٨٣ (في الخامسة عشرة) . قضى بعد ذلك أربع سنوات اثنتين في الحقوق واثنتين في قسم الترجمة فيها فيكون انتهائه من الدراسة في مصر في سنة ١٨٨٧ . بناء على ذلك يكون سفره إلى أوروبا في أواخر سنة ١٨٨٧

أوفى بحر سنة ١٨٨٨ على الأكثر وتكون عودته إلى الوطن بعد دراسة ثلاثة أعوام في مونبليه وباريز حوالى سنة ١٨٩١ . وفى هذا تأييد للتواريخ التى أثبتتها سكرتير شوقي فى كتابه .

والذى لاشك فيه أن شوقي التحق بمدرسة الحقوق فى سنة ١٨٨٥ . وهذه النقطة يحلوها ويؤكدها أحمد زكى باشا فى مقال له بعنوان (ذكريات عن شوقي)^(١) ، وكان زميلا له فى الدراسة : " فلترجع إذن إلى سنة ١٨٨٢ وهى التى تشرفت فيها بدخولى الفرقة الرابعة (أى السنة الأولى بالاصطلاح الحديث) بمدرسة الإدارة التى صححوها (فى سنة ١٨٨٦) اسمها المغلوط ، فجعلوه مدرسة الحقوق (وهو اسم مغلوط أيضا ، ولذلك بيان ليس هنا محله) . كانت المدرسة قد انتقلت من مقرها القديم فى سراى مصطفى باشا فاضل (بدرب الجماز) إلى دار البدرأوى الباقية إلى اليوم بشارع سوق الزلط (من قسم باب الشرية) على مقربة من دار آل العروسى الذين آلت إلى أحدهم مشيخة الأزهر . وفى العام التالى أقبل فوج جديد من التلاميذ للولوج معنا ، وفى الذى بعده جاء فريق آخر ، وكان فى جملة الوافدين سنة ١٨٨٥ قى نجيف نجيل ، هنريل ضئيل ، قصير القامة ، وسم الطلعة (تقريبا) بميون متألقة (تحفيقا) ولكنها متقلبة (كثيرا) . فإذا نظر إلى الأرض دقيقة واحدة فلساء منه دقائق . هذه صورة مصغرة لأحمد شوقي ، عند أول عهدي به فى حياة المدرسة .

على أن زكى باشا سينا قص نفسه بنفسه حين يقول بعد الفصل المتقدم من ذكرياته : " كان المرحوم الشيخ محمد البسيونى البيبانى من علماء الأزهر المحدثين ، وكان يدرس لنا فنون البلاغة ، أما خارج المدرسة فكان بالهار متخصصا بنظم القصائد فى مدح الخديوى توفيق كلما حل موسم ، أو أطل عيد ، وما لبث أن رأى فى تلميذه شوقي بوا كبر العبقريّة وبوادر المواهب الربانية فأنشأ الأستاذ يعرض قصائده على تلميذه قبل أن يرسلها إلى المعية السنية ، فإلى جريدة (الوقائع المصرية) وغيرها من الصحف ، وكان شوقي ببساطة التلميذ الناشئ ، يشير بحو هذه الكلمة ، وتصحيح تلك القافية ، وحذف هذا البيت ، وتعديل ذاك الشطر ، والأستاذ يفتبط بقوله ، ويتزل عند رأيه . وأحسن ما أذكره لأستاذى البسيونى أنه كان يتحدث بذلك إلينا وإلى الفرق المتقدمة علينا دون أن تأخذه العزة بالإثم . على أن الأستاذ البسيونى تحدث بهذا النبوغ الباكى إلى صاحب العرش وأفهمه أن بين أبواب الصغنى أحمد شوقي براءة نادرة وذكاء رائع ، وأنه خليف برعايته العالية ، فكانت

(١) انظر كتاب (ذكرى الشاعرين) لناشره الأستاذ أحمد عيد . دمشق ١٩٥١ (من ص ٢٢٤ إلى ٢٣٨) .

هذه الشهادة من أكبر الأسباب التي حفزت الخديوى فى سنة ١٨٨٧ إلى إرسال شوقى على نفقته الخاصة لإتمام الدراسة العلمية فى باريس ، ولتغذية مواهبه الفريزية بما يراه فى الغرب من روائع . عاد شوقى إلى مصر اظ ” .

لا يتفق أن يكون التحاق شوقى بمدرسة الحقوق فى سنة ١٨٨٥ وتخرجه فيها بعد سنتين فقط (٨٧) والسفر إلى باريس (وبعبارة أدق إلى فرنسا) مع أن مدة الدراسة فى الحقوق والترجمة معا كانت أربعة أعوام . كما أن توظيف شوقى بالمعية حدث بعد ماضى شهرين على تخرجه (والعام الدراسى فى مصر من أكتوبر إلى يولية) وأن سفره إلى فرنسا كان بعد ماضى حوالى سنة على توظيفه ، وإليك البيان :

نشرت (الوقائع المصرية) فى عدد ٧ أبريل سنة ١٨٨٨ أول قصيدة لشوقى قالت :
« جاءتنا هذه القصيدة من قلم حضرة الشاب النقيب أحمد افندى شوقى من قسم الترجمة بمدرسة الحقوق الخديوية فى رثاء المغفور له البرنس حسن باشا » :

دع المحمد يبكى بدمه وعماده فقد كاد هذا الخطب يصمى فؤاده
والقصيدة — وهى ثلاثون بيتا — منشورة فى الجزء الأول من الشوقيات ، طبعة قديمة ، فى صفحة ١٣٨ .

وفى عدد ١٣ مايو سنة ١٨٨٨ نشرت (الوقائع) قصيدة غراء من الشاب النقيب أحمد افندى شوقى ينهى الجنب الخديوى بإقبال شهر الصوم .
إن لام صادى السلو العين تأريفا فطالما ألف الأحداق والريقا
وهى تسعة وخمسون بيتا . وقد أسقطها شوقى ولم ينشرها فى ديوانه لركاكتها .

وفى عدد ٣ يونيه سنة ١٨٨٩ نشرت (الوقائع) قصيدة من قلم حضرة الشاب النقيب الشاعر المحمد أحمد افندى شوقى تهنئة بعيد الفطر المبارك .
هل للشير إلى حمالك طريق فاليسوم هن بك اللواء فريق
وهى ثلاثون بيتا . منشورة فى الجزء الأول ، طبعة قديمة ، فى صفحة ٩١ .

• كان انتهاء شوقى من الدراسة فى يولية سنة ١٨٨٩ . ويقول هو عن توظيفه ثم سفره إلى أوروبا فى مقدمة الديوان بعد أن ذكر أن نظارة المعارف منحتة الشهادة النهائية فى فن الترجمة (دون إشارة إلى التاريخ كالمعتاد) « وبينما أنا أتردد على المغفور له على باشا مبارك ورد عليه مرسوم من المعية السنية يطلب إلىها . . ولما مثلت بين يدى الخديوى توفيقى باشا

ولم أكن راية من قبل ولكن مدعته سرورا وأنا في المدرسة خاطبني بهذا اللفظ الشريف :
« قرأت يا شوق في الجريدة الرسمية أنك أعطيت الشهادة النهائية وكنت أنتظر ذلك لألحقك
بمعنى لكن ليس بها الآن حل خالي فهل لك في الانتظار ». ثم قال : « سمعت أن أباك عطل
من الخدمة فبلغه أني ربما أدخلته في عمل قبلك ». فلبثت في المعية بضعة شهور أنتظر
فوجأ يأتي به الله (وذات يوم) كنت أجتاز ميدان مابدين فاعترضني رسول من
الأمير يدعوني إليه فوافيت حضرته وأنا لا أعرف السبب وكان معه ساعته المرحوم
عبد الرحمن باشا رشدي (سر تشرقي الخديوي) فالتفت الباشا عندئذ إلى وقال
الآن أمرني أفندينا أن أبلغك تعيين أهلك مفتشا في الخلاصة الخديوية وأما أنت فتعين بعد
شهر ثم لم يحل علي حول في الخدمة الشريفة حتى رأى لي الخديوي أن أبلغ التسايب
في أوربا »

من الحق أن تعيين شوق في المعية تم في فبراير سنة ١٨٩٠ إذ نشرت (الوقائع) في عدد
٣ مارس سنة ١٨٩٠ قصيدة « من قلم حضرة الشاعر المجيد أحمد انندي شوق الذي وظف
حديثا في قلم السكرتارية الخديوية » .

نفديك من ملك في قلمي البيان فكم لذاتك من حسن وإحسان
والقصيدة منشورة في الديوان القديم في صفحة ١٣٢ . وقد أسقط الشاعر منها أبيتا كثيرة
كما أدخل تبديلات في الصياغة . فلتا بقل كلمة نفديك بجيت . ونفديك أحلى . ورواية
البيت التالي وردت في الديوان :

ياموردا (لندي سهلا) للتمس ومنهلا (لني) عذبا لظمان
وكانت في الأصل (رواية الوقائع) :

ياموردا (لني دان) للتمس ومنهلا (لندي) عذبا لظمان
والرواية القديمة أحلى . وإن كان الذي حل شوق على هذا التغير الأخير هو رفع كلمة (دان)
وحذفها أن تنصب . وقد نشرت مع هذه القصيدة في (وقائع) ٣ مارس سنة ٩٠ قصيدة
« من قلم العلامة الشيخ محمد البسيوني البياني إمام الحضرة الخديوية » .

ونشرت الوقائع في عدد ٢١ أبريل سنة ١٨٩٠ قصيدة غراء من قلم حضرة أحمد
انندي شوق أحد موظفي السكرتارية الخديوية :

هذا العنيز وذلك باب نواله تبختر السماء تحت ظلاله
وهي منشورة في صفحة ١٠٤ من الديوان القديم .

وفي عدد ٢٤ مايو سنة ١٨٩٠ نشرت الوقائع قصيدة « من قلم حضرة الشاب النجيب الشاعر المجيد أحمد أفندي شوقي أحد موظفي السكرتارية الخديوية » :

خل المطايا ونجم السعد هاديا .
يزيدها من حديث الجود حاديا

وهي منشورة في الديوان القديم في صفحة ١٣٠ .

وفي عدد ٢٨ يونية سنة ١٨٩٠ نشرت (الوقائع) قصيدة لأحمد شوقي « أحد موظفي السكرتارية الخديوية » .

حدثت قلبي بالسلو فسقته
وصبا إلى ذكر الحبيب فسقته

وهي منشورة في الديوان القديم في صفحة ٦٠ .

وفي عدد ٢ أغسطس سنة ١٨٩٠ نشرت (الوقائع) قصيدة وردت « من حضرة الكاتب البلغ أحمد أفندي شوقي أحد موظفي السكرتارية الخديوية » .

لك مصر يحرق تحت عرشك نيلها
ولك البلاد عريضها وطولها

وهي منشورة في الديوان القديم في صفحة ٩٨ . وقد أشار إليها داود بركات في ذكرياته (انظر العدد الخاص من أيلول . ديسمبر ١٩٣٢) قال : « وكان أحمد شوقي بك يسكن داره

في حي الحسني . والشيخ زكي سند مؤسس « جماعة مكارم الأخلاق » يسكن في حارة السقاين . وكنت أسكن في ذلك الحى . فكا متجاوزين وكنا في كل صباح نلتقي في الطريق فيذهب شوقي إلى سراى عابدين والشيخ زكي إلى مدرسة اليسوعيين وأذهب أنا إلى إدارة جريدة المحروسة . فكان الكثيرون من الأزهريين الذين لا يصدقون أن نحرينا من نحر يحيى مدارس فرنسا كأحمد شوقي يستطيع قرض ذلك الشعر الراق كقصيدته في الخديوى توفيق :

لك مصر يحرق تحت عرشك نيلها
ولك البلاد عريضها وطولها

وكقصيدته في مؤتمر جنيف :

هت الفلك واحتواها الماء
وحداها بمن تفصل الرجاء

وكلتا القصيدتين كان الطلبة يحفظونها . فكانوا يقولون : « إن الشيخ زكي سند صديقه هو

الذى يساعده في نظم هذه القصائد » . وقد أخطأ داود بركات في قوله إن القصيدة الأولى نظمت بعد عودة شوقي من فرنسا . والواقع أنها نظمت قبل سفره إليها .

وفي عدد ١٦ أغسطس سنة ١٨٩٠ كتبت (الوقائع) : « وأرخ حضرة الكاتب

البلغ والشاعر المجيد أحمد أفندي شوقي أحد موظفي السكرتارية الخديوية العام المعجى الجديد بتاريخين جليلين ثم أمتدح الجناح العالى بقصيدة غراء » :

مضى وليس به حمارك
لكن يخف إذا رآك

وفي عدد ٣١ ديسمبر سنة ١٨٩٠ نشرت (الوقائع) قصيدة لأحمد أفندي شوقي « من موطنى السكرتارية الخديوية » تهنته بإقبال العام الميلادى الجديد :

العام أقبل يا عزيز بشره وعليه من عليك أهبج رونق
مما تقدم بين أن شوقي ظل لغاية آخر سنة ١٨٩٠ فى مصر . ولا ريب أن سفره
إلى فرنسا كان فى أوائل يناير سنة ١٨٩١ : ففى ٤ يناير (٩١) قام الخديوى توفيق برحلة
إلى الصعيد ولم يعد إلى العاصمة منها إلا فى ٨ فبراير . وفى ٢٨ فبراير سنة ١٨٩١ كتبت
(الوقائع المصرية) تقول : « وردت إلينا هذه القصيدة الرائقة من قلم حضرة الشاعر المجيد
أحمد أفندي شوقي أحد موطنى السكرتارية الخديوية نزىل باريس الآن تهنته للجناب
الخديوى بعوده من سياحته فى الوجه القبلى وبعود عيد مولده (١٩ فبراير) :

من له فى الملوك ذاك البناء يتهادى على ذراه اللواء
وهذه القصيدة منشورة فى الديوان القديم فى صفحة ٥٥ . وهى جيدة النسيج ولكن
بسيها أنها مدح فى توفيق ودم فى العربيين مما سنيته فيها بعد .

سافر شوقي إذن للدراسة فى فرنسا فى أوائل يناير سنة ١٨٩١ ولكن هل ذهب إلى باريس
أولا كما قالت المصحف أو إلى مونبلييه فى الجنوب ؟

الجواب على ذلك ما أكده شوقي نفسه إذ قال : « فركبت البحر لأول مرة أوم
مرسيليا فلما قدمتها وجدت مدير الإرسالية فى انتظارى فأخبرنى أن الأمير أمر بأن أقضى
عامين فى مدينة مونبلييه وآخرين فى باريس . وكان المدير قادما من مونبلييه للقاءى فعاد بى
إليها حل الفور وأدخلنى فى مدرسة الحقوق الجامعة ثم رجع إلى العاصمة » .

قضى شوقي السنة الدراسية الأولى التى تنتهى فى يونية سنة ١٨٩١ فى مونبلييه ثم التحس
من ولى النم « الإذن له فى الأوبة إلى مصر لقضاء زمن العطل » فرأى الخديوى — ولعل
صاحب رأى هو عبد الرحمن باشا رشدى — أن يبقى شوقي « أربع سنوات كاملة فى أوروبا
وأن لا يضيع منها دقيقة واحدة » فذهب شاعرنا مع رفقائه من الفرنسيين لزيارة مدن
الجنوب المتفرقة وهناك شاهد معالم الحضارة فى أقاصى القرى وآثارا لدولة الرومان . قال شوقي :
« وبالجملة كانت هذه القل من أجل ثم الله على » إشارة إلى رحلته فى الجنوب فى صيف
سنة ١٨٩١ ثم انتقل بفترة إلى قوله : « ثم ما كدت انتهى من السنة الثانية حتى كتب إلى مدير
الرسالة المصرية يستقدمنى لباريز ويخبرنى أنه ذاهب بتلاميذه إلى انكلترا للسياحة ... فبرحت
مونبلييه على عجل أيم باريز للمرة الأولى فأقمت بها يومين ثم سافرنا إلى عاصمة انكلترا فلبثنا فيها

نحو شهر ٠٠٠ لكنا لم نلبث أن سئمتها فخرجنا إلى بعض المدائن على بحر الشمال ٠٠ فلما كانت السنة الثالثة وهي الأولى في باريز أصبت بمرض شديد كنت فيه بين الحياة والموت . وعندئذ أشار على الأطباء بالسفر إلى الجزائر ٠٠ أقمت بالجزائر أربعين يوما أو تزيد ثم قفلت إلى باريز وهناك تمت لي السنة الثالثة في الحقوق وحصلت على الشهادة النهائية فيها فرأى لي الجنب العالى أن أفضى في العاصمة ستة شهور أخرى أتمكن خلالها من معرفة أشياء باريز وأهلها .

ولكن ما قاله شوقي يحتاج إلى بيان : بعد تنقله بين مدائن الجنوب عاد شاعرنا إلى مونتيليه حيث قضى السنة الدراسية الثانية (أكتوبر ١٨٩١ - يونيو ١٨٩٢) ثم ذهب إلى باريز ومنها إلى انكلترا وعاد إلى العاصمة الفرنسية في أواخر يوليو أو في أوائل أغسطس سنة ٩٢ . وفي هذه الآونة تعرف بالأمير شكيب أرسلان . وقد وصف شكيب هذا اللقاء في كتابه « شوقي أو صداقة أربعين سنة » . ولكن يجب أن نقرر أولا أن الأمير كان مراسلا للأهرام في الاستانة وأوروبا وأنه يتضح مما كتبه في الأهرام في رسائله العديدة أنه وصل مرسيلا ، آتيا من الاستانة ، في ٢٤ يونيو سنة ١٨٩٢ . وبقى في مرسيلا لغاية ٣ يولية . وفي ٤ يولية كان في باريز حيث بقي لغاية ١٦ سبتمبر ثم عاد إلى مرسيلا فالاستانة هربا من الكوليرا التي كانت متفشية في باريز . ولا شك أن المرض الذي أصاب شوقي في مستهل السنة الثالثة (الدراسية) أى في أكتوبر سنة ٩٢ والذي كان يهدد حياته واضطره إلى الرحيل إلى الجزائر هو مرض الكوليرا وما إليه .

قال الأمير شكيب في صفحة ١٠ من كتابه تحت عنوان (اجتماعنا الأول في باريس) ما يأتى : « وبقيت لا أعرف شوقي معرفة شخصية إلى سنة ١٨٩٢ إذ ذهبت من الاستانة إلى فرنسا فاصلدا السياحة وكان أحمد شوقي يدرس علم الحقوق في مونتيليه وفي أثناء العطلة المدرسية جاء إلى باريس ومعه رفيق اسمه دلاور فبينما نحن في الحى اللاتيني إذ جمعنا الأقدار ولكن لم نجتمع حتى صرنا كأخوين وخذونا نجتمع كل يوم مرة بل مرتين . وأكثر تلاقينا كان في مقهى داركور ٠٠٠ ومن غريب الاتفاق أننا في سنة ١٩٢٦ تلاقينا أنا وشوقي رحمه الله في باريس في هذا المقهى نفسه .

وفي أثناء لقائنا الأول كنا نتذاكر حول أمور كثيرة ولكن أهم حديث كنا نخوض فيه هو الشعر . وكان مع شوقي ديوان المتنبي وكان يحفظ منه ولا شك أنه انطبع عليه .

والآن نستعرض ما كتبه شوقي في أثناء الدراسة حتى عودته التي سنحلدها بالدقة .

بعد قصيدة ٢٨ فبراير سنة ١٨٩١ التي قيل إن ناظمها « نزيل باريس الآن » نشرت
(الوقائع) في عدد ١٥ أبريل سنة ١٨٩١ قصيدته المنشورة في الديوان القديم في صفحة ١٣٠
ومطلعها :

يا حسنه بين الحسنات في شكله إن قيل بان
وفي عدد ١٣ مايو سنة ١٨٩١ من (الوقائع) قصيدة لشوق تجدها في الديوان القديم
في صفحة ٧٣ وفي باب السلب من الجزء الثاني صفحة ١٧٣ :
فصر الأهزة ما أمر حاكها وأجل في العلياء بدر سماكا
وفي عدد أول يولية سنة ١٨٩٢ نشرت (الوقائع) تهنئة توفيق باشا بعودة نجليه
من أوروبا .

لاوالكتاب وقمة العرب مالي سواك ينيلني أربي
وهي منشورة في الديوان القديم صفحة ٥٩ .
وفي عدد ٢٠ يولية سنة ١٨٩١ نشرت (الوقائع) قصيدة تجدها في ديوانه القديم
صفحة ٦٢ :

لى الله ما أخرى الغرام يمجتي وأهدى لأقمار المنازل مقلتي
وفي القصيدة تعريض بالثورة العربية .



وفي عدد أول فبراير سنة ١٨٩٢ نشرت (الوقائع) قصيدة مطلعها :
بين ماخبي الأنبي وآتى المناء قام حذر النعاه والبشراء
وهي رثاء توفيق (صفحة ١٣٤ من الطبعة القديمة) . قالت الصحيفة خطأ إنها من
أحمد أفندي شوق « نزيل باريس الآن » .

وفي عدد ٣٠ أبريل سنة ٩٢ نشرت (الأهرام) تهنئة بالعيد والفرمان السعيد بقلم
« الشاعر المجيد أحمد أفندي شوق نزيل فرنسا حالا » :

إن الوشاة وإن لم أحصهم عددا تعلموا الكيد من عيئك والفندا
والقصيدة في ديوانه القديم في صفحة ٦٤ . وهي أولى قصائده الرائعة .

وفي عدد ٢٥ مايو سنة ١٨٩٢ نشرت (الأهرام) قصيدة لحضرة « الأديب الفاضل
أحمد شوقي أفندي نزيل فرنسا بتهنئة الاسكندرية بشريف الخديوى » :
يفتر عن بشرك نثر البلاد وأنت منها في صميم الفؤاد

وهي منشورة في الديوان القديم في صفحة ٦٧ . وأبيات النسب في الجزء الثاني
صفحة ١٤٨ .

وفي عدد ٩ يولية سنة ١٨٩٢ ، نشرت (الوقائع) لأحمد افندي شوقي « نزيل الديار
الفرنساوية الآن » قصيدة مطلعها :

دع عنك ما صاغ الوشاة وزخرفوا واسمع لحسبك إنسه بي أعرف
وهي منشورة في صفحة ٨٨ من الطبعة القديمة .

وفي عدد ١٢ سبتمبر سنة ١٨٩٢ نشرت (الوقائع) لأحمد شوقي « المقيم الآن في ديار
فرنسا » قصيدة مطلعها :

لمن الباب عاليا ومؤمل يمثل الدهر في نراه المقبل
وهي منشورة في صفحة ١٠١ من الطبعة القديمة .

وفي عدد ٢٩ أكتوبر سنة ١٨٩٢ نشرت له الوقائع قصيدة مطلعها :
نصبن لنا في مسرح الحلق المسددا وجاذبنا الألباب بأخذنها غصبا
وقالت الصحيفة إن هذه القصيدة « كلها غرر من نظم أحمد شوقي نزيل الديار الفرنسية
الآن » . وهي منشورة في صفحة ٥٥ من الطبعة القديمة .

وفي عدد ٢٨ أكتوبر سنة ٩٢ نشرت (الأهرام) حكاية شعرية تحت عنوان « الهندي
والدجاج البلدي » بامضاء (نجي الخرس) . ولم تكن هناك أقل إشارة إلى مصدر الشعر
أو إلى قائله :

بيننا ضحاف من دجاج الريف تخطر في بيت لها ظريف
إذ جامعا هندي كبير الصرف فقام في الباب قيام الضيف
يقول حيا الله ذى الوجوها ولا أراها أبدا معكروها
فصاد الدجاج داء الطيش وفتحت للعلج باب العيش

إلى آخره . وقد ظننا بادئ ذي بدء أنه لمطران وما كان يدور بخلدنا أنه لشوقي . وأن شوقي
يوقع بامضاء مستعار . وهذه ولا شك أول مرة . هذه القصة أو الخرافة التي يقلد بها
(لافتين) موجودة في الديوان القديم في صفحة ١٦٢ وفي الجزء الرابع من الشوقيات
في باب (الحكايات) .

وفي ٢٨ نوفمبر سنة ٩٢ نشرت (الأهرام) حكاية (الثعلب والديك) :
برز الثعلب يوما في شبح الواعظينا

والإمضاء (نجى الخرس) . والحكاية في صفحة ١٧٧ من الديوان القديم . وأيضا في باب الحكايات في الجزء الرابع . وأغلب الظن أن شوقي نظم بقية الحكايات في سنة ١٨٩٣ ولكنه لم ينشر منها شيئا في الصحف في صورة من الصور سوى ما ذكرنا .

وفي عدد ٢ يناير سنة ١٨٩٣ نشرت له (الوقائع) قصيدة مطلعها :

سويمع النيل رفقا بالسويداء فما تطيق أين المفرد النائي

وقالت الصحيفة إنها وردت من « أحمد افندى شوقي وهو الآن مقيم بالديار الفرنسية »
والقصيدة في صفحة ٥٢ من الطبعة القديمة .

وفي عدد ٣١ يناير سنة ١٨٩٣ نشرت (الوقائع) « تهنئة بعيد الجلوس من أحمد افندى شوقي الموجود الآن في الديار الفرنسية » .

صال الدلال بقلتها المياس الله أكبر ياقلوب الناس

وهي في الديوان القديم صفحة ٨٦ .

وفي عدد ١٨ مارس سنة ١٨٩٣ نشرت (الأهرام) قصيدة قالت إنها « من نظم حضرة الشاعر المحيد والكاتب البليغ أحمد بك شوقي بالديوان الخديوي العالي وتزيل باريز الآن » :

لحظها لحظها رويدا رويدا كم إلى كم تكيد للروح كيدا

والقصيدة منشورة في الديوان القديم في صفحة ٨٣ . وأبيات النسيب موجودة في الجزء الثاني صفحة ١٤٧ .

وفي عدد ٢٢ أبريل سنة ١٨٩٣ نشرت (الأهرام) قصيدة « لأحمد شوقي تزيل باريز الآن » :

دام ذا الوجه مقصد الأعياد ساميات بتهنئات العباد

وهي في الديوان القديم في صفحة ٦٥ .

وفي عدد ٢٠ يونية سنة ١٨٩٣ نشرت (الأهرام) قصيدة بغير إمضاء تحت عنوانها
الداخل الكبير (حوادث محلية) كالآتي :

(حوادث محلية)

قد مثلوا في صورة مزوقة كأنها قصيدة منقحة

ومم مليك محكم التنبيل بصوبلحان المجد والإكيل

وتحتنه في سلم المقام شريف قوم شاكي الحسام

وكاهن يليه إسرائيل وعسكري شاهر الحسام
وتحتهم جميعهم فلاح ودون كل صورة عبارة
يقول فيها الملك إني السائد والكاهن الثاني أنا أصلي
والإسرائيلي يقول الراج والعسكري إني أحميكم
ويضرع الفلاح حسي ربي ينهني حملكم الثقليل
أمامه الأموال في زئيل ومائل منحذب القوام
في كيسه محصوله المباح تفيد ما تعني بها الإشارة
فيكم والشريف إني القائد لأجلكم فريضتي وقلي
أنا عليكم حيث أني الراج والسائل المكود استعطيكم
أطعمكم جميعكم من حبي وليس عندي لكم جميل

” تلك حالة الفلاح عموما ولا سيما فلاح ألمانيا اليوم “ .

لا يخالجننا شك في أن هذه الحكاية من نظم شوقي وأنه أسقطها من الديوان عند جمعه خوفا من السلطات الحاكمة . وقد حاولت الأهرام تخفيف أثرها وإبعاد الشبهة بتعقيبها على الحكاية بقولها : ” تلك حالة الفلاح عموما (!) ولا سيما فلاح ألمانيا اليوم “ . وأغلب ظننا ، والظن يقين ، أن شوقي أقام في مصر في شهرى يونية ويولية لتمضية جزء من عطلته الصيفية ثم عاد ثانية إلى باريس . فقد نشرت (الأهرام) في عدد ٦ يولية سنة ١٨٩٣ قصيدة له دون أى تقديم بالشكل الآتى :

(حوادث محلية)

تهنئة

بصوتك حاجتنا الممالك والمصرى وقلنا فباتت مصر في مجدها مصرى

... ..

أحمد شوقي

بالديوان الخديوى العالى

وصيغة التوقيع تدل على أنه كان في مصر . وفى عدد ١١ أغسطس سنة ١٨٩٣ عادت

(الأهرام) ونشرت قصيدة « لأحمد شوقي نزيل باريس الآن » :

رضى المسلمون والإسلام فرع عثمان دم فذاك الدوام

والقصيدة منشورة كاملة في ص ١١١ من الديوان القديم وفي صفحة ٢٩٦ من الجزء الأول طبعة سنة ١٩٣٦

وفي سنة ١٣١١ هـ صدرت رواية « على ملك أوتيا هي دولة المحاليك » من قلم العماجر (أحمد شوقي) أحد موظفي الديوان الافرنجى الخديوى . « ألفها وهو تزيل باريز في شهر أكتوبر سنة ١٨٩٣ » .

وأخيرا في عدد ٢٥ نوفمبر سنة ١٨٩٣ نشرت (الأهرام) في حوادثها المحلية الخبر الآتى :
« ماد من باريز حضرة الشاعر الأديب والكاتب البارح أحمد افندى شوقي بعد أن قضى فيها السنين الطوال في تلقى العلوم والمعارف» .

وعلى ذلك ذلك تكون إقامة شوقي في فرنسا للدراسة حوالى ثلاث سنوات من يناير سنة ١٨٩١ إلى نوفمبر سنة ١٨٩٣ قضى النصف الأول منها في مونيبييه والنصف الآخر في باريز .

وقد وجدنا في السنة الأولى من مجلة « التقدم المصرى » في عدد ١٩ مارس ٩٣ وعدد ٧ فبراير ٩٤ تعجيلات حادثة من مجلة شوق في فترة الإقامة في الخارج وعقب هودته . في العدد الأول من المجلة (١٩ مارس سنة ٩٣) نشرت ما يأتى :

جمعية التقدم المصرى

« اسم الجمعية تأسست بمبادرة مونيبييه من أعمال فرنسا في شهر مايو سنة ٩٢ بهمة الوطنى الفاضل على أبو الفتوح أحد طلبة الحقوق بتلك المدينة وذلك لتقوية وتعزيد لغتنا الشريفة العربية . . . وقد استمر أعضاؤها يراولون اجتهادهم إلى أن اتحدت كلمتهم وتقويت رابطتهم

(١) ظهر أن الفكرة كانت اجتماعية وطنية محدودة نظر الفكرة وتعزيد لها لأن قانون البعثات كان يحرم السياسة .
والظاهر أن تأليف الجمعية المركزية في مونيبييه حدث في مايو سنة ٩٢ أى بعد أن أوشك شوق على إتمام سنتى الدراسة في مونيبييه والذهاب إلى باريس قضاء السنة الدراسية التالية فيها . . . وقد أشار شوق إلى أمام صباه في مونيبييل (مونيبييه) في رسالة لعميل أمير القصر الذى كان يكلا لرؤاوة المعارف العمومية ومات في ٢٧ مارس سنة ١٩١٤ »

إلى الغت إلى الشيا	ب الفبار المتشعل
روقت ما بين الحقد	فى فيه والمتعيل
فرايت أياها مج	لن وليها لم تعجل
كانت صولة لها	ولنا عذاب المنهل

وتم اعدادهم فكتب عندئذ حضرة الرئيس رسماً الى جناب موجيل بك مدير الإرسالية المصرية بباريس يخبره بهذا المشروع الوطني ويطلب من جنابه التصديق عليه حتى لا يكون مستترا تحت طي الخفاء . وقد كانت وتصرح على شرط أن لا يحوموا حول دائري السياسة والديانة بسوء . . .

« وعند عودة حضرة الرئيس إلى مونبلييه من مصر حيث قضى فصل الصيف سرى في عروقه الظاهرة دم الوطنية فألقى على نفسه أن يعمم هذا المشروع الجليل بين جميع المصريين بفرنسا . . فتشعبت هذه الجمعية في أهم تقط فرنسا فأنشئ لها فرع بباريس تحت رئاسة رب القريض وأخو (!) الأدب سحبان الفصاحة وقس البلاغة أحمد افندى شوقي المصري (أحد موظفي السكرتارية « إدارة التحريرات » الخديوية وتزيل بباريس الآن) ووكالة اللوذعي الأديب الشيخ محمود أبو النصر المصري « من متخرجي مدرسة دار العلوم الخديوية ومدتزم العلوم العربية بمدرسة اللغات الشرقية بباريس الآن » . وكلاهما من

ذهب كحل بيد أن	الحسلم لم يتأول
إذ نحن في ظل الشيا	ب الوارف التهلل
جاران في دار النوى	مقابلات بمنزل
أيكي وأيكك ضاحكا	ن على خاتل مونيل
والدرس يجمعني بأف	ضل طالب ومحصل

شوق هنا يمر عن عاطفة صادقة وكلامه عن الأيك وتعامل مونيل ليس صورة خيالية ولكنه حقيقة لأن مدن الجنوب في فرنسا باثنتا الموائ مدن صغيرة حالية بأشجارها ومبانيها الساكنة وكثرة الذعة في أقيانها وجوهها ومنازلها وحناياها . وما أجل برد الظل في منعرجاتها وأزقتها الصاعدة والهابطة . المستقيمة والمتنوعة . المستطيلة والمنعطفة التي يتدفق فيها الهواء الطلق ويهتف بين جنباتها ومنازلها المطمئنة وشجرها . ولعل منشأ ذلك في الطابع الرومانى الذى لا زال يحتفظ به جنوب فرنسا كما يحتفظ به جنوب إيطاليا حتى رومة نفسها . أما مدن الشمال في البلدين ، من ميلانو إلى باريس ، فهى مدن كبيرة تعيش بمبانيها وتضج بمجاريها وتضج حتى السام بحركاتها السياسية والمالية والصناعية الكبرى التى تموج في عياها .

وإذا كنا نرى قبل مغرى إلى فرنسا تقابلت مع الأيتاذ على أبو الفتوح فنصحنى بالذهاب إلى مونبلييه لمدونتها . ولكنى حين وصلت إلى ميناء مرسيليا في يولييه سنة ١٩١٣ طربت من حياتها الزاهرة العاصفة فقلت في الأثر الذى تركته في نفسى :

وعالم قد جد في تسليه	غوارب الأطاع لآثر مغنه
يكاد أن يهلك في تحشمه	كالطفل يلقي كل شىء في فة

لذلك عولت على السفر إلى باريس حيث يجذبني طابع المدنية الغربية الحديثة في مضطربها الواسع وماكنت أكره طابع المدنية الرومانية السائد في الجنوب ولكنى كنت ولا زلت أعتقد أن تكوين الشخصية لا يتم إلا في تطويع الشباب في عمار الحياة .

وقد قضى شوق أقل من سنتين دراسة وإقامة في باريس ، وهذه مدة لا تكفى للتغلغل في البيئة ودراسة آدابها ولقنها ومنه ينشأ بدرجة تساعده على التحول في يسر من القديم مع التوفيق بين آداب الشرق والغرب خصوصا وأنه قضى معظم أيامه هناك في الاشتغال بالتعلم والأدب العرب . . .

الوطنيين المشهود لهم بقوة الباع وسعة الاطلاع ، وآخر برساليا وثالث بخفيفة وهلم جرا . .
ثم أراد حضرة الشاب العجيب رئيس الجمعية المركزية بمونبلييه أن يشعر أترابه بمصر فكتب
في بحر شهرين سنة ٩٣ رسالة مهيبة إلى جناب الوطنى صالح افندى نور الدين « مترجم
المسألة المصرية » يطلب منه المشاركة في ذلك العمل . . خلاصة القول إننا أنشأنا فرما
لهذه الجمعية بمصر سيكون هو الجمعية المركزية في العام القابل وترتيب أعضائه كما يأتى :

رئيس	صالح افندى نور الدين
وكيل	صالح على
محور	حسن افندى الفكهمانى

وثلاثة آخرون أفاضل أعضاء عاملون وهم محمد افندى الجندى والشيخ أحمد القوصى
ومحمد افندى نقيب " انتهى .

وفي عدد ٨ أغسطس سنة ١٨٩٣ تحت عنوان (تهانى) جاء ما يأتى : " أكبر دليل على
الفلاح ما أحرزه شبابنا نزلاء البلاد الأجنبية من قصب النجاح . فإن حضرة على افندى
أبو الفتوح رئيس الجمعية المركزية بمونبلييه ، علاوة على الدرجات التى تحصل عليها فى الامتحان ،
امتاز ببناء المدرسة الخصوصى وكذلك كامل افندى إبراهيم كاتب سر الجمعية المركزية وحضرة
رب الفريضة أحمد افندى شوقى رئيس الجمعية ببائيس ومحمد بك كامل أحد أعضائها الخ " .

وفي عدد ١٣ سبتمبر سنة ٩٣ (غرة ربيع الأول سنة ١٣١١) فى ملخص الأحوال
الأسبوعية لجمعية التقدم المصرى من ١٤ محرم سنة ١٣١١ لغاية أول ربيع الأول سنة ١٣١١
نشرت المجلة من ١٦٤ محضر جلسة ١٩ صفر سنة ١٣١١ (أول سبتمبر سنة ١٨٩٣) :
" . . ثم شرع الرئيس فى الاحتفال بمحضرات رئيس وأعضاء الجمعية المركزية بفرنسا حيث
شرفوا ذاك المساء . . . وقد تلا حضرته كثير من أعضاء وأفاضل الزائرين منهم

(١) نشرت مجلة (رمسيس) فى عدد يونيه سنة ١٩١٢ فصلا عنوانه (ترجمة حياة سعادة النافذة القدير على باشا
أبو الفتوح وكيل نظارة المعارف) جاء فيه : " وهو أول تلميذ تقدم فى مدرسة سان لويس لامتحان الدراسة الثانوية
ثم سافر فى أكتوبر سنة ١٨٩٠ لتلقى علم الحقوق بكلية مونبلييه فى فرنسا ومكث بها ثلاث سنوات حاز فى نهايتها
شهادة الليسانس وقال فى جميع امتحاناته علامات يضاء . . وقد رأى أثناء وجوده بأوروبا أن لا رابطة تربط الطلبة
المصريين فأسس جمعية التقدم المصرى وأنشأ لها فروعا فى باريس وراكس وغيرها . . وأسس بمساعدة إخوانه مجلة
التقدم المصرى التى استمرت على الظهور مدة ثلاث سنوات . . ولما رجع إلى مصر فى صيف سنة ١٨٩٣ أنشأ مركز
الجمعية لمصر الخ " .

حضرة مصطفى افندى كامل محضر جريدة (المدرسة) الفزاء الذى قال مخاطبا أعضاء جمعيتنا
المركزية بفرانسا :

ليت الكواكب تدنولى فانظلمها عقود مدح فما أرضى لكم كلنى
وبعد ذلك قام حضرة على افندى أبو الفتوح وشنف أسماع الزائرين والأعضاء بدرر
ألفاظه الخ .

وفى ختام من عدد ١٠ ديسمبر سنة ٩٣ نشرت المجلة (نتيجة الانتخابات) فكانت كالآتى :

رئيس	على افندى أبو الفتوح
وكيل وأمين صندوق	صالح افندى نور الدين
كاتب سر	محمد افندى الجندى
أمين مكتبة	كامل افندى ابراهيم

« لجنة الإدارة »

« لجنة المراقبة »

رئيس

أحمد افندى شوقى

أعضاء

محمد افندى مسعود	أحمد افندى سليمان
محمد افندى دلاور	صالح افندى على
محمد افندى عبد اللطيف	الشيخ أحمد القوصى
	حسن افندى الفاكهانى

٢ النشأة الأدبية

كتب أحمد شوقى فى مقدمة ديوانه القديم : " أولم يكن من الغين على الشعر والأمة
العربية أن يحيا المتنبي مثلا حياته العالية ثم يموت عن نحو مائتى صحيفة^(١) من الشعر ، تسعة
أعشارها لممدوحيه ، والعشر الباقى ، وهو الحكمة والوصف ، للناس . هنا يسأل سائل :
وما بالك تنهى عن خلق وتأتى مثله ؟ فأجيب أنى قرعت أبواب الشعر وأنا لا أعلم من

(١) الصفحة من الكتاب : الوجه من الورق . والصحيفة : القرطاس أو الورق المكتوب .

حقيقته ما أعلمه اليوم ، ولا أحد أبهى غير دواوين السوقي لا مظهر للشعر فيها ^(١) ، وقصائد
للأحياء يحذون فيها حذو القدماء ^(٢) ، والقوم في مصر لا يعرفون من الشعر إلا ما كان مدحا
في مقام حال ، ولا يرون غير شاعر الخديوى صاحب المقام الأسمى في البلاد ، فما زلت
أتمنى هذه المنزلة ، وأسمو إليها على درج الإخلاص في حب صناعتي وإتقانها بقدر الإمكان ،
وصونها عن الابتدال حتى وقفت بفضل الله إليها ، ثم طلبت العلم في أوروبا فوجدت فيها
نور السهيل من أول يوم . جعلت أبحث بقصائد المديح من أوروبا مملوءة من جديد المعاني
وحديث الأساليب بقدر الإمكان ^(٣) ، إلى أن رفعت إلى الخديوى السابق قصيدتي التي أقول
في مطلعها :

خدعوها بقولهم حسناء والغوايى يفرهن التناء

(١) أى موقى يعنى ؟ (٢) ما هذا القصائد التي تعتمد عليها محمود ساسى البارودى بجارة الأقدمين من الفحول
كان طابع التجديد والشخصية في شعر محمود ساسى لأنه كان شاعرا بالسليقة لا ينطق إلا عن عاطفة ووجدان صادق .
وليس له كالشوق مشربات القصائد التي تجدى بالنزل أو النسيب « الصناعتى » وتنتهى بالمديح وذكر البسدر والشمس
والنوال والآساد والآرام جريا على عادة الشعراء العباسيين .

(٣) يريد بقصائد المديح التي كان يرسلها من أوروبا بين سنتي ١٨٩١ و ١٨٩٣ وليس فيها من جديد المعاني
وحديث الأساليب إلا القليل . ولعل أروع قطعة لما شوق في تلك الفترة هي (خدعوها بقولهم حسناء) ، وهي قطعة
فذة رائعة بذاتها ليست من نوع النزل التي سبق بالمديح . هي أبيات حب ونسيب ودية بارسية يكاد يفوح شذاها .
والواقع أن جودة المعاني والأساليب لم تظهر في شعر شوقي بشكل ملحوظ إلا ابتداء من سنة ١٨٩٤ إذ نظم قصيدة
المؤتمر التاريخية الشهيرة :

هت الفلك واحسواها الماء وحداها عن قسمل الرجا

وعلى أية حال لقد ظل شوق طوال حياته كالبحر يرى بالذرى يرى بالصف فهو لم يتغور كما تغور مطران الذى بدأ شعره
بالمديح حتى أواخر القرن التاسع عشر ، ثم أخذ يسير على نهج واحد من التجديد في شعر الحياة والطبيعة والتاريخ . وقد كان
لشوق في جميع عصوره شعر « قديم » وشعر « جديد » شعر رائع وشعر خبيث . ولا شك أن فضوحه تم بعينه المنفى
ولكنه لم يتغور . ولعل تمكن مطران في دراسة الأدب العربي والتشرب بمذاهبه ومناحيه هو الذى ساعده على التحرر
من القديم في نواح كثيرة في سنوات في حين أن شوق ظل طوال حياته لا يهتم في أحاديثه وفي مطالعته إلا بالأدب
العربي . ومن العجيب أنه في فترة الخمس سنوات التي قضاها في ربوع الأندلس (١٩١٥ — ١٩١٩) لم ينظم
إلا بعض القصائد وأرجوزة دول العرب وعظماء الإسلام التي ظهرت بعد وفاته (سنة ١٩٣٣) وقال ناسرها في المقدمة
« وليس ثمة مواقع أشهد للذهن وأضئ للخيال من مثل تلك المواقع والمشاهد التي أوعت إلى شوق بك أن ينظم هذه
الأرجوزة الخالدة . » ولكن هذه الأرجوزة وما إليها كانت محسولا ضئيلا . . ولا شك أن مواقع الأندلس
ومشاهدها كان لا بد أن توحى إلى شاعرنا ذوقا عظيما في شعر الطبيعة ونسفة الحياة فأين هذا الشعر ؟

ولكن شوق في الواقع عاش بذهنه وخياله في البيئة العربية القديمة غريبا من تلك المواقع والمشاهد التي لا تتسحق
إلا ذهن من يعرفها ويقيم بها . ويستلهمها . ويقف منها موقف العابد . ويعيش في أجوائها .
ومن هنا كانت ضالة محسولة الحقيق أو « الصناعتى » من ناحية الكم والكيف معا . ويظهر أن شوق
نظم كثيرا وكتب كثيرا في الأندلس ولكن بنوع نظام ، كما أنه لم يحسن اختيار ما يلائمه من المواضيع وطريقة معالجتها . =

والتي غزها في أول هذا الديوان . وكانت المدائح الخديوية تنشر يومئذ في الجريدة الرسمية ، وكان يحزرها يومئذ أستاذى الشيخ عبد الكريم سلمان فدفت القصيدة إليه وطلب منه أن يسقط الغزل وينشر المديح فنودى الشيخ لو أسقط المديح ونشر الغزل . ثم كانت النتيجة أن القصيدة بومتها لم تنشر . فلما بلغنى الخبر لم يزدنى علما بأن احتراسي من المفاجأة بالشعر الجديد دفعة واحدة إنما كان في محله وأن الزلل معي إن أنا استعجلت .

”ثم نظمت رواجي (على بك أو فيها هي دولة المسالك) معتمدا في وضع حوادثها على أقوال الثقات من المؤرخين الذين رأوا ثم كتبوا وبعث بها قبل التمثيل بالطبع إلى المرحوم رشدى باشا ليعرضها على الخديوى السابق فوردنى منه كتاب باللغة الفرنسية يقول في خلاله : ” أما روايتك فقد تفكك الحجاب العالى بقراءتها وناقشنى في موضع منها وناقشته وهو يدعوك بالمزيد من النجاح . ويجب أن لا تشغلك دروس الحقوق التى يمكنك تحصيلها وأنت في بيتك في مصر عن التمتع من معالم المدنية القائمة أمامك وأن تأتينا من مدينة النور

== ردى لى الدكتور سعيد عبده أن شوقى كتب (أميرة الأندلس) ثرا أثناء إقامته هناك وأنه أتى بها من المنفى في مجلدات كانت أحسن محصول ترى له . فلما نجت روايتا مجنون ليل وكليوباترا أخذا بعيد النظر (أميرة الأندلس) وكانت طويلة جدا ومفككة حتى انتهى بها الأمر إلى حجم كراسة . ومع ذلك كانت فاشلة عند تمثيلها منذ الليلة الأولى . ولو أن شوقى أبعد نفسه في كتابة روايته شعرا — لا ثرا — لما ضاع جهده كله ولبقيت لنا نحات خلقات وعلى أية حال لقد كان لا فرايب شوقى نتائج بعيدة ظهر أثرها في رواياته التى نغم بها حياته وفي بعض قصائده الكبرى التى نظمها بعد عودته . ولكن لا يمكن القول إن إقامة شوقى بالأندلس أحدثت ثورة في أدبه كأنما كانت الأولى في فرنسا زمن الدراسنة .

بعد عودة شوقى من منفاه مدح فزاد ونظم قصائد عارده فيها الحنين إلى القديم فقد نشرت له (الأهرام) في ١١ مارس سنة ١٩٢٤ القصيدة التى قالها بمناسبة إطلاق بعض السجناء الذين كانت المحاكم العسكرية الانكليزية قد أداتهم :

بأبي وروحى الناحيات القيدا الباسحات من اليتم نصيدا
الراويات بكل أحسور قاتر يدر الخلق من القلوب عيدا

إلى غير ذلك من الغزل « القديم » . ونجد نفس هذا الأسلوب الغزل في قصيدة (لبنان) التى نشرتها (الأهرام) في ٣١ يولييه سنة ١٩٢٥

السحر من سود العيون لقيته واليايل بالعظمن سقيته
الفاترات وما قرنت رماية بمسد بين الضلوع مينه

وقد بلغ عدد أبيات الغزل في هذه القصيدة ستة عشر . وبعد ذلك فإن في القصيدة خمسة أبيات متتابعة تبدأ بكأن وبعضها يبدأ الشطر الثانى منه أيضا بكأن (وكان أيام الشباب . . وكان أحلام الكعاب . وكان ريمان الصبا . وكان أنفاد النواهد . وكان أفراسد الولايد . وكان مسس القاع . وكان ماءهما) . أسرف شوقى في سنة ١٩٢٥ في استعمال كأن كما أسرف فيها في سنة ١٨٩٧ في بآيته الشهيرة عن الحرب التركية اليونانية فقد استعمل عشرين مرة (كأن) في ستة عشر بيتا متتابعة في (التلاق على سهل فرسالا) : ” كأننا أسود رابضات . . كأن خيام الجيش . . كأن السرايا . . كأن القنا . . كأن الدجى ... الخ “ . ولولا هذه المسآخذ والمناحى لاحتل شوقى مكانه في الشعر العالمى كما احتله في الشعر العربى . .

(باريز) بنفس تستضيء به الآداب العربية " فصادفت هذه النصيحة العالية هوى في فؤادى فترجمت القصيدة الممتدة «بالبحيرة» من نظم (لامرتين) وهى من آيات الفصاحة الفرنسية . ثم أرسلتها إلى الباشا المشار إليه في كراس ليطلع الجنب الخديوى عليها . وإذا كنت لا أتخذ لشعرى مسودات رجوت أنى أجدها عنده بعد العودة إلى مصر ثم عدت دون ذلك حواد .

"وجرت خاطرى في نظم الحكايات على أسلوب (لافونتين) الشهير، وفي هذه المجموعة شئ من ذلك، فكنت إذا فرغت من وضع أسطورتين أو ثلاث أجمع بأحداث المصريين وأقرأ عليهم شيئاً منها فيفهمونه لأوّل وهلة ويأثسون إليه ويضحكون من أكثره ."

مرفها أن حكايات شوق على السنة الحيوان نظمت في سنة ١٨٩٢ — ١٨٩٣ في الفترة الباريسية ولكننا لم نعرف الكثير عن حياته الأدبية في الفترة التي سبقت غربته . وهذا النقص الظاهر في الفترتين قد حاولت أن تسدّه مجلة سركيس . جاء في هذه المجلة في العدد ١٤١٣ من السنة الثامنة — ١٥ يولييه وأول أغسطس سنة ١٩١٥ — ما يأتى تحت عنوان (آراء شوق من مفكرات سليم سركيس) :

"لما علم أمير الشعراء شوق بك باستئناف صدور مجلة سركيس وعد أن يتحفنى بقصيدة لم تنشر ثم صدر العدد المأخوذ ولم تصل هديته فرجعت إلى مفكراتى ووجدت فيها محادثة بينى وبين شوق بك تاريخها شهر فبراير سنة ١٨٩٧ أى منذ ١٨ سنة فعمدت إلى نشر خلاصة تلك المحادثة .

أوّل ما عرفته من الشاعر الكبير أنه مدين للراة بمقدمات نجاحه ذلك أنه ترجم في أوّل أمره قصيدة عن المرأة كانت آية في الرقة والإجادة، فلما عرضت على المغفور له الخديوى الأسبق أعجب بها وكانت السبب في صدور أمره بإرسال شوق إلى أوروبا . . . سألته .

— متى بدأت تنظم الشعر . وهل تذكر شيئاً من قديمه ؟

— وفقت لنظم الشعر وأنا في الرابعة عشرة من عمري^(١) وكان أستاذى يومئذ المغفور له

الشيخ حسين المرصفى ، وعليه قرأت الكشكول والبهاء زهير حتى إذا بلغت في مطالعة الكشكول هذين البيتين :

(١) أى حوال سنة ١٨٨٢ . . . (٢) لأوّل مرة نعرف كيف تتلذذ شوق للشيخ حسين المرصفى صاحب (الوسيلة الأدبية) وأستاذ البارودى . كان المرصفى أستاذاً بدار العلوم وكانت دروسه تنشر في مجلة (روضه المدارس) بين ١٢٩٢ و ١٢٩٤ هـ (١٨٧٥ — ١٨٧٧) وقد تخرج عليه من رجال الأدب في عصرنا حفنى ناصف . وقد كان كتاب (الوسيلة الأدبية) الذى طبعه نظارة المعارف في رجب سنة ١٢٩٦ هـ (١٨٧٩ م) لا ١٢٩٢ كما كتب خطأ على صفحة العنوان) أكبر الأثر في تكوين كبار الشعراء المعاصرين في أوائل القرن التاسع عشر .

ونحرق عنه القميص تحاله بين البيوت من الحياء سقما
حتى إذا حمى الوطيس رأيت عند اللواء على الخجس زعما
استخف الشيخ الطرب وطلب إلى أن أشرهما فقلت :

ونحرق عنه القميص تحاله ملكا تسنم به السماء كريما
يحمي الحمى عف اللواظ والخطا بين البيوت من الحياء سقما
حتى إذا حمى الوطيس رأيت نارا على نار الوغي وحجما
وإذا القبائل أطبقت أفقته عند اللواء على الخجس زعما

فاستحسن البيت الأول والثاني ، وأرشدني إلى مواضع التكلف من الثالث والرابع . ثم
اقترح أن أجب لسانی في الحكمة فعملت هذين البيتين وهما أول عهدى بإنشاء الشعر :

قصارى العيش أن يذ هب إن حلوا وإن مرا
فإن شئت فمت عبدا وإن شئت فمت حرا *

فأعجب الشيخ بهما كثيرا ، وبشرني بمستقبل في الحكمة غزير .

— متى بدأت مدائحك للبيت الخديوى ؟

— أولها فيما أذكر منظومة طويلة أنشأتها وأنا تلميذ بمدرسة الحقوق ، وسميتها (الدر

المنظم في مديح الجناب الخديوى المعظم) فكتبت في مطلعها :

هم الملوك ملؤها لا ينكر والخير يبقى والمآثر تذكر

وقدمتها بنفسى إلى المغفور له محمد توفيق باشا ، فقابلها بأحسن قبول ، ووعدنى أنى متى
أتممت الدراسة يلحقنى بمعينه ، وقد كان ونجز وعده .^(١)

* (١) يوجد في (الشوقيات) القديمة ص ٧ قصيدة « بما نظم في أول زمن القول » وفي ص ٧٧ « وقال بمدحه
وهي أول نظمه » :

سفر الحبيب فقلت يا عين انظري وتزهي في حسن ذاك المنظر

وفي ص ٧٨ « وفيه أيضا وهي من نظم الصبا كذلك » :

وكيف والحب يأتي غير منتظر هي الجزيرة فأخذت فنس النظر

وهذه القصائد جميعا ليس فيها من الشعر إلا النظم . ولعل أول قصيدة بدأت تبدي فيها ملامح شوق الكبير هي القصيدة
المنشورة في صفحة ١٣٨ والمؤرخة (١٣٠٠ هـ - ١٨٨٨ م) . وهي تعزية للخديوى (توفيق) بأخيه الأمير حسن
باشا الذى مات بالأسنانة وحملت جثته إلى مصر :

وكم قاد جيشا ليس يحصى عديده فطاف به داعى الحمام وفاده

وسار على فئس من اليمن والرضا إلى روضة فيها استطاب أفراده

وخلف في دار الخلافة وحشة وحزا برى من قلب مصر سواده

ولو علم البحر الذى هو أبيض بذات شكت الغبراء منه أسواده

— وهل ترجحت شيئا من شعر الإفرنج ؟

— إنني أجل الترجمة واستعظم فوائدھا ، ولكن نفسي لا تميل إلى التعريب ، بل تميل كله إلى الخلق والإنشاء ، وهذا مع كثرة كتب الآداب الفرنسية ، وعلى الأخص تأليف فيكتور هوغو وموسيه ولامرين ، ولقد كنت أفنى هذا الثالث وبفني (!) ، ومع ذلك فلا أذكر أن خاطري ارتاح مرة إلى نقل شيء عنه إلى اللغة العربية إلا مقطعات قد تصادف هوى في النفس ، فترجمها عنه اللسان وهو ماز بها ، كقول هوغو في الجنائز : منكرا مبالغة الناس في الاحتفال بها .

أرى زمرا مشبعة وأسمع أيما صوت
ولو عقلوا لنا فسلوا جلال الموت في الموت^(١)

وكقوله يصف طلبا المستقبل في أوامر أريام نابليون الثالث :

سل الليل هل أضمر القدر أم لأمر سوى القدر يستجمع ؟
ظلام أناخ بلا حوكب يضئ ولا بارق يلمع^(٢)

وكقوله في الحضر على حب الأطفال ورحمتهم :

أولى البيوت بفابط أوحاسد بيت يضم صغيرة وصغيرا^(٣)

وقد اتفق شوقي في هذه القصيدة أسلوبه القديما في الزمان . فأعاده البك . ولعل أول مرثية برزت فيها شخصية الشاعر هي قصيدته في رثاء اسماعيل ونصيده في جلاء الخولي :

ساجع الشرق طار من أوكاره وتولى فن على آثاره

(١) نشر هذان البيتان في الديوان القديم دون الإشارة إلى أنها مترجمان من هوغو . جاء في مجلة (الزمراء) . (ديسمبر ١٩٤٤ - يناير ١٩٤٦) : " أما الذكر الذي تضمنه المعلق أمام الجنائز فهذا من العار وليس من الدفاء . رمى أبو موسى الأشرقي قال : كأمع رسول الله جعل الناس يجهلون بالتكبير فقال : « أيها الناس ارجعوا إلى أنفسكم . إنكم لا تدعون أحما ولا غائبيا . إنكم تدعون ميميا بصيرا » إلخ . وما أجل قول شوقي :

أرى زمرا مشبعة وأسمع أيما صوت
ولو عقلوا لنا فسلوا جلال الموت في الموت

(٢) نشر أيضا هذان البيتان في الديوان القديم دون إشارة إلى أصلهما .

(٣) نشر هذا البيت في آخر أبيات نظمها لمسوق تحت عنوان (ولى من لسان البكوات المالك حكام مصر سابقا

وهي سقيقة تاريخية) :

إن الذي رزق الممالك الفنى وحيا ملك البلاد كبيرا
لم يظلم من نعمة الأولاد ما أحل الخلاق مريبا وقصيرا
لئلا التهنى ما عرفنا لغة الجيش يحبه المحسود نصيرا
أولى البيوت بفابط أوحاسد بيت يضم صغيرة وصغيرا

وهذه الأبيات منقولة من رواية على بك القديمة (١٨٩٣) ونشرة مستقلة في الديوان القديم صفحة ٧٠

— ما هو أحسن قولك في المرأة عموماً ؟

— لى في المرأة على العموم كلام كثير ، ولكنى لا أراى وفيها الوصف إلا في قولى :

تق بالنساء فإن وثقت فلا تتق فبالحق على الزمان هباء

فميونهن إذا أخذن توارك وقلوبهن إذا هوين هواء

هذا أهم ما جاء في حديث شوق سنة ١٨٩٧ . وقد جرى ، بمناسبة مهرجان الشعر الذى أقيم بعد ظهر يوم ٢٩ أبريل سنة ١٩٢٧ لتكريم أمير الشعراء ، حديث آخر مع شوق نشرته (الأهرام) في صباح ٣٠ أبريل جاء فيه : " قلنا حدثنا عن أول عهدك بالشعر وقرضه ، وعن أول بيت قرضته ، وعن الحادث الذى أوحى إليك البيت :

فقال أمير الشعراء : كنت طفلاً ، وكان لنا جار اسمه حسيب بك ، طبيب كريم الخلق

من بيت مجد ، وأعطه يمت إلى دولة ثروت باشا بصلة المصاهرة ، وكان صديقاً حميماً لوالدى وخالى رحمهما الله ، وكان له أخ اسمه عطا بك كان وكيلاً لأوقاف الخديو عباس ، وقد اعتاد حسيب بك أن يرسل لى من وقت لآخر بعض كتب فرنسية مصورة ، وحدث مرة أن أهدى إلى كتابا كثير الصور حسنها ، اغتبطت به أشد اغتباط ، ثم أرسل بعد قليل يسترده فبكيت بكاء مراراً ، ورددت الكتاب إليه مصحوباً بييتين وهما :

حسبت حسيباً زاده الله رفعة لما نظرت عيناً منه أخا عطا

نخالف ظننى ما رأيت فإنه لك الدهر سلاب من الناس ما عطا

وبقدر ما حزنت على الكتاب فرحت بهذين البيتين فرحاً عظيماً ، فقد كانا موضع إعجاب الجيران على ما فيهما من خطأ ، وتناقلتهما الألسن من مندرة إلى مندرة ، وكانا أول ما قرضت من الشعر .

قلنا : فحدثنا عما قرضت بعد ذلك من الشعر ، وعن أول قصيدة لفتت إليك الأنظار ؟

فقال : لقد شجعتنى ما قوبل به البيتان السابقان من الإعجاب على نظم أبيات مختلفة

لإخوانى فى المدرسة . ومن أوائل شعرى فى زمن الدرس قصيدة طويلة طبعتها فى مدح المنصور له توفيق باشا مطلعها :

هم الملوك علوها لا يشكر والخير يبقى والمآثر تذكر

وكانت أول قصيدة لفتت الأنظار إلى ، لا سيما نظر الخديوى توفيق ، حتى كان يسأل عني دائماً إلى أن عيّننى بالسراى .

قلنا : من أستاذك في اللغة والأدب ؟

نقال : أستاذي الوحيد الذي أعتد نفسي مدينا له هو الشيخ حسين المرصفي صاحب (الوسيلة الأدبية) ، وتتلذذت سنتين الحظي بك ناصف ، وهما أستاذي حقيقة اللذان استفدت منهما .

قلنا : وما هو أول كتاب قرأته في الأدب العربي ؟

نقال : كتاب الكشكول قرأته على الشيخ حسين المرصفي في دروس خاصة ، وكان هو أيضا يحبه كثيرا ويفضله على غيره من الكتب " انتهى .
لقد ورد مضمون ذلك الحديث في حديث مركب وهو على أية حال يؤكد ويوضحه .

الشوقيات

١- الجزء الأول ، طبعة قديمة

١٨٩٨

طبع الجزء الأول من « الشوقيات » بمطبعة الآداب والمؤيد بمصر سنة ١٨٩٨ م . وكتب عليه أنه يشتمل على القصائد (من سنة ١٨٨٨ إلى سنة ١٨٩٨) . وأعيد طبع هذا الجزء بنصه (الطبعة الثانية) في مطبعة الإصلاح بشارع محمد علي بمصر سنة ١٩١١ . والواقع أن تاريخ طبع الجزء الأول (١٨٩٨) ، وهو التاريخ المكتوب ، غير صحيح لأن تاريخ القصائد المنشورة يتتبع في سنة ١٨٩٩ لا ١٨٩٨ . ويأت ذلك : في آخر الديوان تاريخ لظهوره :

مجموعة لأحمد معجزة فيها بهر
تعد في تاريخها ألبق ديوان ظهر

١٣١٧

وأول محرم سنة ١٣١٧ يوافق ١٢ مايو سنة ١٨٩٩ . وتنتهي سنة ١٣١٧ في ٣ أبريل سنة ١٩٠٠ . فما لا شك فيه أن الديوان ظهر بين مايو سنة ١٨٩٩ وأبريل سنة ١٩٠٠ . وفي آخر الديوان قصائد نشرتها الصحف في سنة ١٨٩٩ منها (تحية غليوم الثاني لإصلاح الدين في القبر) :

عظيم الناس من يبكي العظاما ويندبهم ولو كانوا عظاما

نشر المؤيد هذه القصيدة ضمن المقالة (١٥) من « بضعة أيام في عاصمة الإسلام » بامضاء (ساحح) في ١٤ أكتوبر سنة ١٨٩٩ . ومنها قصيدة (المرأة العثمانية) :

يا ملكا تعبدنا مصليا موحدا

نشرها المؤيد ، كالسابقة ، ضمن المقال (٢٢) في ٩ نوفمبر سنة ١٨٩٩ . إذن أصبح ظهور (الشوقيات) محصورا بين نوفمبر ١٨٩٩ وأبريل ١٩٠٠ . وفي اعتقادنا بل يقينا أنها ظهرت في مارس سنة ١٩٠٠ أى في آخر سنة ١٣١٧ هـ . فقد قرظ (اللواء) الشوقيات في ٣٠ مارس سنة ١٩٠٠ . وكتب (المؤيد) في أول أبريل سنة ١٩٠٠ مقالة تحتل الصفحة الأولى كلها وعمودين من الثانية تحت عنوان (الشعر في هذا العصر) جاء فيها : « ظهرت الشوقيات للوجود ديوانا للعرب جديدا ، فرحبا به ديوانا ... » . وفي عدد ٣١ مارس سنة ١٩٠٠ من مجلة (الموسوعات) - وهي مجلة نصف شهرية - ظهر مقال نقدي تحت عنوان (الشوقيات . ديوان أحمد بك شوقي) جاء فيه « بشرى فقد ظهرت الشوقيات ... » .

وفي ١٥ أبريل سنة ١٩٠٠ نشر المؤيد إعلانا هذا نصه :

(الشوقيات)

(تطلب من صاحبها أو بواسطة المكاتب والقيمة عشرون قرشا صافا)

* * *

أما فيما يتعلق بطريقة جمع الشعر ونشره في (الشوقيات) ، فقد كتب شوقي في مقدمة الديوان ما يأتي : « كانت وفاة والدي من نحو ثلاث سنوات ، فكان لي عجبا أن وجدت بين أوراقه شيئا كثيرا من مشئت منظومي ومثنوي ما نشر منها وما لم ينشر ، قد كتب بعضه بالحبر والبعض الآخر بالريصاص ، والكل خط يد المرحوم ، وقد لفه في ورقة كتبت عليها هذه العبارة : « هذا ما تيسر لي جمعه من أقوال ولدي أحمد وهو يطلب العلم في أوروبا فكنت كأني أراه ، وإني أمره أن يجمعه ثم ينشره للناس ، لأنه لا يجد بعدى من يعنى بشؤونه » ، فبينما أنا ذات يوم تعب بهذه الأوراق ، حيران لوصية الوالد كيف أجريها ، زارني صديق مصطفي بك رفعت فحدثته حديثي ، فسألني أن أعيره الأوراق أيا ما ثم يعيدها إلي ففعلت ، ثم لم يمض شهر حتى بعث بها إلي ، وإذا هي قد نسخت بقلم مليح يؤيده ذوق صحيح ، بحيث لم يبق إلا أن تدفع إلى المطابع . على أن ما جمع من (الشوقيات) ثم طبع ليس هو كل ما قيل ، فقد أسقطت منه الكثير وعثرت على غيره ولكن في الزمن الأخير ،

فأما ما أسقط عمداً فما كثره من قول في زمن الصبا الذي لا يؤمن فيه على المرء الغرور .
 لكنني حرصت على إثبات بعض الشيء منه ، وأما ما عثرت عليه والمجموعة في أيدي الطباع
 فلم يكن في الوسخ أخذه ، على أنه محفوظ ليفشر في الجزء الثاني إن شاء الله تعالى مع سائر
 القصائد التي قبلت بعد الإعلان عن الشوقيات ، ولم يتيسر إدخالها في أبواب هذا الجزء ،
 وقد عرفت بحول الله وشيئته على أن أفشري آخر كل عام هجري ما يحصل عندي من
 منظوم ومشور . . . انتهى .

ظهر أول نقد للشوقيات في (مصباح الشرق) حيث نشر محمد المويحيى عدة مقالات
 متتابعة ولكنه لم يثمها . أول مقالة في عدد ٢٠ أبريل سنة ١٩٠٠ تحت عنوان (أمر بيكانك
 لا مضحكائك) : " قيل لأفلاطون ملك تمارض سقراط في أقواله وأنت تحبه ؟ قال :
 أحب سقراط ولكنني أحب الحق أكثر منه . وطى ذلك نبداً فيما بدا لنا الكلام عليه
 من ديوان حضرة الشاعر الفاضل شوقي بك . صدر الشاعر ديوانه بمقدمة طويلة تكلم فيها
 عن الشعر وعن نفسه . أما المقدمة من حيث صناعة الإنشاء ومن حيث اللغة ، فإنها تدل
 على أنه شاعر لا نثر ، وتدل على أنها كانت تحتاج إلى إعادة نظر للتنقيح والتصحيح ،
 فإذا نظرت في الصحيفة الأولى وجدتها يقول فيها عن الشعر : قاله أمرؤ القيس
 واصفاً وحاكياً . وضاحكاً وباحكاً . وناسياً وغازلاً . والغازل هنا من قولك غزلت المرأة القطن
 والكان وغيرهما غزلاً مدته وقتله خيطاناً أما إذا كان غرضه الغزل محرراً فلا يأتي
 اسم الفاعل غازلاً وإنما يقال رجل متغزل وغزل ككتف وغزير . وقال في الصحيفة
 نفسها عند كلامه على قصيدة أبي فراس :

أراك عصي الدمع شيمتك العبر أما للهوى نهى عليك ولا أمر

« ليست لإعقاد توحيد سلكه وتباهت جواهره ودق نظامه . تعاونت فيه ملكة العربي وسليقة
 الشاعر على حسن الحكاية » وكان المصواب أن يقول : « سليقة العربي وملكة الشاعر »
 لأن الملكة لكل الناس والسليقة للعربي خاصة . قال بعض شعرائهم :
 ولست بنحوى يلوك لسانه ولكن سليقى أقول فأعرب

هذا من حيث اللغة . وأما من حيث الكلام عن الشعر فإنك تراه في المقدمة مضطرباً
 متناقضاً فتارة يرفع الشعر العربي إلى درجة عالية . . . وتارة يثزل به إلى أدنى دركة فيقول :

(١) كان شوقي يتألم من القول إنه شاعر لا كاتب . والواقع أنه ليس كاتباً كطهران مثلاً يبالغ فنون القول ولكنه
 تأنزه آيات من النثر الشمرى المرحل والمسجوع .

«إني قرعت أبواب الشعر وأنا لا أعلم من حقيقته ما أعلمه اليوم ولا أجد أمامي غير دواوين
لوقت لا مظهر للشعر فيها وقصائد للأحياء يحذون فيها حذو القدماء والقوم في مصر لا يعرفون
من الشعر إلا ما كان مدحا في مقام عال». ثم قال في موضع آخر عن الشعراء حتى عن آخر
التأخرين: «ولا فن دواوينهم ما يخفى أن يكون المثال المحتذى في شعر الأمم كابن الأحنف
مرسل الشعر كتباً في الهوى ورسائل» وكان خفاجة شاعر الطبيعة^(١)، ومجنون ليلاها وواصف

(١) لو أن شوق شرب البيرة الأوردية وأدب الإفرنج لعرف الفرق بين الجديد والقديم في مذاهب الإفرنج والعرب
ولما قال إن ابن خفاجة شاعر الطبيعة. . . إلى لا أجد لابن خفاجة شعرا يشف عن وجد الطبيعة وتعلق بها. إنه
ذكر الأشجار والغمام والجداول كما ذكرها غيره من المتقدمين — وربما كان أضف منهم — وليس في شعره إلا تشبيه
وتكلف. يصف الليل فيقول :

وليس كما مد الفسراب بجانحه وسال على وجه السجبل مداد
به من وميض البرق والليل لجمة شرار ترائي والغمام زناد

أين هذا من قول البعترى :

والليل في لون الفسراب كأنه هسوق حلوكة وإن لم يجب
وله يأتي بالتشبيه الزاعم ولكنه لا يثبت أن يفسده بتشبيهات أخرى وصور متراكمة. «لا بد منه» ووصفه. مثال
ذلك : ذكر الجبل فيقول :

وأرعن طامح القنطرة بأذخ يطاول أعتان النماء مقارب
يد مهب الريح من كل وجهة ويرزم ليلا شبه بالنسك
وقصور على ظهر الفلاة كأنه طوال الليال مفكر في العواقب

هنا تمت الصورة كالقمر المثل ولكن شاعرنا يأتي إلا أن يشوها بعد ذلك بقوله :

بلوث عليه الغيم سود عمام لها من وميض البرق حر ذوائب
أصغت إليه وهو أرحم صامت لحدق ليل السرى بالمجانب
وقال ألا كم كنت ملجأ قاتل وموطن أواه تبطل تائب

ويصف ابن خفاجة سرعة على نهر فيقول :

وسرعة لحاض منها ظلها نهرا أوفت عليه فلم تنقص ولم تزد
كما تدانعت من نهر لم تشف ثم انثيت فلم تصدر ولم ترد
كأن أفتانها طيبا حتى نملك أغضى وأعطى فلم يوعد ولم يعد

هذا شعر غث. ولعل أحمل ما قاله ابن خفاجة اللذان رواهما إلى المرحوم حافظ إبراهيم وقال إن إسماعيل
صبري معجب بها.

يقالنا الصباح بطن جزى فيسكننا ويعرفنا القللام
فيأظلل الشباب وكنت تسدى على أفتناء سرحك السلام

ولكن هذا الجيد نادر في شعر ابن خفاجة. ولا جدال في أن أرق قطعة شعرية في الطبيعة عند الأندلسيين هي أبيات
حمدة بنت المزدب المشهورة في وصف واد :

وقاما للحممة الرضباء واد سقاء مضاعف الفيث السيم
نزلا دوحه فحشا علينا حنن المروضات على القطيم

بدائعها وحلاها، وكالبهاء زهير سيد من ضحك في القول وبكى، وأنصح من عتب على الأعبة واشتكى، وحسبك أنه لو اجتمع ألف شاعر بعزهم ألف نائر على أن يحملوا شعر البهاء أو يأتوا بنثر في سهولته لأنصرفوا عنه وهو كما هو .

ومن كان نظره في البهاء زهير ورأيه فيه هكذا كيف يكون رأيه في خول الشعراء كسليم ابن الوليد وأبي تمام والبحرئى وابن الرومى . ثم هو بعد ذلك ينزل بالشعر العربى إلى أن يقول : « ثم طلبت العلم في أوربا فوجدت فيها نور السبيل من أول يوم وعلمت أنى مسثول عن تلك الهبة التى يؤتىها إليه ولا يؤتىها سواه وأنى لا أؤذى شكرها حتى أشاطر الناس خيراتها . وإذا كنت أعتقد أن الأوهام إذا تمكنت من أمة كانت لباغى إبادتها كالأنفوان لا يطاق لقاءه ويؤخذ من خلف بأطراف البنان جعلت أبعث بقصائد المدح من أوربا مملوءة من جديد المعانى وحديث الأساليب بقدر الإمكان » . ومعنى هذا أنه وجد

وأرشفنا جبل ظلما زلالا
بمسد الشمس أنى واجهتنا

وقد نظر شوق إلى معنى البيت الأخير فقال يصف الخيلة :

وقف الحيا من دونها مستأذنا
ومشى التسميم بظلمها مأذونا

والواقع أن شوق درس الأدب الأفرنجى دراسة حارة لا دراسة استحياب وأنى له ذلك وهو كالتحفة المتفتلة من زهرة إلى زهرة . فهو ليس بالأديب الذى يحكم وحسبه أنه الشاعر العظيم الملمهم الذى ملا الدنيا بأظار يده . روى لى نايضة الخط الأديب سيد إبراهيم أنه كان في مجلس ضمه هو وشوق والمفخور له كامل كيلانى في الإسكندرية ، وجاء ذكر الشاعر ابن زيدون ، وكان ديوانه قد ظهر مطبوعا لأول مرة في مصر بمثابة كامل كيلانى وذلك في منتصف سنة ١٩٣٢ فقال شوق « إن جميع معانى لىالى موسى في ابن زيدون » . وهذا قول غريب . لأنه « بصرف النظر عن أن الشعر ليس بجوده معانى ولكنه قبل كل شئ شعور وتصوير ، فما لا ويب فيه أن لىالى موسى من شعر الحب الصادر من أعماق القلب الحزين الزالة . وهى صيحات متضجرة كلها لوعة وضرام وأنين ينظمها نفس عال كنفس مجنون ليل وكثير منة وجيل يئس . والفرق بين موسى وشعراء الحب في الجاهلية أن الشاعر الفرنسى جمع أخاها كلها وحنيه وتحناه في صمط اليبالى الأربع التى هى من أمضى الشعر الغنائى جوهرا ، وأن شعراء العرب لم يكن نفر يدهم نفر يد سرب منجوق في القضاء ولكن نفر يد أطياف متفرقة يطلق الواحد منها نور الآخر في الأحالي بين القبة والقبة ويصدهج . . ولا شك أن ابن زيدون شاعر دقيق حلو النعم ولكنه ليس من طبقة الفحول . .

(١) مثال من بعض قصائد المدح التى أرسلها من باريس في سنة ١٨٩٣ وهى آخر سنة له فيها : جاء من قصيدة نشرتها له (الأهرام) في ٢٢ أبريل سنة ١٨٩٣ :

دام ذا الوجه مقصد الأعياد
فإذا دام فالرجاء مخير
يا بديع الطريف في كل مجد
هل سبيل إلى شفاتك إلى
وأنا ابن الرياض والظل والد

نور السبيل إلى الشعر العربي في أوربا من أول يوم وأنه وجد في مصر أوهاما كالثعبان لا يؤخذ إلا بالحيلة فاحتال عليه بقصائده على الأسلوب العربي الحديد الأوربي لإبادة تلك الأوهام التي تمكنت من الأمة العربية . وهذا أغرب ما روى لأن الشعر ألفاظ ومعان فالرجوع إلى العربية والأخذ عن أهلها واجب من جهة الألفاظ . أما من جهة المعاني فقد طالعنا ما قدرنا على مطالعته من شعر الغربيين فلم نجدهم أطول باعا من الشرقيين في المعاني بل الشرقيون يفوقونهم فيها ، وهم إلى الآن لا يزالون في المعاني عبالا على اليونانيين والفرس والعرب ، ينتحلونها ويزينون بها أشعارهم . وأما من جهة المواضع الشعرية والتغنى بالطبيعة ووصف الكون مما يشير إليه في مقدمته فهو يشهد نفسه « أن شعراء العرب حكاهم لم تغرب عنهم الحقائق الكبر ولم يفهم تقرير المبادئ العالية وأنهم أقدر الأمم على تقريبها من الأذهان وإظهارها في أجلى وأجمل صور البيان » .

ثم ختم المولى مقالته قائلا : « وقد قال شعراء الشرق ما قالوا في هذه الأبواب فإلى الشاعر الحديد إلا أن يتصفح دواوينهم فيجد فيها ضالته التي ينشدها فإن رآهم قد فاتهم شيء أو أغفلوا بابا في الشعر لم يفتحه فليقرعه وليتحف به أهل زمانه والكون والطبيعة أمامه في كل زمان ومكان وهو في غنى عن التطوق بالشعر العربي إلى أرض أوربا ليستنير بنور هداهما ويحتذى الصراط المستقيم بها . هذا ما رأيناه في مقدمة القسم الأول من الديوان وسنقبله الخ » . انتهى .

الواقع أنه لا شوق ولا المولى تشرب الأدب الغربي ، وليس في مقدور أحدهما الموازنة بين الأدبين ، ومن هنا نشأ الاضطراب والتناقض في أقوالهما . ليس في شعراء

= وفي ٦ يولي سنة ١٨٩٣ نشرت له الأهرام قصيدة تهنته للنديوى بالعيد والسفر إلى الاسنانة مطلعها :

بصوتك حاجتنا الممالك والمصر
وقلتا فيات مصر في مجدها مصرا

وفي ١١ أغسطس سنة ١٨٩٣ نشرت له الأهرام قصيدة يمدح فيها الخديوى ويشير إلى زيارته الأولى لدار السعادة . وهذه أهم وأول قصيدة سياسية نطقت في تلك السنة . ولذلك أعاد نشرها شوقي في الجزء الأول من (الشوقيات) طبعة سنة ١٩٢٦ . ويلاحظ أنه في سنة ١٨٩٣ بدأ الصراع على السلطة بين عباس وكرمر وكانت صحف الاحتمال تتقدم بعباس الذي أخذ يتقرب إلى تركيا ليعينه على انجلترا . وقد سافر إلى الاسنانة في أول زيارته له في يولي وعاد في أغسطس . وكان خليل مطران يرسل للأهرام في الاسنانة إبان هذه الزيارة . وقد نشرت الأهرام مقالة لمرورها خليل زينه في ٢٨ يولي سنة ١٨٩٣ تحت عنوان (مصر للصيرين) كما أن الأهرام والمؤيد كانتا يحملان على الانجليز ونظامهم بالجلاد وتحقيق الوجود المتكررة :

رضى المملوك والإسلام
ورلى السيد الخليفة نشكو
فرغ عن دم فذاك الدمام
بحور دهر أحراره ظلام
هل رأيت القرى علاها الجمال
ومصدوها لنا ومصدوا كجارا

العرب قد بلغته أو شكسيرة ، وليس في الشعر العربي تلك السجع الطويل في أجواء الطبيعة والحياة ، ولكن الشعر العربي خصائصه وميزاته . فقد استبحر في الحب ، وصور أدق المواقف . كان الأعرابي خيرا بالمرأة لمخالطته إياها حرة سافرة كالغريبة اليوم ، وقد أبدع الإفرنج في تحليل الحب ، ولكن القليل منهم انقطعوا لشعر الحب ، وأفنوا العمر في التشبيب والتفتى المحبوبة كما عند العرب ، كما أن شعر الحكمة والحكمة والفخر عند العرب لا نظير له عند الإفرنج ، لأنه العبقريه العريضة وحدها هي التي فاضت به . ولهم في بكاء الديار والأيام والنعم الزائل صرخات في الكون ، لا تهل في بهاتها وروعها عن صرخات الإفرنج أمام سرّ الوجود المفق ، والسكون المزيج في الغضاء ، كما أن تصوير الحيوان والبادية في الجاهلية — وهو ما فصلناه في الشواخ — لا مقابل له عند الإفرنج . وإذا كان الشعر العربي يمتاز بحمولاته وبنائاته العالية المتناسقة ، فإن الشعر العربي يمتاز بمقطعاته وأبياته « الغنائية » التي تبرز أجسدة الحنين إلى السماء الناضر ، وبقصائده القصيرة المتلائمة مع نزعة العربي الذي تسيطر عليه في كل المصور روح الفنون والآمال . وكل أية حال لم يحسن المولى حتى تفسير قول شوقي : « وإذا كنت أعتقد أن الأوطام إذا تمكنت من أمة كانت لباغى إبادتها كالأفعوان لا يطلق لقارده ويؤخذ من خلف بأطراف البنان إلخ » . يريد شوقي أنه لا يمكن مفاجأة الأمة التي ألقت القديم وقدمته بالجديد دفعة واحدة ، فاحتال لذلك بإرسال قصائد المديح التي يأنس إليها القوم ، ولكنه ملأ هذه القصائد بمجديد المعاني وحديث الأساليب . وبقيننا أن حديث شوقي عن التجديد مجرد ثورة كلامية سطحية ، فالمدايح تنافي مع التجديد ظاهرا وباطنا ، وبعبارة أخرى تنافي مع روح التجديد والشخصية في كل عصر . لا ينكر أن بعض قصائد هذا الديوان الأول وبعض القصائد التي أحمل ضمها الديوان كانت تم على شخصية قوية وفهم مساعد في عالم الشعر ، ولا ينكر أن شوقي حاول التجديد في مواضيع القبول ، نظم هزجته الخالدة في تاريخ مصر في سنة ١٨٩٤ ، ونظم رواية على بك الكبير والقصص المختلفة على السنة الحيوان ، وهو وإن لم يوفق كثيرا في هذه أو تلك ، فقد طاف في آخر سنه وألف روايات تمثيلية رائعة ، كما نظم قطعاً شعرية جديدة على السنة البهائم والطيور ، وكلها تدل على نضج الشاعر الذي أضاف ثروة جديدة إلى راسمال الأدب العربي .

ب - الشوقيات - طبعة نهائية كاملة

في أربعة أجزاء

(١٩٢٦ - ١٩٤٣)

أعلن شوقي مرارا في السنوات التي أعقبت صدور الجزء الأول من الشوقيات (طبعة سنة ١٨٩٨) عن نيته في إصدار الجزء الثاني . وفي سنة ١٩١١ ظهرت الطبعة الثانية من الجزء الأول ، وهي ، كما قلنا ، صورة طبق الأصل من الطبعة الأولى ، وكان المفروض أن تشمل هذه الطبعة الجديدة القصائد الكثيرة التي أغفل الشاعر نشرها في الطبعة الأولى .

وقد نشرت مجلة (الزهور) لصاحبها الأديب الكبير الأستاذ أنطون الجليل في عدد أكتوبر سنة ١٩١١ تحت عنوان (ملحق بالشوقيات) ما يأتي : أهدى إلينا شاعر من أصدقاء (الزهور) وعشراء شوقي في عهد الصبا الأبيات الآتية ، وكان قد نظمها شاعر الأمير في مدح المغفور له توفيق باشا الحديوي السابق ولم نعثرها على أثر في الشوقيات ، بل وجدنا هناك أبياتا من وزنها وقافيتها . أما الأبيات المفقودة فهي :

مضنى وليس به حراك لكن يخف إذا رآك
ويميل من طرب إذا ما ملت يا غصن الأراك
إن الجمال كساك من ورق المحاسن ما كساك

إلى آخر الأبيات ، وهي تبلغ اثني عشر بيتا ، وهذا كل ما أنرجته الزهور بعد التمهض الطويل مع أن خليل مطران صاحب (المجلة المصرية) و (الجوائب المصرية) ، وحافظ حوض صاحب (الموسوعات) وجريدة (المنبر) ، وأبو شادي صاحب (الظاهر) ، وعلى يوسف صاحب (المؤيد) ، وغيرهم من أصحاب الصحف والمجلات التي كان ينشر فيها شوقي شعره بامضاء صريح أو مستعار كانوا لا يزالون أحياء ، وكان في وسع المرحوم أنطون الجليل أن يعرف منهم ما غاب عن شوقي منذ سنة ١٨٨٨ وهو كثير . . .

وفي عدد ١٥ ديسمبر سنة ١٩٢١ من (مجلة مركيس) أعاد صاحب المجلة نشر مقال ظهر في (الكشكول المصوّر) تحت عنوان : « شعر شوقي وجائزة نوبل . اقتراح على سليم مركيس » ، وكان مضمون هذا الاقتراح أن يقوم « مركيس » بمعونة إخوانه وأصدقائه الأدباء بجمع متحجبات من أقوال شوقي وترجمتها ونشرها بين أدباء الغرب ، وكان ردّ « مركيس » : « إن شوقي نفسه لسوء حظ الأدب العربي لا يهتم بشيء مما يهتم له سائر الناس ، فمنذ نحو

عشرين سنة انقضى بيننا ديوان (الشوقيات) ، ولا أدري من جمعه وطبعه ، ولكنى أعلم أن الإقبال عليه كان عظيماً . من ذلك الحين تفج شعري شوقى . ثم إن العشرات من أصحاب المكاتب والمطابع طالما توسلوا إليه وطلبوا منه بإلحاح أن يسمح لهم بطبع ديوانه الثانى وهو لا يفعل . وما أذكره أنه كان طالما منى أوروباً قبل الحرب ، واجتمع فى البانحة بسيد باشا شقير ، وجرى لها حديث من شعري شوقى والسبب فى عدم نشره ، فاعتذر شوقى بأنه يحتاج إلى ذى منزلة ونشاط يرتب الديوان ويقدمه للطبع ويعنى به . فقال شقير باشا لى فى سلم مركيس الفنى وهو القادر على كل ذلك . روى لى هذا الحديث شوقى نفسه ، فوافقت وحررت أن أفعل إذا هو دفع إلى قصائده ، فأجبتها فى أحسن نسق وأجمل طبع مع الشروح اللازمة فشكروا وصد ، وكان ذلك منذ عشر سنوات ولا أزال أنتظر . فإذا كان شوقى لا يهتم كل هذا الزمان بنشر ديوانه ، مع طبعه بميل الناس واستعداد أصحاب المكاتب والمطابع ، فكيف يتخطر صاحب الاقتراح أن أكلف أنا قسماً كثيراً من وقته ونشاطى وإلحاحى لأتوسل إلى شوقى أن يساعدنى على قضاء هذه المهمة .

وإن كراتى راقت شوقى فى رحلته إلى أوروبا فى صيف سنة ١٩٢٣ ، وكان يفكر وهو فى باريس فى الذهاب إلى شاطئ البحر فقلت له : « أريد أن أتهد هذه الفرصة لتاريخ حياتك وشعرك » ، فبادرنى بسؤاله : « ما زكام ؟ » فأجبت : « مش عايز حاجة » ، وانتهى كل شئ .

كان موت شوقى فى سنة ١٩٣٢ بعد صدور أهم جزأين من أجزاء الديوان ، وقد أُرصدت مجلة أبولو عند ديسمبر من تلك السنة لذكرى الشاعر . جاء فى ختام « ذكريات » داود بركات صفحة ٣٦٦ ما يأتى بالنص : « ولو أن قصائد شوقى ومنظوماته جمعت بالتتابع ، مع مراعاة زمن نظمها وظروف التى دعت للشاعر إلى النظم ، وبيان ما فيها من إشارة وتلويح وتلميح ، لكان من ذلك فى نظرى وعقيدتى أجمل ديوان ، ولكن هذا الديوان أصدق تاريخ لحوادث مصر منذ عهد الخديوى توفيق إلى اليوم . وأما جمع ديوانه على الطريقة التى جمع فيها بعض شعره فى العهد الأخير ، فعمل لا يفى شعري شوقى مقامه من الشعر والتاريخ معا ، ولربما كان الأمر سهلاً بعض المبهلة اليوم ، ولكنه يصبح مستحيلاً بعد بضع سنين ، إلا إذا كان شوقى قد دون ذلك بيده كما كان يعد » .

وفى نفس العدد (أبولو ، ديسمبر سنة ١٩٣٢) جاء فى مقال الأستاذ على محمد البحراوى عن (الشعر الفنى فى نظم شوقى بك) : « وستلقى غير قليل من الجهد وأنت تتلمس الشعر

الفنى فى الشوقيات . ولست أدري كيف جاء ترتيب جمع القصائد فيه ، فلا هى جمعت بالقافية والروى كما كان يفعل الشعراء والناشرون القدامى ، ولا هى جمعت حسب تقسيم الموضوع كما يفعل بعض المحدثين . ولكن الواقع أن عدم نشر شعر شوقي بالترتيب التاريخى جناية أدبية على شعر شوقي ذاته ، فسيفف الذى لا يعرف مناسبات شعره بعد ذلك موقف الحائز لا يدري متى قال هذا ومتى نظم ذاك ، لأن كل شعره فى صياغته وقوة نسجه سواء .

وفى أواخر سنة ١٩٢٢ كان حسن السندوبى أعلن عن طبع كتاب (الشعراء الثلاثة) شوقي ومطران وحافظ ، فهاج فهم قنديل صاحب جريدة (عكاظ) ، وكتب فى عدد ٧ يناير سنة ١٩٢٣ : « لم يضمن شوقي بك كما يزعم السندوبى أفندى بطبع شعره مجموعا فى سفر ، ولم تقف به همته عند تلك القطعة التى طبعت منذ عهد بعيد ، فقد رخص لنا منذ ثمانى سنوات بطبع الجزء الثانى من الشوقيات ، فأخذنا ننشره فى « عكاظ » استعدادا لطبعه تحت عنوان (الشوقيات) أخذنا فى جمعه وترتيبه وفى تشكيكه وتبويبه ، وفى شرح بعض مفرداته وغريبه . ولكن ظروفنا وأحوالنا حالت بيننا وبين ما نريد : الحرب التى داهمتنا فغيرت كل شئ فى مصر حتى عرشها ، إخلاص أمير الشعراء لمولاه ، ذلك الإخلاص المبعثر المبعثر فى جميع قصائده ، قلم الرقيب الذى كان يحيد مجالا فسيحا فى حقيقتنا ، فيعمل عمله فى الشوقيات شطبا وحذفا وتشويها وإفسادا . كل هذه أمور جعلتنا نعدل عن طبع الجزء الثانى من الشوقيات إلى حين » انتهى .

لا شك أن صاحب « عكاظ » مغالط ، لأن لشوقي شعرا كثيرا رائعا ، لا علاقة له بمذاهب عباس ، ولا سلطة للرقيب عليه ، لأنه شعر وجدانى أو وطنى ، لا يحيد الرقيب فيه سياسيا بمصالح البلاد . وقد نشر السندوبى مختارات من شعر الشعراء الثلاثة المتداول المشهور ولم يأت يحدد .

وفى مايو سنة ١٩٢٦ أصدر شوقي الجزء الأول من الشوقيات (المجموعة الجديدة الكاملة) . وفى سنة ١٩٣٠ أصدر الجزء الثانى ، وبذلك تم صدور أكبر وأهم جزأين فى حياته وتحت إشرافه . وقد كتب رئيس تحرير (الأهرام) فى ١٠ ديسمبر سنة ١٩٣٠ تحت عنوان (دولة الشعر والشعراء . شوقي أمير البيان وصاحب الصولجان . فى جزء ديوانه الثانى) . أهم ما قاله : « ونجد إهمال التاريخ فاصحفا فى هذا الديوان » .

مات شوقي في أكتوبر سنة ١٩٣٢ . وفي سنة ١٩٣٦ صدر الجزء الثالث (المراثي)
بعد وفاته . وفي سنة ١٩٤٣ أصدر الأستاذ سعيد الريان الجزء الرابع ، وهو جزء على غير
نمط الأجزاء الثلاثة الأولى التي طبعها أو أعدها شوقي للطبع قبل وفاته .

كتب الأستاذ سعيد الريان في مقدمة الجزء الرابع يقول : « وبعد فهذا هو الجزء الرابع
من الشوقيات ، دفعه إلى من دفعه قصائد من صحف وجزازات من ورق وبقية من
مطبوعات أو محفوظات أكلها البلى ، لأنظر في ترتيبها وتبويبها وإخراجها دبوانا ، ومن
التجوز أن نسمي ذلك جزءا : فـا هو إلا بقية أو شيء من البقية التي لم تنشر في الأجزاء
الثلاثة الأولى من الديوان ، فليس يحجبها باب ولا تضمها وحدة ولا تميزها خصيصية من
خصائص شعر شوقي ، وإن منها لآخر ما قال وأوائل ما نظم من شعر الصبا . ولقد تكون هذه
وحدها خصيصية لهذه المجموعة من شعر شوقي . على أن ذلك الجزء ليس هو كل ما بقي من
شعر شوقي بعد الأجزاء الثلاثة الأولى . ولكنه كل ما دفع إلى بما تهبأ بلامعه أن يجمعه ،
وأرى شيئا ما قد فات أو قد أغفل نشره استجابة لبعض الدواعي العامة أو الخاصة ، أو لعل
للشاعر ، رحمه الله ، كان له رأى في إغفال شيء من نظمه بلغة أسباب أو زوال أسباب ،
ومهما يكن من شيء فهذه حقيقة ينبغي أن أذكرها . . . »

وكتب أحمد عبد الوهاب أبو العزسكرير شوقي في كتابه (الإثنا عشر عاما الأخيرة) الذي
صدر سنة ١٩٣٢ ما يأتي عن مؤلفات شوقي التي (تحت الطبع) : « كتاب عظماء الإسلام ،
الشوقيات جزء ثالث ، الشوقيات جزء رابع ، رواية السيدة هدى ، رواية البخيلة ، كشكول
جامع لقصائد لم تنشر وقصائد سهلة للأطفال والأغاني الخ ، وربما أخذت ثلاث مجلدات » .
وقد نشر الأستاذ سعيد الريان بعض قصائد شوقي الأخيرة التي لم تنشر في ديوانه كما نشر
قصائد الأطفال التي سبق نشر معظمها في الجزء الأول القديم . وظاهر أن أبناء شوقي
وسكرتيره لم يتمكنوا من إمداد الأستاذ الريان ببعض القصائد الكبرى التي نشرها شوقي
في العشرينات الأخيرة كقصيدة (الله) (١٩٢٤) ورتاء على بك بهجت (١٩٢٤)
ورثناء عبد اللطيف الصوفاني بك (١٩٢٥) ، وقصيدته في الاحتفال الخمسيني بدار العلوم
(١٩٢٧) ، وقصيدته في الحلقة الختامية لمؤتمر الموسيقى (١٩٣٢) الخ . . . وأذكر أني قلت

(١) أخبرني الأستاذ الأدب الشاعر محمود أبو الوفا الذي أصدر الجزء الثالث في سنة ١٩٣٦ أنه اشتغل
في دار الكتب زمنا طويلا في جمع (المراثي) وكان التساخ يسفونها له ، وأنه أيضا جمع مواد الجزء الرابع وزكها عند
الأستاذ أبو العزسكرير شوقي . وقد نشرت المكتبة التجارية الجزء الرابع تحت إشراف الأستاذ سعيد الريان .

للأستاذ حسين شوقي إن هناك قصائد كثيرة عظيمة متأخرة لم تنشر في الديوان فأبدى شكه في صحة قولي وأضاف «لعلها قصائد سياسية أغفل أبي نشرها» . فقلت «إنها أبعد القصائد عن السياسة ، وهي من أروع شعره» ، وقد نشرنا لشوقي في هذه المجموعة حوالى ثلاثين قصيدة نظمها في الفترة الأخيرة فقط (١٩١٩ - ١٩٣٢) ولم تنشر في ديوانه ، وهذا عدا الأغاني وقصائد الغناء التي نشرناها على حدة في آخر المجموعة ، والتي كلفنا جمعها وتحقيقها عناء كبيرا ، وقد يبدو ذلك غريبا في عصر الطباعة والنشر ! ، ذلك لأن هذه الأغاني غير مجموعة في كتاب ومعظم (الإسطوانات) والأصول لا وجود لها عند الشركات التي سجلتها .

أما فيما يتعلق بالشعر القديم الذي نظمته شوقي في الفترة الأولى (١٨٨٨ - ١٨٩٩) والفترة الثانية (١٩٠٠ - ١٩١٤) ولم يظهر الكثير منه لا في الجزء الأول القديم ولا في ديوانه الأخير فما لا ريب فيه أن البحث عن ذلك الشعر كان يتطلب البصر والسن والتجارب والإلمام بالعصر من كل نواحيه إلمام من ماث فيه . وهذه صفات قل أن تتوفر عند المتصدين لنشر الديوان فلا لوم عليهم ، ولكن المعلوم الأول هو شوقي نفسه الذي اعترف في مقدمة أول ديوان ظهر له بما يتوره من نقص ، كما أنه ظل السنوات الطوال بعد ظهور ذلك الديوان يعلن عن إعداد الجزء الثاني من الشوقيات للطبع ولكنه لم يعد شيئا . روى الأستاذ أحمد محفوظ في كتابه (حياة شوقي) ص ٤٥ : «حتى أنه (شوقي) لما أراد طبع ديوانه لمحى كل ما يتصل بعباس وتوفيق عنه ، ولم تظهر هذه المدائح إلا في السفر الرابع من الديوان وقد نشرها بعد موته أولاده ، وفي هذا الشعر الذي نبذه في حياته جمال في وتاريخ خليقان بالتسجيل» .

وفي صفحة ١٤٤ من الكتاب المذكور قال محفوظ : «ولبت قرابة سبعة وعشرين عاما لم يطبع له ديوان ، وظل أنغم شعره وأروعه وأخلده متورا في الصحف وعند عشاقه من الأدباء والقليل عنده فلو مات شوقي قبل أن يطبع ديوانه الثاني لضاع هذا الذخر الخالد ولكنه عني بطبع ديوانه الجديد ، فكان يطلب إلى أن أبحث له في الصحف المحفوظة عن قصائده ، فأنظت هذا العمل برجل يعمل نساخا في الدار ليبحث ، حتى إذا عثر على قصائده نسختها ، وقد جعلت له عشرة قروش يدفعها له شوقي عن كل قصيدة يعثر عليها وينسخها ، فجمعت له قصائد عديدة ، فكان يرضى عن بعضها فيلحقها بالديوان وي طرح بعضها آخر ، وكان أكثر هذا المطروح في مدح توفيق وعباس ، وبدأ في طبع ديوانه ، فاختص الجزء الأول بما قاله في السياسة والاجتماع والتاريخ ، واختص الثاني بالوصف والغزل وبعض قصائده

وسماها المتفرقات، ثم مات ولم يظهر له إلا جزآن : الأول والثاني . ثم نشط أولاده من بعده فأخرجوا جزأين : الثالث والرابع ، تضمن الثالث مراثيه كلها إلا قصيدتين أحدهما في فتحي زغلول والثانية في عبد اللطيف الصوفاني ، وتضمن الرابع متفرقات من المدايح التي أظفلها ، وبعض إخوانياته مع محبوب ثابت وقصص عن الحيوان ، وشعره في أولاده وغير ذلك .

وكتب محفوظ في صفحة ١٤٦ : « وقد وقف على تصحيح الجزء الأول : الدكتور سعيد عبد ، ووقفت أنا ونجمله على شوقي على تصحيح الجزء الثاني ، ووقف على مراجعة الثالث الشاعر محمود أبو الوفا ، ووقف على تصحيح الرابع الأستاذ سعيد العريان » .

ظاهر مما تقدم أن القوضى التي سادت طبع ديوانه الأول القديم زادت واستفحلت في ديوانه الأخير (الكامل) بأجزائه الأربعة ، وظاهر أنه لم يكن موفقا في اختيار بعض أعوانه واختيار الطريقة التي كان يجب اتباعها في جمع شعره ونشره، مثال ذلك تكليف أحد النساخ بالبحث عن قصائده في مجلدات الصحف القديمة ونسخها نظير عشرة قروش القصيدة ! كان شوقي لم يكنه ما جناه للنساخ مجهولهم على الشعر العربي قديمه وحديثه ! وإن كان مجرود النسخ يحتاج إلى عين أديب فإن البحث عن الشعر في بطون الصحف يحتاج إلى نظر فاحص وأدب واسع وصبر مضى ..

وإذا تركنا جانبا إهمال تاريخ القصائد، وما في بعض القصائد القليلة المؤرخة من أخطاء وما إلى ذلك من عدم ذكر المناسبات ووضع الشروح الوافية فقد ظل شعر كثير لشوقي، من جيد شعره وأحسنه، مجهولا . ففي المراثي مثلا لم ينقل الديوان قصيدتين فحسب — كما زعموا — وهما رثاء فتحي زغلول ورثاء الصوفاني بل ست عشرة قصيدة حتى بلغ مجموع القصائد المجهولة حوالي المائة والثلاثين أو قرابة . . . بيت من الشعر يجلدها القارئ بين دفتي هذه المجموعة، وقد وجدنا ما وجدنا بعد أن نشرت مجلة (أبوآو) في عدد ديسمبر سنة ١٩٣٢ بضع قصائد لشوقي قالت إن معظمها لم ينشر، وقد انتظم الجزء الرابع هذه القصائد .

وفي سنة ١٩٥١ قامت مجلة (الرسالة) بسبب عنور الأستاذ عبد القادر وشيد الناصري على قصيدتين اثنتين ، نشر الأولى منهما في عدد ٢٨ مايو سنة ١٩٥١ تحت عنوان (شوقية لم تنشر في الديوان) وهي في عيد الجهاد :

خطونا في الجهاد خطي فساحا وهادنا ولم نلق السلاحا

ونشر الثانية في عدد ٢ يولية سنة ١٩٥١ تحت عنوان (شوقية أخرى لم تنشر) وهى في تكريم
سامى الشوا :

يا صاحب الفن هل أوتيته هبة وهل خلقت له طبعاً ووجدانا
والخلاصة أن مجلة (الزهور) في سنة ١٩١١ طنطننت بإيراد قصيدة هزلية في مدح توفيق
غير منشورة في الديوان القديم ، كما أن كاتب (الرسالة) ضرب الطبل حول قصيدتين
لم تنشرا في الديوان الكامل الأخير ، هذا كل ما وفق إليه البحث والباحثون قبلنا^(١) .

ج - الشوقيات المجهولة أضواء على البحث الحالى ومنهاجه

تمهيد : كنت أقرض الشعر منذ صباى وقد أصدرت في سنة ١٩١٠ الجزء الأول من
(شعراء العصر) ، وفي سنة ١٩١٢ الجزء الثانى ، فكنت في ثيار الحركة الأدبية الكبرى التى
بدأت في أوائل القرن ، وكنت على اتصال برجالها جميعا . أذكر أن أول معرفتى بالمرحوم
إسماعيل باشا صبرى كان في سنة ١٩١١ في أثناء حرب طرابلس ، وكنت نظمت قصيدة
في هذه الحرب عنوانها (يابنت روما) فاختر داود بركات وعبد الحليم المصرى منها تسعة
أبيات نشرتها (الأهرام) في ١٦ أكتوبر سنة ١٩١١ بإمضاء (إسماعيل صبرى) فاضطر
إسماعيل صبرى في اليوم التالى (١٧ أكتوبر) إلى نشر أبيات من نظمه أولها :

بعض هذا الجفاء والعدوان راقبى الله أمسة الطليان

كما نشرت (الأهرام) في نفس العدد (١٧ أكتوبر) في الصفحة الثانية في آخر العمود
الثالث ما يأتى : « قصيدة أمس - كتب إلينا محمد أفندى صبرى أن قصيدة أمس بعنوان
(يابنت روما) هى له فورد فيها اسم (إسماعيل صبرى) خطأ » .

وقد نشرت (اللواء) في عدد ٢١ أكتوبر سنة ١٩١١ القصيدة كاملة وهذا نصها :

(١) القصيدتان نشرتا ، كما قلنا ، في سنة ١٩٥١ ، أى بعد طبع الجزء الرابع من الديوان بثمانية أعوام . مع أنه
كانت هناك قصائد أخرى عظيمة لم تنشر في الديوان ، ومن الإنصاف أن نقدر أن مجلة الرسالة في سنتها الأولى (١٩٣٣)
خدمت الأدب خدمة كبرى بنشرها قصائد عديدة تحت عنوان (شوقيات لم تنشر) ، وذلك قبل صدور الجزء الرابع
الذى فضبن أكثرها .

يا بنت روما

يا بنت روما لا تكفوني كما كانت أمينا بين قبل وقال
دفت عدل الله في أرضه فاستوفى من شر ذاك المال
أطنت حربا فاصطلت نارها فانت للنار وقود حلال
أهلك قوم يخشون الدمى ويزجرون للطير طير الخيال
لا بدع أنت طاروا بالبابهم وأصبحوا من غيهم في خيال



هذى طرابلس وأبنائها لا شجوان يزجون صفوف القتال
دوارع الطلاب لم تستطع صبرا على النصف ورشق النبال
حتى هوت للقاع معصودة فدنست مئوى نفيس الآل

يا ليت

قد آن أن أصلت سيف الردى فقد عدا الذئب علينا وصال
إن لم أدد عن موردى بالقنا فلا صفا عيشى بتلك الليال
حلفت يا ليت ولما تحب فأزأر فقد حان وضوح الهلال
في يدك (المنجل) فاحصد به أعمار أقوام طغوا في الضلال
غدا يروى بالدماء الثرى وينبت النصر فترعى الشبال

يا شرق

يا شرق ضاع المجد في غمضة والعيش يمضى بين حال وحال
كم استباحوا حرمة بيننا وكم أذاقونا صنوف الوبال
يا حينذا لو عاد عيش لنا كان فأسمى في ربيع الزوال

« صبرى »

وعلى أية حال ظلت الأبيات التسعة التي سبق نشرها في (الأهرام) بامضاء
(إسماعيل صبرى) منسوبة له . وهي في ديوانه في صفحة ١٨٦ تحت عنوان (الحرب الإيطالية
في طرابلس) . وقد ذهبت بهذه المناسبة عقب نشر الأبيات ، للتعريف بإسماعيل صبرى

حاملًا خطابًا من حافظ إبراهيم يقدمني فيه إليه . فلما التفتت به وكان جالسًا في حديقة قصره رجب بن وسط ذراعيه كما يسطر الصقر جناحيه قائلاً « مستقبلك واسع . واسع » ثم علمت منه أن شوقي أرسل إليه برقية من الإسكندرية يهنئه بقصيدة (يا بنت روما) . وقد كنت أتردد منذ سنة ١٩٠٩ على المنفلوطي الذي أرشدني إلى (الوسيلة الأدبية) وشعر البارودي المنشور فيها . وهو الذي كتب مقدمة الجزء الأول من (شعراء العصر) . وكنت منذ سنة ١٩١١ كثير التردد على إسماعيل صبرى . وكان كلاهما (صبرى والمنفلوطي) يتذوق الشعر ويميز جيد الكلام من رديئه . لذلك كان أسلوب المنفلوطي من أنقى الأساليب وأصفاهها ديباجة^(١) . وكان أسلوب صبرى كالنثر المتخير يمدّه خيال خصيب وثقافة عالية . وكان كلاهما يتشبه^(٢) بذكر البحترى في المتقدمين وشوقي في المتأخرين .

كان شوقي صناجة العرب حقًا لا حافظ . كان حافظ إبراهيم يلقي قصائده ويحيد التطريب في إنشاده^(٣) . ولكن غناؤه لم يكن يتجاوز الأذان إلى أعماق النفوس . وكان أثر

(١) إنصافًا للتاريخ نقول إن المنفلوطي يستعمل أحيانًا تعبيرات وصورًا ركيكة ، وقد كان سيد كتاب العصر محمد المولى . ويخطئ الذين يقولون إن أسلوب المولى قديم استنادًا إلى ترث المسجوع في (عيسى بن هشام) وقد نسوا أن (عيسى بن هشام) تصور للجمع المصرى وأول تجديده في روح الكتابة الحديثة بما يتفق مع العصر . كما نسوا أن المولى كتب كثيرًا من مرسلة غير مسجوعة في (مصباح الشرق) . وهذه الكتابات جديرة بأن تجمع لينتفع بها المتأدبون وتخلدوا لذكرى صاحبها .

(٢) تشبثت الحرب والنار : انقذت .

(٣) كان حافظ يعرف أصول الإنشاد وقد سمعته مرارًا . كان لا يقف إلا عند إتمام معنى من المعاني ولم يكن مثلًا كعص شعرائنا وأدبائنا الذين يقطعون البيت والمعنى قطعًا فتلا أشد بهته المشهور :

مشيع الحوت من لحوم البرايا ومجيع الجنود تحت البنود

على مرتين : الشطر الأول ثم الشطر الثاني . ولكن (ممثلي) اليوم الذين يريدون تزويق شعرهم بالتطريب الزائف يقرأون هذا البيت على أربع دقات يخللها وقف وسكون : (مشيع الحوت . من لحوم البرايا . ومجيع الجنود . تحت البنود) . والواقع أن حافظ كان صناجة حقًا كما قال الأستاذ العقاد . كان كالأعشى من حيث التجويد في فن الإلقاء والسيطرة على سامعيه الذين كان يهزم طربا . ولكن الأعشى كان يعيش في عصر الخطابة لا عصر الكتابة التي هي أبعد أثرًا وعظم انتشارًا . عصر النماز والرواية لا عصر الصحف الميارة في شب يقرأ . ومن يقرأ شعر شوقي يسمع من ثنايا ذلك الشعر غناه وموسيقاه .

ولا شك أن كمية الموسيقى والأنغام العميقة في شعر شوقي أضعاف أضعاف موسيقى حافظ اللفظية الطافية التي هي أقرب إلى الضجيج الخطابي منها إلى الموسيقى . ولا يستطيع التطريب وحسن الإلقاء ، مهما بلغا من الاتقان ، إلا خلق موسيقى صناعية وقتية تنطفئ بمجرد الإلقاء . وإذا كان الأعشى لا يزال إلى اليوم صناجة العرب فلأن شعره لا يزال يحفظ « بحلته الموسيقية » منذ كان الشاعر يترجم به ويتناقله المغنون . وحسب الأعشى قصيدته الميمية في مدح قيس بن معدى كرب . ففي هذه القصيدة من الرقة وحلاوة النظم وجمال الحوار بين الشاعر وابنته — حوار لا نظير له في لغتنا — ما يجعلها خليفة بأن تكون إحدى الملقنات . جاء في ختام ذلك الحوار وهو ختام القصيدة : =

غناؤه أو شعره محصوراً في دائرة حقيقة . أما شوقي فكان لا يلقى شعره بنفسه ولا يعرض شعره على أحد ولا يتقنى به ولكن كانت كل قصيدة أو أبيات له تحدث دويماً كلما خرجت بها صحيفة من صحفنا ، وتتطلق هوائية كما يتطلق سرب الطير شادياً ومغزداً في كل أفق . كانت كل قصيدة لشوقي تهزنا وتضرم في قلوبنا نار الحماسة والحب والوطنية والإيمان والشوق والحنين والأسى على مجد ظابر أو حبيب مولى . . . كان شوقي ينقلنا على غناؤه من عالم البؤس والشقاء والنفاق والرق إلى عالم الحزينة إلى عالم الجمال والسحر . وإذا كان شوقي يضرب شعره على جميع أوتار قلوبنا فما ذلك إلا لأن العبقريّة كامنة في شعره كأنه فيه . وقد يظنونه أحياناً الغناء والطرب وبعض آثار القديم المستهجن ولكن ينبوع الشعر الخالد ينبوع العاطفة والوجدان لا يلبث أن يتكشف ويطلع غناؤه . وما مثل أولئك الذين يقولون عن البحترى إنه منقى ألفاظ - وفي مقالة منهم الرصافي - إلا مثل أولئك السطحيين الذين يقولون إن موسيقى شوقي في لفظه وموسيقى مطران في معناه . إن النغم الذي يشع من شعر شوقي ويتردد ويحترق في سلاسة يأتي من أسلوب شوقي ، من أعماق ألفاظه ومعانيه معاً من كيانه وخصبيته ، من جوده وعصره . وقد تعجل تلك السليقة الشعرية في صورة واسمة مؤثرة من مسود الحياة وأتمامها الحزينة في ثياباً كلمة واحدة ككلمة (استأخرا) في قصيدة حريق ميت غمر :

والأمهات بغير صبر : هذه تبكي الصغير ، وتلك تبكي الأصغرا

من كل مودعة الطلول ذميرها من أجل طفل في الطلول استأخرا

والقصيدة كلها مؤثرة ثم عن وجدان عميق وحس صادق . وقد نشرتها (مجلة المجلات العربية) في عدد مايو ١٩٠٢ . وقالت بهذه المناسبة : " إن شوقي اهتم بمجاذبة ميت غمر اهتماماً زائداً فسافر لرحل الحادثة ونظم قصيدته التي اختص بها مجلة المجلات " . وشان بين ماتليه العاطفة وما يمليه الخيال . لذلك كانت قصيدة شوقي أروع من قصيدة حافظ المشهورة التي يقول فيها :

سائلوا الليل عنهم والنهارا كيف باتت نسأهم والعذارى

كيف أمسى رضيعهم فقد الأ م وكيف اصطلى مع القوم نادا

كيف طاح العجوز تحت جداري شداي وأسقف تجاري

ففي ذاك الوقت أسوء
رخام بنسه لم حسر
فأروى الورد دماها
فماشوا بذلك في غمة
فطار القومول وليلاتها
ومأرب فق عليها المرم
إذا جاء مأزم لم يرم
على حمة مأزم ، إذ قسم
بغارهم جارف منهمز
بهاء فيها سراب يلم

وهي طويلة تبلغ الأربعة وعشرين بيتاً ، كلها تكلف ونجيج لفظي لا موسيقى فيه لأنه ما طل من الحياة . فعاطفة شوق ، التي خلق منها خياله صورة بل عالماً من الصور في كلمة ، هي وحى الشعر الصادق في جميع عصوره مهما اختلفت الأشكال وتوالت الأغراض .

لقد بكى الشعراء الشباب في جميع البلدان والأزمنة ، وبكاء الشباب موضوع قديم مطروق ، ولكنه يتجدد دائماً بقوة التبرات والنغم المستمدة من أعماق الشخصية والوجدان . بكى شوقي شبابه في باريس فقال :

يا مكتبي قبل الشباب وملعي ومقبل أيام الشباب النوك
ومراح لذاتي ومغداها على أفق بكسات النعيم مضوك
لما احتملت لك الصنعة لم أجد غير الفواقي ما به أجريك

وقد أتت هذه الأبيات الحرة بعد بيت « تقليدي » :

ومن العجائب أن واديك الشرى ^(١) ومراح الغزلان في واديك

لكن روائع القصيدة تنسينا مثل هذا البيت .

ولشوقي قصيدة خالدة من أمهات قصائده عنوانها (مصابير الأيام) نظمها حوالي

سنة ١٩٢٦ مطلعها :

ألا حبذا محبة المكتب وأحب بأيامه أحب

وهي منشورة في الجزء الثاني (ص ١٨٢ — ١٨٦) . ومؤلفة من ثمانية وستين بيتاً

كلها دور لا أستطيع اختيار شيء منها فليرجع إليها من يشاء . هذه القصيدة لا أعرف لها نظيراً في الشعر قديمه وحديثه في بكاء الشباب وزمن الدرس والمكتب . وفيها تبدو شخصية شوقي المجددة . وليست الشخصية ، بحال من الأحوال ، صورة مادية « فتوغرافية » تبرز في القصيدة ولكنها مجرد ملامح وخطوط روحانية تدلنا إلى شخصية الشاعر التي تزدد مع مرور الزمن قوة وتوجهاً .



دعاني المجلس الأعلى للفنون والآداب إلى المساهمة في مهرجان حافظ في صيف

سنة ١٩٥٧ وفي مهرجان شوقي في أكتوبر سنة ١٩٥٨ ، وفي أثناء إعداد المحاضرة الأولى

عن (حافظ وعصره) داني الأستاذ الأديب عباس حسن على قصيدة أو على أبيات مختارة

(١) الشرى مأسدة بجانب القرات يضرب بها المثل .

من قصيدة (المنار) وهي من جيد شعر شوقي والمعجب أنها كانت من مختارات الكتب المدرسية ولكنها غير موجودة في الديوان . وفي أثناء إعداد المحاضرة الثانية (التاريخيات والوطنيات في شعر شوقي) وجدت بين أوراق قصيدة (رواية فشوده) كان المؤيد نشرها في سنة ١٨٩٨ بمضاء مستعار . والقصيدة بلا شك من شعر شوقي الذي لم ينشر في الديوان كما أني وجدت قصائد ثلاثا في عرابي بمضاءات مستعارة ولكنني ما شككت لحظة في أنها لشوقي ، وقد أغفلها الديوان كثيرا مع أن الأمانة التاريخية بل والأدبية تحتمان علينا إظهارها . وما كنت انتهى من محاضرتي عن شوقي حتى التقيت بصديق الأديب البديل اللواء على مرسى فأطلبني على قصائد مهمة نظمها شوقي أحداها في (الله) وأخرى في رثاء علي بهجت ووضع تحت تصرفي بسطاء مجموعة طيبة من شعر شوقي الذي لم ينشر فكان ذلك أكبر حافز لي على مواصلة البحث والاستقراء في مكتبة القلعة حتى بلغ ما جمعته حوالي مائة قصيدة وأكثر . وكانت مفاجأة كبرى لنا .

وسبتين الفارسي النج الذي انبعضه في تاريخ القصائد ، وذكر ظروفها ومناسباتها وشرحها . إننا لم نهمل وسيلة من وسائل التحقيق ، فرجعنا مثلا إلى الأستاذ طاهر حقي مد الله في عمره ، فقد كانت يصدر (الجريدة الأسبوعية) من أكتوبر سنة ١٩٠٦ إلى ٣١ مايو سنة ١٩٠٨ . ولعله أقدم معاصر وصديق حقي لشوقي ، فقد مات تقريبا كل معاصري شاعرنا الذين كانوا ينشرون شعره ويعرفون أسراره . مات خليل مطران وكان يصدر (المجلة المصرية) التي ظهر منها ثلاث مجلدات بين أول يونية سنة ١٩٠٠ ومايو سنة ١٩٠٩ ، وجريدة (الجوائب المصرية) التي كان أول صدورها في ٦ فبراير سنة ١٩٠٣ ، واستمرت حوالي ست سنوات . ومات أبو شادي المحامي الشاعر الذي أصدر (الظاهر) في ١٢ نوفمبر سنة ١٩٠٣ ، ومات حافظ عوض الذي أصدر مجلة (الموسوعات) في سنة ١٨٩٨ ، كما أصدر جريدة (المنبر) في سنة ١٩٠٦ و (خيال الظل) في سنة ١٩٠٧ ، وقد رجعنا بطبيعة الحال إلى الصحف والمجلات جميعا من سنة ١٨٩٢ لغاية سنة ١٩٣٢ .

ومما زاد من وعورة البحث أن شوقي كان كثيرا ما يستعمل إمضاءات مستعارة ، لسبب أو لغير ما سبب . مثال ذلك نشر (اللواء) رثاءه في مصطفى كامل في ٢٣ فبراير سنة ١٩٠٨ دون أن ينص القصيدة وقائلها .

(الحياة في الموت)

« إن من البيان لسحرا ، وإن من الشعر لحكمة . تجلت صفات فقيدها العظيم في سماء
كلها لصديق من أصدقائه الذين عاشروه طويلا ، وعرفوا صدق طويته وطهارة سيرته ،
فأخذت تمل على وجدانها ما فيها من الحقائق ، وهو يترجمها بما عهد فيه من البلاغة الشعرية
بهاء بالآيات اليبينات ، وأتى من ضروب الحكمة بالمعجزات » .

ونشر المؤيد واللواء قصيدته الشهيرة (وداع اللورد كرومر) التي يقول في مطلعها :

أيامكم أم عهد إسماعيل أم أنت فرعون يسوس النيل

وكان ذلك في ٩ مايو سنة ١٩٠٧ تحت عنوان « صحيفة سوداء هنا . بيضاء هناك . لذات
كبير جليل . وشاعر من شعراء إسماعيل^(١) » . وقد تكون هاتان القصيدتان وأمثالهما من الشعر
السياسي الذي يخشى شوقي أن يخرج الأمير بنشره بامضاءه لصلته به . ولكن ما الحكمة
في نشره بامضاء مستعار (سائح) في المؤيد سنة ١٨٩٩ اثنين وعشرين مقالا أو قصيدة
في التاريخ والطبيعة تحت عنوان (بضعة أيام في عاصمة الإسلام) ، ثم ما هي الحكمة في نشر
قصيدته (ضج الجحاز وضج البيت والحرم) التي رفعها إلى السلطان عبد الحميد استصرخا من
الشريف وأخوانه في ١٤ إبريل سنة ١٩٠٤ بامضاء « الحاج ش » . وقد كتبت جريدة
(الواعظ) لصاحبها محمود سلامة بهذه المناسبة في عدد ٢٢ إبريل سنة ١٩٠٤ يقول : « إن
شاعر الدارين أنشأ قصيدة سماها « ضجيج الجحجيج » ، ونشرها اللواء الأغمر بامضاء « ش »
ولجواثب الغراء والظاهر الزاهر بامضاء « الحاج ش » ، فأرى قراء تلك الجرائد أن توارى
الشاعر بحجاب « ش » أو « الحاج ش » ، مع علمه أن أنفاسه تنامة عليه لسرا عظيما ،
وقالت علينا كتبهم تسألنا كشفه وبيان حكمته ، فراجعنا القصيدة لعلنا نتوفى لإجابة سؤالهم
فإذا أول بيت منها :

ضج الجحاز وضج البيت والحرم واستصرخت ربها في مكة الأم

وهو متروك من أسه لرأسه ، وأيس من التضمين في شيء ، لأن التضمين إنما يكون أخذ
شطر والشاعر جاز فأخذ الكل ، على أنه لو قصد التضمين لوضع البيت بين قوسين ، كما
هي عادته وعادة شعراء العصر .

(١) لشوقي قصائد كثيرة كهاتين القصيدتين بلا توقيع كما أن له قصائد كثيرة بامضاءات مستعارة منها (سائح)
(النديم) و(ش) و(أنا) و(تكرم برم) و(محتفل) و(أريحية شاب مصري) و(شاب مصري) ٠٠ الخ .
وكان شوقي يوقع أحيانا بامضاءات مستعارة مختلفة على قطع شعرية متنوعة متتالية في صفحة واحدة من (خيال الظل) .
وكان خليل مطران يوقع على بعض قصائده في (المجلة المصرية) تارة بامضاء (خليل) وأخرى بامضاء (نحي
الفنوس) ٠٠ الخ .

«ولما كان أول القصيدة ... ونظمتها مسروقة ، والسرقة لا تخفى في المطالع خفاءها في المقاطع وغيرها خاف شاعر النيل من « شرطة التأديب » أن يصروا به فيقبضوا عليه ويسوقوه إلى من يأخذ الجارم بجرمه فتوارى بذلك الحجاب » .

وهذه القصيدة منشورة في الجزء الأول . طبعة سنة ١٩٢٦ ص ٢٣٦ . وهى من أجود شعر شوقى بلوا النفس وقوة السبك . وتبلغ تسعة وثلاثين بيتا . ولا يضير شوقى أن يفقد بيتا منها ، ولو كان المطلع ، إذا مع أنه مسروق . وعلى أية حال مثل هذا التعليل لا يقبله عقل . وأغلب الظن أن هذا الاحتجاب وراء إضطرابات مستعارة متنوعة في شعر شوقى وكاتباته نوع من الدلال ، دلال شاعر الأمير ونائبة المصر وشاعر الدارين . . . خصوصا إذا كانت « أنفاسه نغمة عليه » كما قال محرز الراحظ نفسه .

وهذه « الأنفاس النغمة » التى كوّلت ، بامتزاجها بالأسلوب امتزاج الروح بالجسد ، ملاحظ الشخصية ، قد دلتنا في كثير من المواطن على شعر أحمد المنشور بإمضاء مستعار . كما أن فلك الشعر المجهول كثيرا ما كان يبه الأصدقاء البعيدة النائمة في قوادنا فنستدل بها عليه . أذكر حين بدأ يتكون جندى الوعى الأدبى في سنة ١٩٠٨ ، أى في سن الرابعة عشرة ، وبدأت أنصل بالأدباء والشعراء كانوا يتكلمون في أحاديثهم وسمهم عن عام الكف سنة ١٩٠٢ و عام الكف سنة ١٩٠٤ وما قاله شوقى في مولاي عبد العزيز سلطان مراکش وفى « الزنابل » أو أسرة سعد وظلول ، عقب حادثة دنشواى . وكانت أبيات وقصائد شوقى جميعا تنشر بلا إمضاء صريح . . . وكما قد نسينا كل ذلك ونسينا أنه كان ينشر فى (الظاهر) وفى (الجريدة الأسبوعية) وفى (خيال الظل) . . . فما كدنا نراها حتى استيقظت أصدائوها فى عالم من الإيهام بين النور والإظلام . .

أذكر أنى فى أثناء مطالعتى الثانية فى (الجريدة الأسبوعية) وجدت دورا غنائيا فى دنشواى فيه أنفاس شوقى وروحه وريحه وريحانه . فاتصلت على عجل عند عودتى من القلعة بطاهر حتى رأيتها فى (الملتقى) أول الدور . . فإذا به ينشده حتى أتى على آخره . قلت لمسا إذا لم تنبئ به ؟ قال : لا أتذكر .

والواقع أن التوفيق ساعدنا كثيرا . وليس فى مقدور القارئ ، مهما بلغ علمه ، أن يدرك المنفعة التى يلقاها الباحث فى بحثه لأن القارئ لا يرى من البحث إلا النتيجة ولكن الطرق والمصاعب التى كابدها الباحث ومناها وشقى فيها تظل متوارية وراء الغيب لا تدرك إلا بالظن . . .

وقد حذفنا المديح من قصائد كثيرة . ونحن موقنون أنه ما دما شوقى إلى إسقاط معظم المديح والاكتفاء بالنسيب - كما فعل في الجزء الثانى - لم يكن الرغبة فى تحاشى ذكر عباس فى عهد فؤاد ، ولكن كراهيته الطبيعية للمديح الذى تكلف فيه القول . وأخيرا أغفلنا قصائد كثيرة غير منشورة فى الديوان ولكنها ليست من جيد شوقى أو مما يستسيغه مريدوه . ولم ننشر من (المحجوبيات) إلا قصائد معدودات عليها مسحة من ملاحظة شوقى . وبالجملة أسقطنا كل ريك أو غث . ولو أتيح لنا إعادة طبع الجزء الرابع من الشوقيات لما أبقينا منه إلا القليل بل إن الجزء الثانى الذى أشرف على طبعه شوقى نفسه فيه غث كثير . مثال ذلك : صفحة ١٧٠ ، قال :

شغلته أشغال عن الأرام وقضى اللبانة من هوى وغرام
كلمة (أشغال) هنا عامية وقد حلت محل (آونة) فى الأصل وهذه أيضا ضعيفة .
ومضى يمر على الهوى أذياه ويلوم حامله مع اللوام
الشر الثانى فيه ثلاث لامات ثقيلة :
ويذم عهد الغانيات كخافه بعد الشفاء يذم عهد مقام
(كخافه) كلمة غير مستحسنة .

لا تعجلن وفى الشباب بقية إن الشباب منزلة الأحلام
شوق وحده يقول لا تعجلن ، وكل شعراء العالم وفلاسفته يقولون إن الشباب قصير فيجب التعميل بالاستمتاع به قبل فواته .

كانت إنابتك المربية سلوة نسجت على جرح يحبك دام
إن الذى جعل القلوب أعنة قاد الشبية للهوى بذمام
اليث الثانى جيد .

يا قلب أحمد والسهام شديدة ماذا لقيت من الغزال الراى
تدري وتسالى تجاهل عارف أرنا بعين أم رمى بسهام

قال سر كريس فى مجلته فى عدد ١٥ ديسمبر سنة ١٩٠٨ : " سمعت شوقى يشد قوله فى صباه ويعجب برقة معناه " ، ثم ذكر البيتين الأخيرين (يا قلب أحمد ..) وهما من قصيدة نشرها (المؤيد) فى سنة ١٩٠٠ ، والبيتان سقيان ككل الأبيات .

وهذه أبيات أخرى من الغزل (جزء ٢ ص ١٤٧) :

لحظها، لحظها، رويدارويدا كم الى كم تكيد للروح كيدا
كف أولا تكف إن يجنى لنهما أرسلتها لن تودا
تصل الضرب ما أرى لك حدا فائق الله والترم لك حدا
أو فصيح لي من المجازة قلبا ثم صغ له من الحداث كيدا
واكف جفني دافقا ليس يرقا واكف جفني خافقا ليس يهدا
فمن الغين أن يصير ويهدا ما قطعت الزمان أرجوه وعدا

الآيات الأربعة الأولى من سقط الشعر والبيتان الأخيران وحدهما جديران بالبقاء .
وعلى أية حال مثل هذا الشعر المزيل يشين ديوانه . ولعل أكبر نقص في ديوانه بأجزائه
الأربعة - فيما عدا كثرة الشعر المجهول - هو كما قلنا إغفال تاريخ القصائد وذكر مناسباتها .
وقد حاولنا جهدنا سد ذلك النقص فيما نشرناه .

على أن نرشق كان أيضا موضع اهتمامنا لأنه نثر شعري أو شعر منشور وهو على أية
حال مظهر من مظاهر عبقرية الشاعر . ولا يسعنا إلا أن نذكر بهذه المناسبة ما كتبه
مجلة (الصباح) سنة ١٩٤٨ تحت عنوان (مشوقيات مجهولة) قالت : " أحسنت كلية
الآداب بجامعة فؤاد صيدا باقتراحها إنشاء (كرسي شوقي) لدراسة آثار أمير الشعراء الأدبية
على ضوء النقد الحديث والتنويه بآثاره المجهولة والعمل على ذبوعها ونشرها وتفسيرها .
على أن ما نود أن نلفت الأنظار إليه هو أنه هناك مخطوطات لشوقي لم تنشر بعد ، وفوائد
ومخلفات أدبية كتبت معظمها في طور الشباب ، وبعض هذه الآثار طمست معالمها
وطوامع الزمن في جوفه ولم يشر إليها دارسو شعر شوقي والمستقصون سيرة حياته ، ومن جملة
ما عثرنا عليه من هذه الآثار المجهولة :

- ١ - رواية عنراء الهند ، وقد طبعت في القاهرة في أواخر القرن الماضي .
- ٢ - رواية ورقة الآس ، وقد نشرت في ذيل جريدة (الأهرام) أولا ، ثم طبعت على حدة
فيما بعد .
- ٣ - رواية لادياس أو آخر الفراعنة ، وقد طبعت على حدة حوالي عام ١٨٩٨ .
- ٤ - رواية دل وتمان ، وهي ثمرة رواية لادياس ، وقد تولت نشرها وطبعها مجلة
الموسوعات في عام ١٨٩٩ . كتبها شوقي متأثرا برواية وضعها العالم المصروlogي
جورج إيبس ، ووصف فيها حالة مصر في عهد الملك أمازيس ، وقوه فيها باستبداد
اليونان بشئون مصر .

٥ — مذكرات بتناؤور ، وقد نشرها على صفحات (المجلة المصرية) التي كان يصدرها شاعر القطرين خليل مطران بك في عام ١٩٠١ .

٦ — شذرات من الحكم والأمثال نشرها على صفحات (المجلة المصرية) بتوقيع « نديم » .

٧ — مقطوعات غنائية وضعها لعبد الحمولى والشيخ سلامة حجازى . وفى وسع الدارس المطلع أن يميزها عن غيرها من أسلوب شوقى والفاطمة .

” بلى أن تذكر أن « صورة شوقى » أو « وجه شوقى » كما يعبرون عن ذلك أحيانا لم تشر بعد وافية واضحة . ونعني « بالصورة » و « الوجه » سيرة حياة الشاعر أو الكاتب فى ضوء التحليل النفسى الحديث وتطبيق قواعد النقد الأدبى ، وأصول علم المنطق فيما يعرض لهذه السيرة من أحداث ، وما شاع فيها من وميض العبقرية “ انتهى .

وقد نشرت فيما بعد روايات شوقى كلها ما عدا رواية عذراء الهند (بند ١) ودل وتيمان (بند ٤) . أما فيما يتعلق بشذرات الحكم والأمثال (بند ٦) التي نشرتها (المجلة المصرية) فقد عثرنا عليها بطبيعة الحال وأضفنا إليها شذرات الحكم والأمثال التي نشرتها (الظاهر) .

(١) كتبت مجلة (مصر الحديثة المصورة) فى ٩ يناير سنة ١٩٣٠ بمناسبة افتتاح معهد الموسيقى الشرقى رسمياً : « والى الأمان على الخادم قصيدة شوقى بك أمير الشعراء . وليس بكثير على شوقى أن يرحب بملك فن الموسيقى فشوقى الذى « مؤن » مغرب عصره « من عبده » بالأدوار والمقطوعات المختلفة والنسخة ساعد نبوغ عبد الوهاب على الظهور بعدما كان فى حذره متوارياً والذى يصد جميع هيئات الموسيقى بأشراكه فى مجلس إدارتها . . . ليس بعيد على شوقى وهذه مكانته فى الفن . . . وهذا عشقه للأصوات المشجية المزددة لأغانيه أن يقدم له هذه الدرة الثمينة ويقول فى فن الموسيقى :

لولا إنباس الفن فيما حوله	ظل الوجود جهامة وجفاء
جرد من الفن الحياة وما حوت	نجد الحياة من الجمال خلاء
بالفن عالج الحياة طبيعة	قد عالج بالواعة الصغراء
تأوى إليه الروح من رضائها	فصيب ظلالاً أو تصادف ماء

(٢) نورد هنا بياناً دقيقاً لمؤلفات شوقى وتاريخها (ما خلا الشوقيات) : رواية (على بك أو ما هي دولة المالك) ألفها وهو تزل بارسى فى أكتوبر سنة ١٨٩٣ . رواية (عذراء الهند) سنة ١٨٩٧ . رواية (لادياس) سنة ١٨٩٩ . رواية (دل وتيمان) سنة ١٨٩٩ . رواية شجلان بتناؤور نشرتها (المجلة المصرية) سنة ١٩٠١ — ١٩٠٢ . رواية روفة الآس سنة ١٩٠٤ ضمن روايات (مسامرات الشعب) . رواية (مصرع كليوباترا) سنة ١٩٢٩ . رواية قبيضة سنة ١٩٣١ . ورواية قبيضة فى الواقع رواية دل وتيمان القديمة مع إعادة بنائها شعراً لا تراثاً . رواية (مجنون ليل) سنة ١٩٣١ . رواية (على بك الكبير) الطبعة الثانية مع تعديل شامل فى الطبعة الأولى فى مارس سنة ١٩٣٢ . رواية (عترة) و (أميرة الأندلس) سنة ١٩٣٢ . رواية (الست هدى) . طبعت طبعة هزيلة و (البخيلة) لم تطبع بعد . ولشوقى كتاب (دول العرب وعطاء الإسلام) وهو ملحة شعرية تاريخية طبعت سنة ١٩٣٢ . وكتاب (أسواق الذهب) وهو ثمرة مسجوع ظهرت الطبعة الأولى منه (الهلال) سنة ١٩٣٢ . والثانية سنة ١٩٥١ .

كما نشرنا قطعا ثرية أخرى متفرقة ظهرت في (المؤيد) و (المنير) و (الواء) وغيرها . وفيما يتعلق بالمقطوعات الغنائية (بند ٧) فقد تمكنا بعد اتصالات عديدة وأبحاث من الاهتداء إلى المقطوعات أو الأدوار الحديثة كلها وبعض القديم منها ، كما أن شعر الشباب الذي انطلس الكثير منه (١٨٩١ - ١٩٠٨) لتشتته نعتقد أننا قد وقفنا في استقصائه إلى حد كبير؛ ولا زال هناك قصائد ضائعة لشوق لم تمكن من الاهتداء إليها : مثال ذلك قصيدته في عيد المجلس الخديوي (٨ يناير سنة ١٩٠٩) أشارت إليها (المجلة المصرية) عدد ٨ يناير سنة ١٩٠٩ ونشرت منها :

عيد المسيح وعيد أحمد صالحا عيد الأمير ثلاثة لا تكفر
كاد الولي لدين عيسى يتدى فيه وكاد المهدي يستنصر

وكذلك قصيدة شوق في رثاء أسما صيدفاوي، أشارت إليها (مجلة سركيس) في عدد ١٥ ديسمبر سنة ١٩١٠، قالت إنها توفيت في مصر في ٧ ديسمبر ولها من العمر ١٨ سنة ، ثم ذكرت هذين البيتين لشوق :

ملك أعيد إلى ربوع حجابيه ما قولكم سكن الثرى وثوى به
ما زال عنه إلى الغناء شبابه لكن إلى الخلد ارتحال شبابه

ثم عادت المجلة في نهاية المقال وذكرت بيتين آخرين بدون ذكر اسم (شوق) هذه المرة، وظاهر أنهما أيضا لشوق ومن نفس القصيدة . قالت : " ليس في اللغة ما يخفف الأحران ولكن في اللغة ما يحمل على الصبر وفي حكمة الشاعر يخاطب الألب الحزين " :

من الخشوع إذا استفزك للأسي أجل تولى الله طي كتابه
فأصبر وكان الصبر شيمتك التي تدنى إلى أجر الرضى وثوابه

وكذلك قصيدة لشوق في رثاء البارودي أشارت إليها (الصاعقة) في عدد ٢٣ يناير سنة ١٩٠٥ مطلقا :

هذا ثرى مصر فتم سلام كم روعتك حوادث الأيام

وهذا بخلاف قصيدته في زواج صديقه ونديمه حسن رضا المحامى التي أشار إليها محفوظ في كتابه عن شوق .



كان يوجد في مصر حوالى سنة ١٩٠٧ - ١٩٠٨ جرائد أسبوعية صغيرة مهمة جدا لبحثنا وتبلغ الثلاثين ولكلها لم نجد إلا عددا واحدا أو أعدادا متفرقة من كل جريدة، وبعضها

لا أثر له في دار الكتب . . . ولعل أهم هذه الصحف (الإقدام) وهي صحيفة أدبية راقية .
جاء في عدد ٢٢ يونية سنة ١٩٠٨ : " . . . وأعجب من ذلك كله أن حافظ مثل بين يدي
العصيد السابق بينما كان المصريون يلغونونه وأنشد :

قصر الدبارة ما للبتك رابض فالذهب في قصر الإمارة يحجل
ولقد سمعت بما بدين عواءه فعمجت كيف يسود من لا يعقل^(١)

وقد قالت الجريدة بعد نشر هذين البيتين - وهما ليسا في الديوان - إن كرومر أعطى
حافظ خمسين جنيها . وقد وعد حافظ الجريدة بنشر ما قاله شوقي في هجو الأمير في العدد
القادم منها ، ولكننا لم نعرض ضمن المجموعة التي كانت فيها الجريدة على ذلك العدد (التالى) .
وهذه ولا شك خسارة للأدب .

نحمد الله على أية حال إذ استطعنا إنقاذ طائفة طيبة من شعر شوقي وآثاره ، وبذلك يبدو
وجهه كاملا ، كما تبدو عبقريته الوضاعة ضاحجة في أقصى حدودها كالمرج الواسع في أبهى
آفاقه .



وانها لحركة مباركة أن يعمل المجلس الأعلى للفنون والآداب على إحياء ذكرى شوقي
وكبار معاصريه ، ولكن أكبر ضمان في اعتقادنا لتخليد المبقرين هو خلق بيئة أدبية وذوق
أدبي . وقد كانت هذه البيئة موجودة في الثلاثين أو الأربعين سنة الأولى من هذا القرن
في الكتابة والخطابة والشعر . كانت بيئة شعبية حرة لا تتأثر بالأدب الزائف ، وكانت لها
دولة يهاجها كل دعي ، ولا يرتفع له صوت بين جدوائها ، وقد انقرضت فأصبح الأمر
فوضى . لذلك لانعجب إذا نفشى الشعر النافه والأدب الفج في بعض صحفنا . والذي نعلمه
أن لكل شاعر نفسا وأسلوبا ، وأن الحكم على نفس الشاعر وأسلوبه يتطلب ممارسة طويلة
للشعر نظما ودراسة وقدأ . والذين في مقدورهم الحكم على الشعر في مصر اليوم أقل من عدد
أصابع اليد . قرأت أخيرا في جريدة (الجمهورية) مقالا لأديب عن الشاعر عمر أبو ريشة

(١) هذان البيتان تحفة أدبية ولا يمكن أن نستخلص منها إذا صحت نسبتها أن حافظ كان ضعيف الوطنية
أعمالا لا لخلال فله سجل باهر في تاريخ الوطنية ولكنها نزوة من نزوات الحياة يدفع إليها ضيق العيش أحيانا
أر السام الذي يمتري النفس . . . وهما كان من الأمر فانه لما بيعت الأمتى أن الصحف والمجلات التي تذوق تاريخ
المصر وأدبه بعظم مجموعاتها في دار الكتب ناقصة مشوهة وبعضها لا وجود له إطلاقا . . . وهذه جرائد الثورة العربية
لا يوجد منها إلا بعض الأعداد ضمن مجموعة . . .

(الجمهورية في ٦ - ١٣ - ١٩٥٩) بمناسبة ظهور ديوانه الأخير، فذكر له الكاتب قصيدة
(بعد النكبة) التي نشرت سنة ٤٨ بعد نكبة فلسطين فأشعلت ثورة :

أتى هل لك بين الأمم
منبر للسيف أو للقلم
أنتفاك وطريق مطروق
نجدنا من أسبك المنصرم
وبكاد الدمع هي طابعا
بقايا كبرياء الألم
أين دنياك التي أوجت إلى
وترى كل قسم النعم
كم تحطبت على أسدانه
لمحب السد فوسى الشم
وتهديت حثاني صاحب
مترى فوق جباه الأنجم
حلم منر باطراف السنا
وانظري خلف جفون الظلم



أنتى : كم هبة دامية
خفت نجومى عليك فى
أى جرح فى إياى راعف
فأنته الأمن لم يسم
الإسرائيل تعلموا راية
فى هي المسد وظل الحرم



أنتى : كم صميم مجتهد
لم يكن يحمل ظهر الصمم

لا يلام الذئب في عدوانه
إن بك الراعى صدق الغم
فاحبس الشكوى فلولاك لما
كان في الحكم عيب الدرهم

وقد أشار الكاتب إلى قصائد أخرى من هذا الطراز الجيد ، وختم مقاله قائلا :
”وبعد لقد كنت دائما من المؤمنين بأن عمر أبو ريشة هو شاعرنا المعاصر الأول ، وأحد
العالمة الكبار في تاريخ الشعر العربي كله ، وزادني ديوانه الأخير إيمانا بهذا الرأي “ .

لا شك أن عمر أبو ريشة شاعر كبير مجتهد ، ولكن القول إنه أحد العالمة الكبار
في تاريخ الشعر العربي كله مبالغ فيه ، لأنه لا يعلو بنفسه الشعرى وأسلوبه إلى سمائهم ،
وهذا الكاظمي ليس شاعرا مجتهدا ، ولكنه عالي النفس محلق . قال يصف قصور بعض
مدن الشرق وأربابها :

وأرى هذه القصور بمعنى (م)	كقبر من البلى جنب قبر
ساد فيها الخمول وامتلك الضيق	سم عليها الآفاق من كل ثغر
وقد المصلحون تحت دجى الخس	ف وقام العثاى يقعد ويفرى
وعصار الموم غالت ذوى الفض	لى فراخوا من الموم بسر

وقال شوقي بعد اكتشاف مقبرة توت عنخ آمون :

سافر أربعين قرنا عدا	حتى أتى الدار فالتى عندها
انجلترا وجيشها ولوردها	مسلولة الهندى تحمى عندها
قامت على السودان تبنى سدا	وركرت دون القناة بندها



فقال والحسرة ما أشدها	ليت جدار القبر ما تدهدها
وليت عيني لم تفارق رقددها	قم نيتى يا بقتور ما دها
مصر فتانى لم توقر جددها	دقت وراء مضجعى جاز بندها
ومحبت على جلالى ردها	ليت جلال الموت كان صدها

هذه القطع الشعرية الثلاث في موضوع اجتماعى سياسى واحد ، ولكن قوة التصوير
في القطعتين الأخيرتين تميزهما عن الأولى ، والتصوير يمتزج بروح الشاعر ونفسه وأسلوبه .

ومعايير الحكم ومقاييسه في الذوق ، والذوق هبة من الله ، وإن كانت الصناعة تساعد على صقله وتهذيبه .

ومهما كان من الأمر فإننا نعلن بوضوح أننا لا نغبط حق أحد من الشعراء الحديثين في الشعر الجديد روائع واتجاهات يجب العناية بدراستها . وحسب أبو القاسم الشابي ، وهو أحد أولئك الشعراء الذين نمنهم ، أنه أول شاعر أمكنه التخلل من القديم وإحداث ثورة كاملة في التجديد . نقرأ شعره فيخيل إليك أنك تقرأ ديوان شاعر من شعراء الغرب ، وشعراء الطبيعة . وقد نبع شعره من صميم حياته ووجدانه . وهو مرآة الصافية . مات في الخامسة والعشرين وترك شعرا نضج قبل الأوان . يمتاز بملو النفس وصدق العاطفة . قل :

في جبال المسموم أنت أع	نصاني فوقت على الصخور يجهد
وتفشاني الضباب فأورق	ت وأزهرت للعواصف وحدي
وتمايلت في الظلام وعطر	ت فضاء الأسمى بأفئاس وردى
ومجد الحياة والشوق غيد	ت فلم تفهم الأحاسير قصدي
ورمت للوهاد أفئاسي الخضر	ر وظلت في الثلج تحفر لحدي
ومضت بالشذى فقلت لغنى	ستفنى الرياح بالعطر مجدي
وتغزلت بالرياح وبالفجر	ر . وجاء الردى فما تم بعدى

وقوله عن قبره :

هاته . فالظلام حولي كثيف	وضباب الأسمى منيخ عليا
وكؤوس الضرام أزعجها النوح	ر ولكن تحطمت في يديا
والشباب القسري روى إلى المنا	ضى وخلى العجب في شفيا
هاته يا فسؤاد . إنا غريبا	ن نصوغ الحياة فنا شجيا



في ظلام الفناء أدفن أيا	مى ولا أستطيع حتى بكاه
وزهور الحياة تهوى بصنت	محزن مضجر على قدميا
جف صبر الحياة يا قلبى البيا	كى ... فيها تجرب الموت هيا

في هذا الشعر تسمع أنين مطران وقيثارة موسيه الباكبة . ثم انظر بعد ذلك إلى قول أحمد محرم :

وجودى ما عرفتك غير معنى
غريقى فى الظلام ولا مفاص
أقيم عليه سور من عباب
أطل ويضرب التيار وجهى
تغفل فى الخفاء فإبين
ولا جسر يلاذ به أمين
تضل على جوانبه السفين
فأين أنا ؟ أحز أم سجين

وقوله فى قصيدة « هموى » :

بين عيني وما حولها
يعطف السطر على السطر كما
محفف منشورة للفاريز
يعطف الباكي على الباكي الحزين

محترم شاعر « قديم » والشابى « جديد » . ومع ذلك ففى شعرهما يلتقى طرفا الشعر قديمه وحديثه لأن النفس واحد والجوهر واحد وراء الصور والأشكال المتباينة التى يقف عندها النظر السطحي . فأمرؤ القيس والبحتري وشوقي ومحترم والكاظمى ومطران والشابى وغيرهم من كبار الشعراء على اختلاف نزعاتهم يلتفون جميعا فى سماء الشعر الخالد .

والى الفزاء مثل آخر . قال أديب ناقد : « ولعلنا نستطيع أن نلبس المزاج الرومانسى الذى كان مسيطرا على المازنى فى قوله :

إني أراني قد حلت وانتسخت
وصرت غيرى فليس يعرفنى
ولو بسدا لى لبت أنكره
كأننا أثنا ليس يجمعنا
مع الصبا سورة من السور
إذا رآنى صباى ذو الطرر
كأننى لم أكنه فى عمرى
فى العيش إلا تشبث الذكر
من مازنت غيره على الأثر

هذا مثل من الشعر « الرومانسى » الجديد . والواقع أن المازنى أراد أن يجارى آبن الرومى فى قصيدة له من نفس البحر والروى فى رثاء بستان المغنية كان محمد السباعى وكثيرون من أدباء وشعراء « باب الخلق » يتغنون بها حوالى سنة ١٩١٠ ، وقد جاراها المرحوم عبد الحليم المصرى . ولا شك أن أبيات المازنى جيدة ولكن نفسه الشعرى فيها ضعيف إذا قورن بآبن الرومى :

إنا إلى الله راجعون فقد
ما أولع الدهر فى تصرفه
غال الردى سيرة من السير
بكل زين له ومفتخر
أطارد قسرية الغناء عن الأر
ض فأى القلوب لم يطير

الذين هموا بسوء ذرا
عن فهايتك عسولة الوتر
بنتك يا صبري على زهر قد
ملك من اللهب بل على نمر
بنتك مامك لا مري عوض
من البساتين لا ولا البشر
إن لا أكن مث قاتل مني
عن موة للفؤاد في الذكر

هذا النفس العالي تجده عند شوقي في رثاء عبد الحموي :

بسمع الليل منه في الفجر ياليت
بلى فيصني مستهلا في فزاره
هذا بيت واحد لشوقي من شعر الوجدان تتضاد بجانبه قصائد ودواوين بعض
المجددين فكيف بالتضاد التمراني خلق بها في سماء الخيال والوجدان .

نحن لا ننكر أن في الجديد روائع فالمعاصرة ليست حكمة واختكارا لأحد ولكن أكره التعميم
والحكم السريع الذي خفت موطئه . ولا يصحني من أحد النقاد قوله عن مدارس الشعر
التي هي الحديثة : "وقد كان في هذه المدارس ظهورا وأوسع أصحابها شهرة المدرسة التقليدية
التي ترجمها أمير الشعراء أحمد شوقي ، وكان من غولها شاعر النيل ! حافظ إبراهيم ،
وشاعر الطفولة محمد عبد المطلب ، وشاعر رشيد علي الجارم ، والشاعر محمد الأسمر ، ولا يزال
من أصداء الأحياء الشعراء محمد محمود ، وعلى الجندى ، وعزيز أباظة " .

يجب أن نلاحظ أولا : أن محمود سامي البارودي ، وإسماعيل صبري ، وأحمد شوقي
يكون كل منهم طبقة واحدة ، وأنه شوقي على الرغم من وجود المجددين بين معاصريه من
الشعراء على راية الإمارة عينة وفرض زعامته عليهم . ثانيا : أن أكثر الشعراء الذين ذكروهم
النقاد كمل الجارم ، ومحمد الأسمر ، وعلى الجندى ليسوا من حقول الشعراء ، وأقصى ما يطمح
إليه بعضهم أن يكون من شعراء الطبقة الثانية فمن العبث أن نجامل على حساب الحقيقة
الأدبية ، والأدبي من ذلك أن نلحق أدبية في مصر تزورت في العام الماضي « إقامة احتفال
للشعراء الذين هم من طبقة واحدة وحيل واحد أمثال : أحمد محرم ، الكاظمي ، علي الجارم ،
الحزوي ، محمد الأسمر ، أحمد الكاشف ، محمد عبد المطلب ، وغيرهم » . فالأسمر والحزوي
وغيرهما في نظر اللجنة من طبقة الكاظمي ومحرم والكاشف . ما هذا ؟ أمثال هذه
المقاييس والموازنين يحكم ناقد على شوقي بأنه « لم يستطع قط أن يكون شاعرا وجدانيا ،
وأن شعره المناسبات هو الذي قلب على شعره » . وهل منع شعر المناسبات البحتى صاحب
قصيدة الإخوان وركعة التوكل ، وللمعنى شاعر الشكوة ، وابن الرومي وغيرهم أن يكونوا شعراء
وجدان ؟ أوفسوا شعر الوجدان من دواوين أولئك الشعراء ومن شوقي تتحولوا جميعا إلى

شعراء من الطبقة الثالثة وتفن معالم شخصيتهم . ثم انعكسوا الآية وارفعوا شعر المناسبات من مدائح وما إليها يظل أولئك الشعراء كالجبل الذي لا يترعرع ، وإن سقطت بعض صفوه الناتئة .

ينحى النقاد على البحري ، كما ينعون على شوقي ، أنه أسرف في بكاء الطلول والتغنى بالغيث وبده قصائد المديح بالنسب التقليدي ، ولكن هل منع ذلك الغناء السطحي أو تلك الأسماط البالية القلب المتوجد من أن يخفق ويتأجج حيناً ؟ لقد ثبت أن أبيات شوقي (خدعوها بقولهم حسناء) كانت ابتداء لقصيدة مديح في الخديوى توفيق ، ومع ذلك فإن هذه الأبيات أرق شعر غزلي حديث لأنها عصارة تجارب الحب واللهو والشباب في باريس ، ولا يضاهيها في قوة التعبير في محراب المرأة والجمال إلا أبيات صبرى التى أولها :

يا لواء الحسن أحزاب الهوى أيقظوا الفتنه فى ظل اللواء

ومما لا شك فيه أن أبيات شوقي الغزلية من شعر المناسبات شكلاً ، وشكلاً فقط ، ولكنها من صميم شعر الوجدان . هذا ولشوقي شعر كثير لا أثر فيه للمناسبات كرواياته التمثيلية . صحيح أن شوقي لم يبلغ في هذه الروايات القمة الشكسيرية الشفاء في قوة التحليل والتصوير والبناء ولكنه أضاف إلى رصيده « التقليدى » فى الشعر رصيدها جديداً من الأدب الحديث وله فى كليهما أبيات خالدة ، وستظل شخصيته مستوية على عرشها مهما تعددت المذاهب والأشكال فى مختلف العصور .

لقسم الأول

(١٨٨٨ - ١٨٩٩)

♦ ♦ ♦

أول ما قرأت لشوقي

كتب الأمير شكيب أرسلان تحت هذا العنوان ، في كتابه الذي ظهر في سنة ١٩٣٦ (شوقي أو صداقة أربعين سنة) فصلا جاء فيه :

”خرجت من مصر في أواخر سنة ١٨٩٠ وأنا أسمع بشاعر اسمه شوقي في مصر وكنت أوانشد أراسل جريدة الأهرام .. وبينما كنت أطلع الأهرام في ذات يوم وقع نظري على أبيات لامية في المديح فيما أذكر قال عنها الأهرام إنها من نظم « أحمد افندي شوقي » . ولما كان هذا الناظم مجهولا عندي لم أشأ أن أضيق وقتي بقراءة تلك الأبيات فلم أعلم منها كثيرا ولا قليلا .. إلا أنه لم يطل الأمر حتى قرأت شعرا آخر لهذا الذي يقال له أحمد افندي شوقي .. فغربت هذه المرة أن أقرأ فلما قرأته لم أعجبه ووجدته من الشعراء الذين يقال فيهم : ” من حقه أن تسمعه “ . ولم يطل الأمر أيضا حتى قرأت لأحمد شوقي هذه القصيدة الآتية ^(١) في المديح :

إن الوشاة وإن لم أحصهم عددا	تعلموا الكيد من حينك والفتدا
لا أخلف الله ظني في نواظريهم	ماذا رأيت بي مما يبعث الحسدا
هم أغضبوك فراح القصد مثنيا	والحفن منكروا واتخذ متقددا
وصادفوا أذنا صفواء ^(٢) لينة	فأسمموها الذي لم يُسموا أحدا
لولا احتقاسي من حينك قلت ألا	فانظر بعينيك هل أبقيت لي جددا
الله في مهجة أيمت واحدها	ظلمنا وما اتخذت غير الهوى ولدا

- (١) نشرت القصيدة كاملة في الجزء الأول من الشوقيات طبعة قديمة من ٦٤ - وتاريخ القصيدة يرجع إلى ٣٠ أبريل سنة ١٨٩٢ كما قلنا . وقد أعيد نشر أبيات الغزل التسعة في الجزء الثاني من الشوقيات صفحة ١٤٨ . وكان المرحوم صادق جبر شديده الإعجاب بهذه الأبيات ولا شك أنها من جيد شعر الغزل لا الحب لأن الكثيرين لا يميزون بين شعر الغزل الذي يستمد حياته من الصنعة العالية وشعر الحب الذي يأتيه الروح من الطبيعة والوجدان .
- (٢) في رواية شكيب والطبعة القديمة من الشوقيات « بيضاء » لا « صفواء » والأخيرة أحسن وأدق . صفا : دالة على القاموس والشمس مالت للغروب هي (صفواء) . ومنه أصنى إلى حديثه استمع أو مال بسنمه .

وضع صب أطال له غرثها يخاف إن رجعت أن تنكر الجسدا
 دح للواحد أن مت من ظمأ وللواحد ماء لا يبسل صدى
 من العزيز يناسي روض حش إن أمكت الدهر هذا الطائر الغردا
 إلى آخرها قاله في ذلك اليوم فخلعت القصيدة من أولها إلى آخرها ومن شدة ما طرقت
 لما أهدت غرامها سرارا وحملت أن ذلك الشعر لم يطبوا وأيقنت أن في تلك المغارة أسدا.
 وصرت كلما عثرت على شعر لأحمد شوقي انتهت إليه . وأذكر الآن أني كنت اطلعت له
 على قصيدة قيل هذه في مدح الظفري توفرت منه فيها شهر الصيام^(١) لم تكن أقل رقة وانسجاما
 من القصيدة التالية المأزوكها ومن التي يطول فيها :

يا حسنه بين الحساب في شكله إن قيل بان
 كاليد تلمعه الميون وما لمن به يدان
 ملك الجوارح والعدا د قنى يديه الخافقان
 ومنى منه نظيرة ففى يشير الحاجبان
 لها زكى حسنه من لا له في الحسن ثان
 طوله يسلك له عين د فإنه ملك العنان
 حلق الدلال لمن له في كل جارحة مكان
 يا أصغرى نأى آ لاه العزيز تكديان
 ونأى أصغره ولا حصر لمن تحدثان

قال الأمير شكيب : " فعندما قرأت هذه القصيدة وجدتها من النوع المرقص الذى
 لا يقع نظر أديب عليه إلا أهدر له طريا وراح نشوان وكما قال هو عن نفسه كانت أبياته هذه
 من السهل المتع أشبه بشعر البها زهير أو أنما بحت في ديوانه ولم يقل أحد لقارئ الديوان إنها من
 نظم شوقي . وكانت حقيقة بشعر البهاء زهير لا تقل عنه شيئا . ولو سمعها الحسن ابن هانى
 لأكرضها لنفسه ولم يتكبر عليها . أما ابن هانى الأندلسي الذى قال فيه المعزى إن شعره أشبه
 برمى بطحن قرصه فإنه يمد من خطب الأسلوب بعد الشوقى عن القرب . . . " انتهى .

- (١) تاريخ القصيدة ١٠ أبريل سنة ١٨٩١ . ولم يشر من هذه القصيدة في الجزء الثانى من (الشوقيات)
- الاسبعة أبيات من ثمانية وعشرين . والقصيدة منشورة كاملة في الطبعة القديمة من الشوقيات صفحة ١٢١ .
- (٢) في الطبعة الحديثة من ١٩٢٢ من الجزء الظفر (نفسى) دلا من (نفسا) . نفسى في أول البيت فبيلة غير
 مستطاع بطوبى بأنها لو كانت في البيت الثاني .
- (٣) في الطبعة الحديثة (دعوى) بدل من (خاوى) . والأخيرة أرق وأكثر انسجاما في أسلوب القصيدة السجل .



لا ريب أن شوقي لا يقصد إلا الحسن بن هاني^١ المشهور بأبي نواس . وهذا العربي
الصميم (أبو نواس) كثيرا ما يلتقي مع البهاء زهير في السهل المتنوع حتى يصعب التمييز بينهما .
مثال ذلك ما كتبه أبو نواس إلى الأمين :

بك أستجير من الردى وأهوذ من سطوات باسك
وحياة راسك لا أهر د لثلها وحياة راسك
من ذا يكون أبا نوا سك إن قتلت أبا نواسك

ولشوقي شعر غزير من السهل المتنوع . وما برحت أذكر له قصيدته الشهيرة في إعلان
الحجاية سنة ١٩١٤ وتولية السلطان حسين والتي يقول فيها :

الله يشهد ما كفرت صديعة في ذا المقام ولا مجدت جملا
والله يعلم أن قلبي موجه وجعا كداء الثاكلات دخيلا^(١)
مما أصاب الناس في أبنائهم ودعى الهلال ممالكا وقبيلا^(٢)
أخرون لإسماعيل في أبنائه ولقد ولدت يباب إسماعيل

ومنها :

وانقض ملعبه وشاهده على أن الرواية لم تسم فصولا

أقول حين ظهرت هذه القصيدة ، وكانت أكبر قصيدة « شعبية » تناولها السوق
بالنفسير والتأويل قابلي حافظ إبراهيم وقال : « هذه مقالة وليست قصيدة » . وفعلًا كانت
مقالة بسلاستها وسهلها المتنوع ولكنها من الشعر الحلي الذي يقي مدى الزمان .

(١) في الجزء الأول طبع سنة ١٩٢٦ ص ٢١٦ : « وهو العليم بأن قلبي موجه » بدلا من « والله يعلم أن . . »
والأخيرة هي الصياغة القديمة التي حفظناها وهي أعنف وأروع .
(٢) في صياغة الديوان الجديدة كلمة الخلق بدلا من الناس والناس أفضل .

حوالى سنة ١٨٩٣

قال شوقى فى مقدمة الطبعة القديمة من الجزء الأول من (الشوقيات) : " جمعنى باريز فى أيام الصبا بالأمير شكيب أرسلان وأنا يومئذ فى طلب العلم والأمير حفظه الله فى التماس الشفاء فأنقذت بيننا الألفة بلا كلفة . وكنت فى أول عهدى بنظم القصائد الكبر . وكان الأمير يقصراً ما يرد عليه منها منشوراً فى صحف مصر فتعنى أن تكون لى يوماً بمجموعة . ثم تمنى على إذا هى ظهرت أن اسمها « الشوقيات » . ثم انقضت تلك المدة فكانها حلم فى الكرى أو جلسة الختلس أو هى كما قلت :

صحت شكيباً برمة لم يفرها سوى على أن الصحاب كثير
حرصت عليها آنة ثم آنة كما ضن بالماس الكريم خبير
فلما تساقينا الوفاء وتم لى وداد على كل الوداد أمير
تفرق جسمى فى البلاد وجسمه ولم يتفرق خاطر وضئير



نظم شوقى هذه الأبيات وهو فى الخامسة والعشرين . وهى من شعر الفحولة فى غض الشباب . وبينما تجمد الكثير من شعره فى تلك الآونة كالبرى إذا لَوْن تجمد فى هذه الأبيات زهو النضج ، وتجدل روعتها الأخاذة بين الناي فى الوادى .

(١) البرى : الترقيل إرطابه وذلك إذا لَوْن ولم ينضج .

رواية على بك الكبير

ظهرت الطبعة الأولى من هذه الرواية في سنة ١٨٩٣ بعنوان (رواية على بك أو فيا هي دولة المسالك) . وظهرت الطبعة الثانية في مارس سنة ١٩٣٢ بعنوان (رواية على بك الكبير أو دولة المسالك) . وفي الطبعة الثانية تجديد وإضافات قصت على معظم معالم الطبعة الأولى ورفعت مستوى الرواية . ويلاحظ أن شوقي لم يظهر إلا لها - وذلك في الطبعة الثانية - عظمة الدور الذي لعبه على بك في محاولته انتراع استقلال مصر من الباب العالي وبناء دولة عربية جديدة تمتد حدودها شرقا . ولا شك أن العلاقة التي كانت تربط مصر بالخلافة وتركها ونزعة شوقي العثمانية الدينية التي لازمتها طول حياته قد سالتا دون تصوير شخصية على بك وحركته تصويرا صحيحا لا بغوة فيه . وإذا كان معظم طبعة سنة ١٨٩٣ ركيكا أشبه بروايات نجيب الحنايد الشهيرة التي مثلها سلامة حجازي إلا أن بعض القطع التي حذفت منها كانت تستحق البقاء . وحسبنا أننا نستروح فيها ريح الشباب :

الفصل الأول

غرفة في قصر على بك

(المجلس الأول)

مصطفى الجلاب . أم محمود الماشطة . الجوارى : إقبال وشمس وصفية .

الجميع (لحن مركسي)

بين السيوف والخناجر	على الجبال
تلقى الحراكسة عشائر	هم الرجال
يحمو النساء الحرار	مع الجمال
ومن عجب حكم جابر	فيهم محال
وليس ناهٍ وأمر	غير القتال

مصطفى

ألا يا شمس يا حسنا غنينا بمؤال

أم محمود

يلهنا إلى أنت يا في السيد بالمال

فمن (مضى)

(كوكب) بطير الجمال اقترت أيكاته فدا بساته إذا ما مسن باناته

ما بهجة العصر إلا مركباته من كل هيفاً لها عند الدلال إلال

على مسلوكة وراشاه وبيكاته

في هذه القطعة، وفي الفصل الأول من الرواية القديمة كلها، تبدو روح شوق الغنائية.

ويتم الفصل بعد تزوج على بك بالبخارية إقبال وسفره إلى الشام.

الفصل الثاني

إقبال وحيدة في قصرها الموحش تقلى فيه حزينة وتقول (أول المشهد الأول من

الفصل الثاني):

إن قلت تعرف سالتى خاطر إلى دارى فإن السر عند الفار

تبيك عن كدرى وعن صفوى عما تبديه من ظلم ومن أنوار

كان شوقى يتهذهن البيتين على أن أدرج ما في الفصل الثاني هو المشهد الثاني الذى

قدم فيه الركنل حنا الحساب . والسبب أن هذا المشهد لا أثره في الطبعة الثانية مع أنه

في قوة التصوير والأداء الهزلى ويحاطة أوه ويحاطة « لا تفصل عن تصوير نظام الضرائب

والفردة في الطبعة الجديدة . هنا يبدو أثر مولير واضحاً كما تبدو شخصية شوقى من مبتداه

في أيام السواحة والشباب (١٨٩٣) إلى المشهد في شيتوخته (١٩٣٢):

(المجلس الثاني)

إقبال ومرجان أعا . حنا يدخل حاملاً نحو عشرة دفاتر يلقيها بين يدى الأميرة .

إقبال (واقفة)

أبطال يا حنا:

حنا (بتكلف)

يسلمون الشغل حنا يا حنا . ما شغل اليوم من عاداتى

إقبال (تنظر إلى الدفاتر)

أين الحساب حساب بيتك هل أحضرته لسناء في نظرات

حنا (يربها الدفاتر)

هي ذى الدفاتر لاطقات في يدي بكلال ضبط الدخل والتفقات
لخصتها لأمريني وأتيت أعرضها على الأعتاب مختصرات
(يتقسم إقبال)

(يحص الدفاتر واحدا واحدا)

ذا «صادر» ذا «وارد» ذا «سائر» هذا «حسابات» أبو البركات
من بعد «إطلاعات» «حركات» «ويو» ميات ««صرفيات» «توريدات»
هذا «جفالك» ذا «عمارات» كما هذا «مطابخ» ثم يامولاني
إقبال

لا رأى لي في ثم يا حنا اختصر يا ضبعة الأيام والساعات
حنا (يتناول أكبر دفتر ويفتحه) :

هذا الخلاصة يا أسيرة فاسمي لي بالقراريط وبالحنات
(يتقسم إقبال)

قد كان عند إليك من عام مضى عشرون ألفا سلوة الطلعات
الحان منها مال ذاك العام والباقي خرائب تسعة لم تات
إقبال (ترجع إلى خلف متزعجة)

لم تات كيف رأيتموها هذا لعمري البني في الغابات
حنا لقد أفتدق وأقتنى أكذاك يفعل سائر البيكات
حنا (لا تتغير هيئته)

لا إذ من العافات ما لا يستوى فيه البكات لكونهم درجات
إقبال (تقدم خطوة)

وبأبنا كيفية تحصيلها ومن البجاة فهن شر بجاة
هل في دم الفلاح سر الكيميا أم هل يدين لكل باغ عاني
حنا (متبسما)

تحصيلها سهل مع القرصات والعيات والجلدات والشفتات
والضرب فوق الظهر وهو مطاوع والضرب فوق البطن وهو مواتي
وأمر من ذا يسع واحدة النعا ج أو التي بقيت من البقرات

إقبال (تشير بوجهها نحو السماء باكية)

الآن بانى لى الرشاد بوجهه وعرفت مصدر هذه الظلمات
وقنطت من مرجو عودك يا حل ورجوع بيتك ظافر الزابات
(تطرق منبهة . تتقدم نحو حنا ناظرة إلى الدفاتر)

حنا (يلقى الخلاصة)

إنما المبلغ الذى قلت عنه لك لم يبق منه غير القليل
أخذ إليك نصف ذلك منى لأصطناع الرفاق عند الرحيل
وانانى (محمد) أخذ إليه ح يأس حلو وعنف جميل
وصرفنا ثلاثة وبما يدنى ربحى قضاء دين ثقیل
وأنا اليوم قد كبرت لى فى الوكالات فابحسنى عن وكيل
(ينصرف وهو عبد الله)

هوذا مذهي وهذا شعارى وهو للناس من زمان شعار
لم أحاسب وكان فى البيت قط كيف أرضى وليس فى البيت فار



وقد ظهرت فى طبعة سنة ١٨٩٣ أبيات شوق المشهورة فى الممالك (ونشرت بعد ذلك أيضا فى الشوقيات القديمة) :

أنت الذى رزق الممالك الفنى وجامم ملك البلاد كبيرا
لم يظلمهم من نعمة الأولاد ما أعطى الخلاق مئرا وفقيرا
لولا التبنى ما عرفنا لذة للعيش يحسبه الحسود نضيرا
أولى البيوت بغايط أو طيسد بيت يضم صغيرة وصغيرا
وقال شوقى فى حديثه مع سر كس (المشور فى المقدمة) فى فبراير سنة ١٨٩٧ أنه أخذ معنى البيت
الأخير من قول هو جوفى الحض طل حب الأطفال ورحمتهم (أولى البيوت بغايط أو حاسد).
ومن حسنات طبعة سنة ١٨٩٣ أيضا قول شوقى :

حنا الوكيل

تأله تفتأ تزدرى محمد^(١) وقسبه وتريد أن لا يعتدى
مولاي خذ الصلاح جانبه لى تدرى الذى تأتى الحوادث فى فدى

(١) محمد إبراهيم .

قد أتعب الأعداء من داراهم فاقم عدوك بالليان وأقم
أن الأرقام لا يطاق لقاءها وتال من خلف بأطراف اليد
والبيتان الأخيران منشوران أيضا في الديوان القديم . وقوله :

أم محمود

فداها نساء الأرض من حركسية لها سيرة بين الملوك تدار
إذا برزت ود النهار قبصها يُغير به شمس الضحى فتفار
وإن نهضت للشئ ود قوامها نساء طوال حولها وقصار
لها ميسم عاش العقيق لأجله وعاشت لآل في العقيق صفار
وقطعة خد بينا هي جنة لعينيك يارائي إذا هي نار
قلنا إن شوقي نشر هذه الأبيات في الديوان القديم ، وقد أعاد نشرها في طبعة الديوان الحديثة
سنة ١٩٣٠ في باب النسب بعد حذف البيتين الأول والأخير وتعديل البيت الرابع هكذا :
لها ميسم عاش الخليج لأجله وعاشت لآل في الخليج صفار
وكلمة الخليج هنا نادرة و (العقيق) أفضل منها بحلاوة لفظها وإن لم تعاد لها في معناها .
العقيق هو الخرز الأحمر ، والخليج هو بلاشك الخليج الفارسي الذي يصاد فيه اللؤلؤ . يشير
بالآتي إلى الأسنان وبالعقيق إلى اللثات ومغازز الأسنان .

تهنئة لجناب العالي برحلته

إلى الصعيد والعود منه

في ذي الجفون صوارم الأقدار	واعي البرية يارماك الباري
وكفى الحياة لنا شواغل فأقتنى	ملاً التجوم وعالم الأقدار
ما أنت في هذي الحيل إنسية	إن أنت إلا الشمس في الأنوار
زهرأ بلاغي الذي من دونه	وفج النهى وتطاول الأفكار
تمسك الأبواب نطف عجائبها	مهما طلعت فكيف بالأبصار
يا زينة الإصباح والإمساء، بل	بارونسق الآصال والأهوار
ماذا نحاول من تنائينا النوى	أنت الدن وأنا الخيال السارى
ألق الضحى ، ألقاك ثم من الدجى	سجل إليك خفية الإغوار
ولقد أطارحك الغرام مؤيدا	بلسنى الوجود المائج الزخار
وإذا أنت بوحدنى فلازها	سبى إليك وسمى ومنارى
ليه زمانى في الهوى وزمانها	لأنه قد كنت النخيل الجارى
متسلا بين الصباية والصبيا	مترقفا بمسارح الأوطار
سمع الأزقة ما تريد نحولا	وزيد عمرك أطول الأعمار
حتى إذا سكنت إليك لنا منى	كانت بظلك فى منى جوار
عد الفراق لطفى أنسك غاشما	إن الفراق جهنم الأقدار

تعليق

هذه القصيدة سبعة وعشرون بيتا ، أسقطنا منها اثني عشر بيتا من المديح ، لم تنشر القصيدة في الجزء الأول الطبعة القديمة . وقد نشر من أبيات النسيب خمسة عشر أثنا عشر بيتا في باب النسيب من الجزء الثاني في صفحة ١٥٥ ، كما أن شوق أحدث تعديلا في بعض هذه الأبيات ، لذلك لم نربطها من إعادة نشرها . أما الأبيات التي حذفها شوق فأولها البيت الثامن :

ولقد أطارحك الغرام مؤيدا بلسنى الوجود المائج الزخار

وهذا البيت في اعتقادنا أروع بيت في القصيدة ، لأنه قطب الأبيات التي جاوزت حدود
النزل الصناعي إلى شعر الحب ، ذلك الحب الذي يثبع نوره وجاذبيته في أرجاء الكون .
والبيتان الآخران اللذان حذفنا هما الثالث والرابع عشر ، تعقيبا على قوله : (إيه زمانى
فى الهوى وزمانها) .

سمح الأزقة ما تريد تحسولا ونريد عمرك أطول الأعمار
حتى إذا سكنت إليك لنا مئى كانت بظلك فى هنىّ جوار

وهذا الإسهاب في وصف زمان الشاعر في الهوى وزمانها ، كان تمهيدا للبيت الأخير ،
والقوة الدافعة له ، الكاشفة عن مداه (عهد الفراق لطى أنسك غاشما ...) .



والآن نبين تعديلات شوقي في الطبعة الأخيرة : في البيت الثانى وضع شاعرنا كلمة
(حواش) بدلا من (شواغل) ، فأصبح الشطر الأول : (وكفى الحياة لنا حواش
فاقتى) . وكلمة شواغل الأصلية أحل . وفي البيت الحادى عشر فى الشطر الثانى وضع
شوقي كلمة (التمر) مكان (الزلال) ، فصار الشطر (تالله قد كنت التمر الجارى) . وهذا
هو التعديل الوحيد الذى أبقيناه لأنه أنسب . وقد غير شوقي الشطر الأول جميعه من البيت
الأخير (بعد حذف البيتين السابقين له) فأصبح البيت :

نظير الفراق إليك فطروا كما إن الفراق جهنم الأقدار

وهذا الشطر الجديد رقيق ، ولكن الشطر الأول القديم أقوى ، كما أنه أكثر التثاماً مع بقية
البيت ، وهناك سبب آخر كان يحتم على شوقي إبقاء ذلك الشطر الأول على حاله وهو عدم
التكرار . فقد نشر شوقي في (المجلة المصرية) في عدد ١٥ ديسمبر سنة ١٩٠٠ ستة أبيات
« قالها وقد أشرف فى مدينة نابولى على الدار التى كانت يقيم فيها الخديوى إسماعيل » ،
ومعلوم أن إسماعيل بعد عزله فى سنة ١٨٧٩ أقام فى نابولى بإيطاليا لغاية سنة ١٨٨٥ ، ثم
تنقل بين عواصم أوروبا ، وأخيرا استقر به المقام فى الامتانة فى سنة ١٨٨٧ ، ومات
فى سنة ١٨٩٥ . وأبيات (المجلة المصرية) منشورة فى الجزء الرابع من الشوقيات .
قال شوقي :

أبيك إسماعيل مصر وفى البكا بمعد التذكر راحة المستعبر

ثم قال يصف البحر في إخراجها :

ما زال يحلى منك صحل حلة حتى دُفعت إلى المكان الأفقر
نظر الزمان إلى ديارك كلها نظر الرشيد إلى منازل جعفر

يشير إلى نكبة البرامكة المشهورة في زمن الرشيد . ولا شك أن في قوله (نظر الزمان) من
الرفقة والقوة والإعجاز ما فيه . ولكن شتان بين قوله (نظر الزمان إلى ديارك كلها) ، وقوله
(نظر الفراق إلينا فطوا كما) . ثم إن قوله في الصيغة الأصلية مخاطبا الزمان (عمد
الفراق لطى أسنك غاشما) أقوى من قوله مخاطبا الزمانين وهما واحد (نظر الفراق
إلينا فطوا كما) .

والشطر القديم ، عدا ما فيه من قوة التعبير ، يتحدر بالنغم السريع تقليدا للزمن الذى
يستجبل على الشباب واللذات . وقد انتهى الشطر منحدرًا في كلمة (غاشما) ليصعد بالشطر
الثاني ويسانده ، ويلقى على حكمة كل وجه :

عمد الفراق لطى أسنك غاشما إن الفراق جهنم الأقدار

من قصيدة قالت عنها الأهرام « من نظم شاعر فاق في بلاغته بديع الزمان وأزرى شعره بقصائد البحترى وأتى ذلك من تابقة هذا الزمان أحمد شوقي » .

و قربكم الزمان وما ينيل	رضاكم بالملاقة لي كفيل
وشحناء المحبة لا تطول	هجرتم فاحملت لكم فعدم
نهبتم مذهبها وهو الجميل	وما جاملتموها أهلا ولكن
أعاتبكم به عن البديل	و كنت إذا التمت لكم بدلا
وإن الحافظين له قليل	حفظت السود والوثة انتقال
ورأى لا تقيره أصيل	وبت أصون في الحب اعتقادي
ويارسلي جميلكم الجميل	فياصكتني أياديك الأيادي
بوجهك حين أوحشني الخليل	ويا أمل ساذكر طول أنسى
لما قد مر نسيان طويل	ويا دهرى شكرت وكان مني
لك الفرر السنية والمجول	ويا عصري و (المنوح) تنى
ولكن خيرها هذا السيل	أرى سبل الرجاء إليه شتى
دنا الأقصى ودان المستحيل	ألهما قام عزمك أو تصدى
وإن شفاعهم في أن يقولوا	وتعلم أن بالحساد داء
فأهلا أيها القمر الجليل	تزينت المنازل واستعدت
وأنت في سوادها نزيل	نوة العين لو زيدت سوادا
والمبرات بالبشرى مسيل	هرعنا والقلوب يشن وثبا
وحيث الفضل حملته يميل	فهلل حيث كل العز يسعى
سراة هزها النجم الدليل	ونبسط أيدي النجوى كأننا

(١) مبالغة غير مستباعدة أن يقال أن شعر شوقي أزرى بقصائد البحترى . ولكن مما لا ريب فيه أن هذه القصيدة بالذات بحرية الأسلوب وحسب شاعرها قوله .

ويا أمل ساذكر طول أنسى	بوجهك حين أوحشني الخليل
نوة العين لو زيدت سوادا	وأنت في سوادها نزيل

وقوله : وهو من الشعر الخلال :

ونبسط أيدي النجوى كأننا	سراة هزها النجم الدليل
-------------------------	------------------------

(هتاء النفوس بهصبح الجلوس)

”لحضرة الشاعر المتفرد الحميد والكاتب المتقن الأملى أحمد بك شوقي“

بل الليل عن أفلاكه هل جرت مدى وهبات ما يجرين إلا إلى مدى
 تنظرن في هلم القطر ومدى وطينه فرقا وزن المقلدا^(١)
 ولحن به القارئ حصى من الحكمة العلياء لم ترض منشدا
 تسيل بها نور الخلال حكاية وتجري حواشيه لجينا وعسجدا
 صاء النبي موكت ما كن غاطري فمجي بنات للشرقية تسعيدا^(٢)
 تبثت الظلماء والظب قها وشمل هوى ما يريد تبثدا
 نيا ندماي فبعضوا الفرح إلى أرى الحمام مهترها متوقفا
 ولا تصفوا في من عطفها إلى خلق في ثمرها يتهى الهدى
 لقد نلت كفى وطيت بكفى مرارا وصدى لا يبذل له مدى
 وما قصرت بخت الكرم وإعنا مددتم بها الأبدى ومد الأمنى يدا
 ولست امرأ ترقى الموم السيرة ولكنها نفس تحاول مقصدا
 أضيق بها جينا وظورا تضيق بي كما طالج القمد الحسام المهندا
 وأشقى بها همتا وأصبا مطالبا وأتعب فيها بالحسين حسدا
 ومن يك قد ذم الأطلال طغى لدناني من الأحباب لا أظلم العدى
 وما كنت من يرجوهم لهمة ولكنها استقضيت حقا مؤكدا
 وما مال ذو حق . وإن جل حقه إلى الحق لا ضيع الحق واعتدى
 ولو شئت بجاهنى المسالى طرفة ولكن وجدت الصبر أعذب موردا
 أرى الصديق ملكا والراء عبودا وإن كان ملكا للكثير وسؤدا
 وأعلم أنه اليوم بالأمن لاحق وأن لعباس وللأمة الفدا

(١) فرق الرأس بين الحين والآخر . ما أشد عراص القلادة . والقلادة ما جعل في العنق من الخل .

(٢) فيه أى في الدين . صفة تسعد تسدى إذا كان الشاعر يحاطب بنات الشجرة ولعلها ليسعدا ويكون الضمير

تعليق

أسقطنا من هذه القصيدة اثنين وعشرين بيتا في المدح . ولم نشعر القصيدة أو أبيات منها في أي من دواوين شوقي مع أنها من الشعر الجيد . وحسبنا أن شعر « التأملات » في الكون والحياة احتل مكان الصدارة فيها بدلا من الفزل . وإنه لأحب إلى النفس أن يكون المطلع (سل الليل عن أفلاكه هل برزت سدى) بدلا من (مضى وليس به حراك) ..
وبذكرنا مطلع قصيدة شوقي بمطلع قصيدة أخرى للهارودي :

سل الفلك الدوار إن كان ينطق وكيف يحير القول أنحس مطرق
ومن حسرات شوقي في قصيدته قوله :

لقد نهلت كفى وعلت بكأسها مرارا وحسدى لا يبل له صدى
وما فصررت بفت الكروم وإنما مددت بها الأيدي ومدة الأسى يدا
ولست أمرا ترقى الهوم لصدده ولكنها نفس تحاول مقصدا
أضيق بها حيناً وطورا تضيق بي كما عاج الغمد الحسام المهندا

ولذا كان هذا التعبير (كما عاج الغمد) لشوقي ، وأغلب الظن أنه له ، فإن في ذلك دليلا على أن شاعرنا كان يملك ناصية اللغة كأبي تمام والبحرئى والمتنبي وغيرهم من شعراء العرب . وإن من يقرأ قصيدة شوقي في ثناج أبياتها يحس كأنما نمله سفينة في بحر لجى تنفى له أمواجه ورياحه غناء فخيا حتى إذا بلغ في النهاية الشطر الثانى من قوله :
وأعلم أن اليوم بالأمس لاحق وأن لعباس وللأمة الفدا
أحسن بقاء إن الماء قد غيض من حوله وأنه غريق في شبر من طين ..

(١) شر (أبو طاق) في عقد ١٦ ديسمبر سنة ١٩٠٦ من (الكوكب) يقول : « وكادت معجزات يراعه (شوقي) تقود سامعيه إلى السجود » وتجري في القلوب يكرى الماء في الود . فن ذلك قوله في قصيدته التي مطلعها :
مضى وليس به حراك لكن يحف إذا رآك
فلنك في هذا البيت من معنى تكسب بالأسود . ويتفحص لها الصغور . ولولا أن سعادته كثير الحركة . وقته كثير الحركة . . . معتدل الصفة . . . لطالبه الشفاء من ذلك الضنى . ولكن الشعر كما كان مبالغا فيه . خفت على الأرباح ممانته الخ ..

هلال الصيام

يا هلال الصيام مثلك في السا بين للفر من طوى الأفلاكا
مرحبا بالتواب منك وأهلا بليال جمالها لقياكا
كل مال أو كابر أو تيسل أو وجه من النجوم فداكا
كيف يبلغن ما بلغت وما حا ولن شأوا ولا سرين سراكا^(١)
أنت مهد الشهور والحسن والإش راق مهد الوجود منذ صباكا
فوق هام الظلام ضوء جين لا تكون تاج للكائنات ضياكا
غرة الليل والركاب إذا أد همه قام ساجدا في سناكا^(٢)
وإذا ما أفاق يظهر أحيا لا ويدي أطواقه كنت ذاكا^(٣)
ورقيب على الهياكل إذا ك قت عصاها صدعتها بمصاكا
وجناح لطائر مناهه اللي مل فامسى يساج الأشراكا
أيها الطائر المريد فما قد لدر نفس عما يريد فكاكا
تقسم الكائنات منك بنون غلم النور خطها غلاكا^(٤)
في كتاب جعلت قفلا طيه من يمين ما أومات بسواكا

- (١) السرى السر بالليل . (٢) الركاب الإبل . والأدم : الأسود يكون في الليل والإبل وسرهما .
فرس أدم وسر أدم والعرب يقول ملوك الخليل ومنها . والضمير في أدمه عائد على الليل .
(٣) الجبل : الخلفاء والجبل : البياض . والتجمل بياض في قسائم الفرس كلها . والطورق : حل للفق
يسقطه . وأناف : أنوف وطال وارفع يقال "أناف الجبل وأناف الباء" وأناف البعير طال وارفع . (النياف)
بالكسر . من الجبال والنور : الطويل في ارتفاع . يقال "جبل وناقة نياف" و (امرأة نياف) تامة الطول
والحسن . (٤) حل الشيء (بكسر الحاء) يحصل حلا . فحل في معنى وقلي : أعجبني ومنه قول الرازي
"فحل العين إذا ما تجهر" أي يحل بالعين إذا أبصرت . وحل الشيء يحلوه : يحله حلوا .

وإنما الأمم الأخلاق

نشرت هذه القصيدة في الجزء الأول من الشوقيات طبعة قديمة ص ٥٧ ، ولكنها أسقطت من ديوان (الشوقيات) الأخير ، مع أنها من أروع قصائد شوقي القديمة ، وحسبها ما ورد فيها في وصف الطير في الأبيات الستة التي يتندى من قوله : (وأسعدت مشرفات من مكانها) ، وتنتهي إلى قوله :

وتبرح الفرع نحو الفرع جاذبة بالفصن فالفرع نحو الفرع منجذب
ومن آيات الحكمة الجيدة فيها :

وإن تحير بي قسوى فلا عجب إن الحقيقة سبيل نحوها الريب
وقوله الذي جرى على كل لسان :

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

وهذا البيت الضخم يليه في الحكمة قول شوقي (رجل مات والرجال قليل) ، وهكذا يخلق شوقي في سماء المثني . كتب المرحوم الدكتور أحمد زكي أبو شادي في مقال ختامي عن شوقي (أيلول ديسمبر سنة ١٩٣٢ صفحة ٥٠٠) يقول : " وحتى يتنه المشهور :

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

ليس من الشعر في شيء ، وإن كان آية من الحكمة الساذجة ، ولكن الشعر والحكمة تجتمعان في مثل قول شوقي :

دقات قلب المرء فائلة له إن الحياة دقائق وثواني

وقوله : فما العبد إلا كالدهان وإن علا إلى النجم منحط إلى الأرض سافل

وقوله : ومن تبسم الدنيا إليه فيغتر يمت كقتيل الغيد بالبسمات

وتوجد نماذج للحكم الشعرية أخرى نفيسة في « شوقياته » ، كما يوجد بجانبها غير قليل من النظم الخبرى التقريرى الذى لا نعهده من الفلسفة الشعرية في شيء " .

لا نوافق الدكتور أبو شادي فيما ذهب إليه ، ونرى أن البيتين اللذين ذكرهما لشوقي (دقات قلب المرء .. فما العبد إلا كالدهان) يتنان جيدان من الناحية الشعرية فحسب ، لأن مادة كليهما صورة خيالية جوفاء وإن كانت جميلة . أما قوله (وإنما الأمم الأخلاق) فهو حكمة

حقيقة ، ولو كان مثلاً فقط - يقرر ويصوغ حقيقة شائعة في النفوس يحس بها كل فرد صياغة محكمة ويصحبها في قلبها لكان من الشعر الباقي على الزمن ، فكيف بالحقيقة الكبرى التي صاغها شوقي في أسلوب دقيق من المهمل المنتع ، وهذه السهولة هي التي تجعل البعض يتوهم أن البيت مجرد نظم جري العري ، وأنه لا عمق فيه ، فالسطح والعمق سواء في التقدير الصافي . وقد كثر شوقي نفسه هذا المعنى أو هذه الحقيقة أو تلك الحكمة في حوالي عشرين بيتاً ، مع تنويع يسير في الألفاظ أو الغافية ، ولكنه لم يوفق إلا في هذه الصياغة - كتب (١٠٠ ش) في (المجلة المصرية) في عدد ١٦ يونيو سنة ١٩٠٠ تحت عنوان (الأخلاق) تعليقا على بيت شوقي قال في بدايته : " كان يقال أعلى الممالك ما يبنى على الأسفل ، وكان يقال العالم تتقدم الدول ، وكان يقال بالدين وحده أسود الممل ، واليوم يقال الأمم الأخلاق فإذا ذهبت ذهبوا . ذلك أن قبيل القوة بالأخلاق كثير ، وضر العلم بالأخلاق جم ، وبركة الدين بالأخلاق أتم وأعم ، فهي أفضل ما يهب الله للأمم ، يعرفون الأمر كيف يحس ، والخطب كيف يدفع ، والعز كيف يسترجع ، والحق كيف ينسج ، والمدل كيف ينسج ، والسيف والسيوف كلاً أين يوضع . مناقب عالية ، ومزايا سامية لا تنال بالسيف وحده ، ولا تدرك بالعلم على حدة ، ولا تبلغ بالدين على انفراد ، ولا تحرز بهذه الثلاث مجتمعات لكن لتكفل بها للأمم الأخلاق " .

الأمم الأخلاق تعبير أو مثل لا يصلح في قوة الإيجاز ودقة الصياغة إلا قول شكسبير To be or not to be الذي لم تستطع لغة في العالم نقله إليها نقلاً صحيحاً ، بالرغم من وضوحه وصورته . وهذا هو سر العبقرية ، عبقرية اللغة وعبقرية النظم .

القصيدة

محسوت واستدركني شيعي الأدب	وبت تتكرني اللذات والطرب
وما رشادي إلا لاسع يارقسة	يرام فيه ويقضى للعللى أرب
دعت فاسمع داعيها ولو صكت	دعوت أسمها والحرز يتسب
وهكذا أنا في همي وفي همي	إن الرجال إذا ما حاولوا دأبوا
ولي همامة نفس حيث أجعلها	لا حيث يجعلها الأحداث والنوب
لها على عزة الأقدار إن مطلت	حلم الليوث إذا ما استأخر السلب

وانت تحبوني قوم فلا عجب
 او شكت انك افسلامى وتلفنى
 هو راوا ان تظل القصب مغمدة
 وضيت لو ان نفسى بالرضى انتفعت
 قالت منابر وادى النيل حصتها
 وملعب كعاني الحلم لو صدقت
 تدفق الدهر باللذات فيه فلا
 وجملت عصابة يحيا الوفاء بهم
 بانوا الفراق لا لاء وما سفروا
 واسعدت مشرقا من مكافئها
 مستأنسات فسريرات باخيسة
 ما بين حام سباب الجار ساحه
 وغادة من بسات الأيك ساهية
 قبرة العين بالدينا مروعنة
 وترح الفرع نحو الفرع جاذية
 ابا الجبارى الا رأى فيعصمهم
 لن يعرف اليأس قوم أنت حصنهم
 مؤدتهم أنت يبينوا في خلافتهم
 والصدق أرفع ما اهتم الرجال له
 وإنما الأهم الأخلاق ما بقيت

وان الحقيقة سبل نحوها الرّيب
 وما ألتت بنى مصر الذى طلبوا
 فلن تذيب سوى أعمادها القصب
 وكم غضبت فما أدانى الغضب
 منى ومن قبل نال اللهو والطرب
 وكالأماني لسولا أنها كذب
 عنها انصراف ولا من دونها حجب
 فهم جمال الليالى أو هم الشهب
 عليه والبان أعطافا وما شربوا
 حمر المتناقر فى لياتها ذهب
 من سندس الروض لم يمدد بها ظن
 وناشئ يزديه الطسوق والزغب
 ما تستفيق وأخرى همها اللعب
 بالأسر تضحك أحيانا وتنحب
 بالفضن فالفرع نحو الفرع متجذب
 فليس إلا إلى آرائك الهرب
 وأنت رايتهم والفيلق اللجب
 فانت حين بما عؤدتهم تهب
 وخبر ما عؤد أنا فى الحياة أب
 فإن هو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

تعليل

لقد أجاد شوقي تصوير الطير فى أبيات أخرى من قصيدة « الربيع ووادى النيل » :

ما بين شناد فى المجالس أيكه
 غرد على أوتاره يوحى إلى
 بيض الفلانس فى سواد جلاب
 رتلن فى أوراقهن ملاحنا
 يحظرون بين آرائك ومنابر
 وعجبات الأيك فى الأدواح
 غرد على أغصانه صداح
 حلين بالأطواق والأوشاح
 كالراهبات صبيحة الإفصاح
 فى هيكل من سندس فياح

ويلاحظ أن شوقي مولع برسم حركات الطير وألوانها وألحانها ، التي تبدو فيها بهجة الطبيعة والحياة . وقال أيضا من قصيدة أخرى منشورة في ديوانه :

كم في الحماكل وهي بعض إمانها من ذات خلخال وذات سوار
وحسرة عنها الثياب وخسرة في النعامات تجرّ فضل إزار
ومضجك من تملأ الدنيا سنى وعريقة في دمعها المدرار
ووحيدة بالنجد تشكو وحشة وكثيرة الأثراب بالأغوار

وله أيضا :

ولقد أقول لها تف محمرا يبكي لغير نوى ولا أمر
والروحى أحرى غير وسوسة تخفى العصور وجرية الغدر
ولطير على الأيك أرواسها مثل النمار بدت على السدر
البقى الحناح وناء بالصدر ورناء بصغراوين كالنبر
كلم السهاد بيوت هديهما وأقام بين رسومها الجمر
تهدا جوارحه فتصليها من صنعة الأيدي أو السحر
وتشور فهو على العصور يسد علفت أناملها من الجمر

في البيتين الأخيرين أبدع شوقي في وصف الطائر في حالتي سكونه واضطرابه . وللبارودي شعر رائع في الطير وهو القائل :

خوارج من أيك دواخل غيره زعاجن ظل سابغ وغدير
وقد عاش للشاعران في حجر النعم بين الرياض والحدائق والأعصان والطير، فظهر في شعرهما أثر البيئة الخاصة التي هي مصدر الوحي الأول ، وأقل عامل في تكوين الشخصية .

(إن من الشعر لحكمة)

”بعث إلينا أحد أفاضل الشعراء بهذين البيتين فنشرناهما لإجابة لطلبه“ :

زعم المقطم أنه ^(١) ينشئ وينشر فلسفه
صدق المقطم ياله ^(٢) من فيلسوف في السفسه

- (١) أنشئ المقطم ليكون لسان الاحتلال في سنة ١٨٨٩ ، وبعد ظهوره بشهور ، في خمس السه ، أنشئ المزود للدفاع عن مصر والحللة والإسلام الى كان يعمل الانكليز على النيل منها . وقد اشتد ساعد المزود بأشداد ساعد الحركة الوطنية في سنة ١٨٩٥ ، وبدأ شوقي ينشر فيه شعره بعد أن كان يخص به الأهرام . وكان مصطفى كامل يترك في إصدار جريدته منذ سنة ١٨٩٧ ، ولكن رسالته لم تمكنه من ذلك فاكفى بنشر مقالاته في الأهرام أولا ثم في المزود حتى سنة ١٩٠٠ ، وكان الصراع شديدا بين المزود والمقطم منذ البداية من ناحية وبين الأهرام والمقطم من ناحية أخرى . وكان (المزود) في السنوات الثلاث الأخيرة من القرن التاسع عشر أقوى جريدة في الشرق فاضطرت الأهرام ، وكانت تلج في الإسكندرية منذ صدورها ، إلى الانتقال إلى العاصمة في نوفمبر ١٨٩٩ لتنافس في الحركة مع المزود والقواء . وكانت المقطم تتناول المزود والأهرام بألفاظ أساليب السب والهجاء .
- (٢) كتب شوقي من الحقيقة في (أسواق الذهب) يقول : « الحق أن افئات الفلسفة على ضنائف الله صفه » .

من شهرة

ملك بأفق الزوى على كرمها يدهو الجهاد بحاله ليهيا
أبى من الدنيا وأزى من طلقها وألف من حرف الحياة شها
الريح تحضن بانه من قده والبحر يرحم دژ فيه ينسجا
والشمس تغشى شعره وكأنيما خلعت عليه نضارها الموهوما
والناس في شغل به وسجب لا يذكرون من الموم قديما
بارملة التفر استرقى وأطلقى من بات من فن الغرام سليما
تجمل للنسبا فيمنى سحبا وجمال أفتك بالشموس عموما
بالأفانق اللامعات يمشى يمشى أشم على المياه نجيا
الحايات عليه أفسس الهوى غربا لنا طورا وحينما روما
الطامعات ولا أقول فراقدا حذر العيون ولا أقول نجوما
والساحبات من الطلقة الحسنة والهاقيات من الدلال نسجا
والانفطاز من العلقى مرققا والباسمات عن الجمان نظيجا
والساحبات من الحرير مطارفا ودّ الأصيل قشيبين أدبيا
من كل مقلة تخف لها النوى وثمنا وأخذها القسواد صمجا
هيفاء تشدى بهجة في أروفا هيفاء تططر نضرة ونسجا
متجانسات في سياق وفودها يحكين هذا اللؤلؤ المنظوما

- (١) التيم المقدر من كل شيء . يقال يت تيم ويد تيم —
(٢) التفاضل الذهب و — الفضة وقد غلب على الذهب .
(٣) الصميم المحض والخالص من كل شيء .

- (١) الحرف يفتح السين الزائحة الثانية .
وكل شيء . يمز ظليده .
(٤) التفر الإسكندرية

تهنئة

ها نحن أولاء ننشر القصيدة الآتية برمتها ، مع تقديم المؤيد لها بنصه ، لأهمية الموضوع في ذاته ولكن لأهميته في تاريخ النقد الأدبي ، فقد نسبت بسبب القصيدة شحناء امتلأت بها نفس شوقي وناقده داود عمون فتطاعنا بنوافذ من الشعر . . قال المؤيد :

” لقد جرت عادتنا وحضرة الفاضل نابغة عصره الشاعر المجيد أحمد أفندي شوقي أحد موظفي السكرتارية الخديوية أن نشترك معا في رفع شعائر التهانى على صفحات المؤيد فنكتب المقدمة ثرا ونكسوها بحلة كلامه البهية شعرا ، ولكنه بعث لنا هذه الميزة كتابا خصوصا مع قصيدته الفراء ثرفيه درر البلاغة ثرا ، فرأينا من العمل بالأكل أن لا نقدم على شعره مباشرة غير نثره محافظة على مجاورة الأفضل للأفضل ، وهذا هو نص خطابه الخصوصي ، وإن لم يشر بنشره :

” عزيزي : إذا حل السعد في مغانيه ، وزل الغيث في مشاتيه ، وشهد الهلال هذا البلد ومن فيه ، فأهل لله حاضره وبأديه ، ونابج الحافظ الأمين مناجيه . أن يسلم الحاكم للملة والملك لراجيه . فلا تنس للمؤيد الذاكر ، ولهذا الصديق الشاعر سنة الاشتراك الحولى في تحية المولى المحبوب ، اشتراك سراير وقلوب ، وليس بالمفتري ولا المكنوب ، ولا بالمخلوق ولا المجلوب . فإيه واشترك في تهم الولاء لذاك المقام ، وإذا سرقت فاسرق الأبواب والأفهام ، وأذقها فوق مذاق البشرى بالمقدم الأسعد والسلام “ .

المخلص (شوقي)

بات المعنى والدجى يتلى	والبرج لا وائى ولا منجلى
والشهب فى كل سبيل له	بموقف الأتوام والعذل
إذا رعاها ساهبا ساهرا	رعينه بالحق النفل
يا ليل قد جرت ولم تعدل	ما أنت يا أسود إلا خلى
تالله لو حكمت فى الصبح أن	تفعل خفت الله لم تفعل
أو طلت سيفا فى جيوش الضحى	ما كنت للأعداء ما أنت لى
أبيت أشقى ويدير الجوى	والكأس لا تهنى ولا تملى
والحد من دمعى ومن فيضه	يشرب من عين ومن جدول

والشوق نار في رماد الأمل	والفكر يذكي والحشا يصطلي
والقلب قسّوام على أضلعي	كأنه الناقوس في الهيكل
فدت برب النفس من شقوفي	وبلر كلب الأسعد المقبل
أهلا برب النيل رب القرى	رب البطاح العكثريما يلى
الجامع العرشين في واحد	واللابس التاجين في المحفل
والساحب القليل على عصره	على ملوك الزمن الأول
أهلا ببولانا وسهلا به	ومرحبا بالسيد المفضل
المحطى متن السها هزة	قلوا أشار الدهر لم يقر
المقسم المجزل من نفسه	من جده من جده المجزل
الحاصل الأمة من عدله	والفضل بين الظل والمنهل
عاصمة النيل أزمعي وأنجلي	واتخذى اليوم صنوف الحل
واستعرض الخيل ومضى له	يد باجفيل فاجفيل
وأنت يا قصر ابتج وابتهل	وأهد الملا بالعلم المرسل
وأزلف الوفد إلى وجههم	وظلل السدة وأظلل
ويأبى مصر أمرعوا وأضرعوا	يحفظ مولى مصر والموئل
هذا لكم وجه الندى والهدى	فأستقبلوه خير مستقبل

تعليق

نشر (المقطم) في عدد ٧ نوفمبر سنة ١٨٩٦ انتقادا لداود عمون الشاعر جاء فيه :
نظم حضرة (أحمد بك شوقي) قصيدة لامية من البحر السريع فقرأتها منشوقا ، فإذا هي من
الشعر العادى إذ لا أظن أحدا يعتبر من المتانة قوله :

الجامع العرشين في واحد واللابس التاجين في المحفل

فتخصيص الشاعر لابس التاجين في المحفل لا معنى له ولا صحة لا في الحقيقة ولا في المجاز
ولكنها القافية فضت فأطاع الشاعر . وما يذكر في موضع الركاكة قوله مخاطبا الليل :
(ما أنت يا أسود إلا خلى) . وما حكيت به القافية قوله : (والكأس لا تنفى ولا تمتلى) ،
فما خسر لو امتلأت الكأس التي يسقى بها والجوى مديرها ، وهو مبالغ في وصف شدة حاله
بل أنه كان أصلح لو وصف الحالة أن تكون الكأس دهاقا . ومن المعانى السقيمة المضطربة
قوله في الليل :

تالله لو حكمت في الصبح أن تفعل خفت الله لم تفعل
أو طلت سيفاً في جيوش الضحى ما كنت للأعداء ما أنت لي
فالبيت الثاني تكرر لمعنى البيت الأول ، وذهب الليل إلى الشاعر طوله ، وزواله إنما يكون
بالنسبة إلى الشاعر وإلى الصبح في وقت واحد ، فهو لا يفعل بالصبح مدوه أكثر مما
يفعل بالشاعر .

ومن محال الضعف قوله في وصف المليك :
المتطلى متن السهى عزه فلو أشار الدهر لم يتزل
مبالغة . ومن ضعيف التعبير :

الجامع الأمة من عدله والفضل بين الظل والمنهل
فإن عطفه الفضل على مدله ضعيف وإن كان جائزاً . وفي الشطر الثاني من قوله :
وأزلف الوفد إلى ربهم وظلل السدة واطلل
غلطة في الوزن ، وهى بلا شك من المطبعة .

ومطلع القصيدة حسن . والبيت الذى يليه جميل والبيت الثالث وهو :
إذا رعاها ساهياً ساهراً رعينه بالحق الفحل
بيت القصيد . وهو جميل جداً والتشبيه فيه بدیع .
والخلاصة أن القصيدة تستوقف النظر ، ولو كانت لمجهول لاستحقت المدح ، ولكنها
لا تستحقه وهى لأحمد بك شوقى .

وقلما قرأت له قصيدة إلا وجدت فيها بعض أبيات عامرة بارزة معنى ومبنى ، تحاكي
أحسن أبيات المتنبي ، كقوله من قصيدة مخاطبة الأمير :

أهما شاء عزمك أو تصدى دنا الأقصى ودان المستحيل
وقوله :

تحبك يا ابن توفيق قلوب لغيرك ظهرها ولك الصميم
وترجو أن تدوم لها نفوس إذا تبقى لها يبقى النعم
عن اللذات صامت لم تجادل وأما عن هواك فلا تصوم
وقوله من قصيدة كلها تستحق الذكر :

وإلى السيد الخليفة نشكو جور دهر أحراره ظلام
وعدوها لنا وعدوا بكارا هل رأيت القرى علاها الجهام

وقوله من قصيدة أخرى :

وب قد أنكروا الصراط طينا وهو الحق فأهدنا كيف تعبد
ذنب مصر ومثل مصر لهمم أننا المسلمون يا رب فأشهد
فأخذ من شيا بك الفض عضا وأدع مصرا لك أدعها تتقلد

وكقوله من همزته المشهورة :

إن ملكك النفوس فأبغ رضاها فلها ثورة وفيها مضاء
يسكن الوحش للوثوب من الأسر بر فكيف الخلائق العقلاء

وكقوله منها :

إنما ينكروا الديانات قسوم هم بما ينكروه أشقياء
وهذا البيت الأخير آية في الصحة والجمال .. وهذه الحمزية أجود شعر أحمد بك شوقي ،
وهي من أعلى الشعر وأنفسه " انتهى .



هذا أهم ما جاء في نقد داود عمون ، ولا تأخذ عليه إلا أنه أغفل بيتا جميلا في القصيدة
وهو قول شوقي :

والقلب قوام على أضلئ كأنه الناقوس في الميكل

ذكر شوقي هذا المعنى بعد ذلك في داليتة الشهيرة :

ناقوس القلب يدق له وحنايا الأضلع معبده

غضب شوقي من النقد ، ومرض الناقد في قصيدة نشرتها (المؤيد) في ٨
يناير سنة ١٨٩٧ تهتة بعيد الجلوس .. وهي في الجزء الأول ، طبعة قديمة ، من

الشوقيات ص ٧١

ويعني من حاسدي ابن محمد خلاف وشعب بيننا الدهر منسد^(٢)
فلا حكى دعوى ولا منطق هوى ولا مبدئى لؤم ولا قلبى وغد
جعلت مديحى آية الود فى الورى بغباب به الدنيا وما انتقل الود
قوافى لرب الشعر لا النظم طائل إذا هى سارت فى البلاد ولا النقد
يهذبها العلم الذى العلم بعضه وهذا البيان الوحي والحكمة الوقد

أوانس أحيانا شوارد تارة لها لعب آنا وآنا لها جد
وتأوى يقيات الدهور بيوتها فتمسى ومن مبنى الجلال لها مهد
ومن روائع هذه القصيدة ، عدا الأبيات السابقة التي عرض فيها بداود عمون ، قوله في أولها
يصف نجوم الليل :

سما الدجى هل شف أجرامك السهد	فباتت جيارى لا حراك ولا جهد
ضئال وما حلت عزائمها النسوى	ولا مدها بين ولا راعها بعد
هوائ ولا شوق . شواك ولا جوى	سهادى ولا فكر . هيامى ولا وجد ^(١)
غوايب فى الآراد صفر كأنها	يوافقت زهر حفها لؤلؤ نضد ^(٢)
كأن الدجى بحر كأن نجومه	سفائن فوضى لا سبيل ولا قصد
تعالج أشراك الردى مستغنية	فتهوى ولا عون وتطفو ولا عضد

البيت الأخير يلى ضخمة ومأساة واسعة تمثل حياة الأجرام والعوالم فى محيط اللانهاية . وهو
صبيحة شاعر تدق فى الفضاء الأصم .

ولشوق فى نفس القصيدة أبيات غزلية يبدو فيها نفس البارودى وديباجته :

وذا دلال من بنى الروم حولها	إذا ماتت إخوة سبعة مرد
عنيت بها حتى ألتقينا فهزها	فتى عرى ملء برده مجد
فقال طيب بعد عسر وشدة	فقلت نعم مسك الأحاديث والند
« ملنا من النعمى وطوق غيرنا	تداولت الأيام وأنتقل العقد
وما ضاعت الدنيا طينا وحسنا	ولكن عن أغصانه رحل الورد
ومن ظن بالأباء مجدا يصيبه	فإن لنحن الوالدو المجد والولد
فكن للعل فرعا وكن فرع من شأ	فإن المعالى حبذا الأب والجد



ارد الأستاذ داود عمون على تعريض شوقى به أبيات عنوانها " داء ودواء " . قال :

أجب قلبى داعى الخصاص فلا بد	فقد بدت البغضاء وأنكشف الحقد
وأشرع قوم للبذاء وشيخهم	سراعا إلى العوراء تعدو بهم جرد ^(٣)

(١) لا أدري كيف جمع شوقى ساعدة على سهادى وهيامى على هيامى .

(٢) أراد جمع راد . راد الضحى ورائده وقت ارتفاع الشمس وأنبساط الضوء فى شباب النهار .

(٣) الوشيخ شجر الرماح وأصله عروق القنا سميت به لتداخل بعضها فى بعض يقال " تطاعنوا بالوشيح " .

على عهد ذنب غير أنى مدحتهم	بنقدي والجعلان يؤلمها الورد ^(١)
أنا بنة المصريين لا العصر وحده	أمن ذاك حاج الضغن وارتحل الرشد
أكل الذى خطت يمينك منزل	وكل الذى يلقيه فوك لنا شهد
حلفت لو أنى أرتضى الشعر حرفة	لما كان لى ما بين أربابه ند
نجيب إذا ما المرء مد بفضله	نسب إذا ما سمى الأب والجد
جموع لأشتات العلوم مفقوه	(فلا مبدى لؤم ولا قلبى وفد)
ولى قلم يابى سوى الوعر مرجا	لما شانه ذك ولا طابه قد
وما حظ من قدرى صفات تكرمت	على بها من عند أنفسها مرد
على أنه لو كان خصمى متصفا	لكان جزأى عنده الشكر والحمد
فانى قد داويته من غروره	ولولاى كان الداء ينمو ويستند

(١) الجعلان (بكسر الجيم) جمع جمل كمود وهو ضرب من الخنافس تضر به ريح الورد قال المتنبي "كما تضر رباح الورد بالجمل".

عيد الفطر

هذه القصيدة بلا شك من خالص شعر أحمد . فيها روح التواصي وأبى العتاهية .
جمة الروائع : منها قوله في الدار :

دار من أحبت آيتها أنها تصنى بلا أدب
وقوله في الفؤاد :

أوهته الحادثات هوى وهو خفاق على الوهن
كل ركن كل زاوية هيكل يهفو على وثن
خلع الأسرار كاهنه وبغير الحسن لم يدن

وقد عرف شوقي كيف يبكي الدار التي كان يحبها كما بكاهم الأقدمون ولكنه زاد
عليهم وأبدع في حسن انتقاله من الدار إلى الوطن وما أقرب المسافة بينهما .

عجبا توفي الديار ومن لك بالوافين للسكن
في هوى الأوطان معذرة لذوى الأخلاق والوطن
أنت في فقر إذا أفقرت وإذا استغنت فانت غني
وإذا عزت عززت بها وإذا هانت فرح فهن
إن إنسانا تقابله ليس إنسانا بلا وطن

هذا ما يقوله شاعر الوطنية وصداها في حب الوطن . ولعمري أى شاعر غير شوقي
يرتفع بجناحه من ذلك السهل الممتنع (إن إنسانا تقابله) إلى أعالي الذرى في سماء الفكر
والعاطفة في قوله (ليس إنسانا بلا وطن) . .

(١) قصيدة شوقي

طوقتك السحب باليمن ووقيت الغدير من دمن
وجزيت الخلد عن زمن كان كل العهد بالزمن
مرة في تلك الظلال لنا كمرور الحلم في الوسن
منة للدار نذكرها بلسان المدمع المهن

دار من أحييت أيها	أنها تصني بلا أذن
عهدنا لي والمنى أمترجا	كاستراج الروح بالبدن
إذ عنان العيش منطلق	بالصبا واللهو والبدن ^(١)
لين حال الموى وإذا	رضته للصحو لم يكن
وفؤادى لا رشاد له	طالب الذات ليس ينى
أوهته الحادثات موى	وهو خفاق على الوهن
كل وكن كل زاوية	هيكل يهفو على وثن
خلع الأسرار ^(٢) كاهنه	وبغير الحسن لم يدن
عجبا توفى الديار ومن	لك بالوافين للسكن
في موى الأوطان معذرة	لذوى الأخلاق والنطن
أنت في فقر إذا انتفرت	وإذا استغنت فأنت غنى
وإذا عزت عززت بها	وإذا هانت فرح فهن
إن إنسانا تقابله	ليس إنسانا بلا وطن

(١) الهدى للهو والحب، ولأه وام محذرة كلام القد . ويقال فيه أيضا (الددا) بفتح الدالين وإثبات واوه وقلبه ألقا ، (والهدن) وفي الحديث « ما أنا من ولا الهدد منى » أى ما أنا فى شيء من الهو والحب ولا ذلك منى أى من أشتالى . (٢) السر ما يكتم ، والمر خالص كل شيء . والسر فى العرف المسيحى إشارة محسوسة تدل على شيء غير محسوس كالمعمودية ونحوها .

بين ١٨٩٠ و ١٩٠٤

١

في ١٩ يونيه سنة ١٨٩٤ نشرت (الأهرام) قصيدة لشوقي يتمدح فيها الجنب الخديوي
بحريا على المؤلف . وقد ظهرت هذه القصيدة في الجزء الأول من (الشوقيات) الطبعة
التقدمة ص ٩٤ وهذا نص القسم الغزلي منها :

حلو الوعود متى وفاك	أتراك منجزها تراك
من كل لفظ لو أذن	ت لأجله قبلت فاك
يروى الحلاوة عن ثنا	ياك العذاب وعن لماك ^(١)
رخصت به الدنيا فكي	ف إذا أفاكته يدك
ظلمنا أقول جنى الهوى	لم يحسن إلا مقتلناك
غدنا منية من رأي	ت ورحت منية من رآك
والنفس تهلك مرة	والنفس يشفيها الهلاك
من علم الأجنان في	أهدابها مد الشباك
وتصيد الآساد بال	أجام تسلبها الحراك
يا قامى القلب أتشد	وأقل جهدك في جفاك
ماذا انتفاعي فيك بال	برحماء من بالك وشاك
نفس قضت في الحب من	أولى برحمتها سواك

٢

وقد جاء في مجلة (الزهور) عدد أكتوبر سنة ١٩١١ تحت عنوان (ملحق الشوقيات)
ما يأتي : (وقد أشرنا الى ذلك في المقدمة) :

« أهدى إلينا شاعر من أصدقاء (الزهور) وعشراء شوقي في عهد الصبا الأبيات الآتية
وكان قد نظمها شاعر الأمير في مدح المغفور له توفيق باشا الخديوي السابق^(٢) . ولم نعتز لها
على أثر في (الشوقيات) بل وجدنا هناك أبياتا من وزنها وقافيتها » .

(١) الى (بفتح اللام) حمرة في باطن الشفة أوشية سواد فيها وذلك مما يستحسن .

(٢) نشرت هذه القصيدة في (الوقائع المصرية) عدد ١٦ أغسطس سنة ١٨٩٠

أما الأبيات المفقودة فهي (ونجترئ بالنسب) :

مضنى وليس به حراك لكن يخف إذا رآك
ويميل من طرب إذا ما يلت يا غصن الأراك
إن الجمال كساك من ورق المحاسن ما كساك
فنت بين جوانحي والقلب من دمه سقاك
لبت اعتدالك كان لي منه نصيب في هواك
بالبت عسرى ما أما لك عن هواي وما شاك
ما همت في روض الحمى إلا وأسعكرني شذاك
والقلب مخفوض الجنا ح يسم فيه على جناك

٢

وفي الجزء الأول من (الشوقيات) الذي ظهر سنة ١٩٢٦ اختار شوقي تسعة أبيات

من القصيدتين السابقتين فصار النص كالآتي :

مضنى وليس به حراك لكن يخف إذا رآك
ويميل من طرب إذا ما يلت يا غصن الأراك
إن الجمال كساك من ورق المحاسن ما كساك
ونبت بين جوانحي والقلب من دمه سقاك
حلو الوعود متى وفاك أنسراك منجزها تراك
من كل لفظ لو أذد ت لأجله قبلت فاك
أخذ الحلاوة عن ثنا بك العذاب وعن لثاك
ظلمنا أقول جنى الهوى لم يمين إلا مقلتاك
غدما منية من رايه ت ورحت منية من رآك

لا أظن أن شوقي كان موقفا في الاختيار وتركه أبياتا كانت جديرة بالبقاء . وقوله :

« أخذ الحلاوة عن ثناياك .. » أقل روعه من قوله في الصياغة الأولى : « يروى الحلاوة

عن ثناياك .. العذاب .. »

وقد نشرت جريدة (الواعظ) للشاعر المفلح أحمد شوقي بك « في عدد ٢٤ يونية سنة ١٩٠٤، قصيدة من نفس البحر والروي في توديع الخديوي عباس بمناسبة سفره إلى أوروبا هذا نصها :

يا قلب أحمد هل سباك	ريم بسهميه رماك
نخفت حتى لا فراقا	ر وذبت حتى لا حراك
أنا لا أقول جنت يدا	ي ولا أقول جنت يداك
مالي ولا لك بالقضا	ء يدان فيما قد دهاك
عادتك عادية الهوى	الله حسبك في هواك
ماذا لقيت من الغرا	م ومن بشدته ابتلاك
وإذا القلوب تهالكت	دنت الجسوم من الهلاك
يا قلب قد ذهب الصبا	عنى ولم يذهب صباك
أبدا أراك . رضى الملا	ح . كما عهدتهمو . رضاك
حلوا الشمالك في الهوى	تسبي قسبي من سباك
لو همت في بدر المما	ء لما أوى إلا سمالك
غصن الأراك وكم أقو	ل مغالطا غصن الأراك
يل كيف شئت مع الزما	ح فنى طباع الغصن ذاك
فكرى جهاتك . أضلنى	واديق . أحشائى رباك
يا مالكى بجميله	وجماله . روحى فداك
لولا نوى (ابن محمد)	ما راعنى إلا جفاك
الله حاطك في مسير	ك ثم حاطك في سراك
مصر وساكن مصر بال	مصر المودع ودعاك
الخير في بحر حويد	ت وليس في بحر حواك

(١) إلا سماءك حذفتموه للتحفيف .

(٢) حذفنا خمسة أبيات من المديح واجتزأنا بالآيات الثلاثة الأخيرة .

شوقى وصبرى يتعارضان

وقد نظم إسماعيل صبرى باشا قصيدة تهنته بالعيد الأضحى فى سنة ١٨٩١ من نفس البحر والقافية، أى بعد عام من نظم شوقى قصيدته الأولى (مضى وليس به حراك) التى نشرت فى الوقائع فى أغسطس سنة ١٨٩٠، قال :

شوقى يهيج نواك	وجوى يؤججه هواك
كم ذا أراك تميل من	مغصناك يا غصن الأراك
وتسومنى صبرا وصبا	رى عنك أقتل من جفاك
صبرت بعدك من محبة	بك بعد وعدك من وفاك
يا فتنة العشاق حسد	بب الناس ما جرت يدك
وصكفك ما صنعت بار	باب الصبابة مقلبك
أنت النسيم فما لقد	فى ليس يسلم من أذاك
إنى وإن بالفت فى	هجرى وألمنى فلاك
أصبر إليك إذا النسب	سم سرى يمثل لى شذاك
أو دارت الكاسات بالصبر	بناء تخبر عن سلاك
وأخذ قسرك مشتها	ى وغايى القصى رضاك

♦ ♦ ♦

والواقع أنه منذ سنة ١٨٩١ توطدت الصداقة بين إسماعيل صبرى وشوقى وكانا فى الشعر فرسى رجان يقاربان فى نظم القصائد فى الموضوع الواحد وعلى سنن واحد . نشرت الوقائع فى أول فبراير سنة ١٨٩٢ قصيدتين فى رثاء الخديوى توفيق -- الذى مات فى ٧ يناير -- أحدهما لإسماعيل بك صبرى مطلعها :

لحمد الله ما لى قضاء وقصارى سوى الإله فناء

والثانية لأحمد أفندى شوقى « نزيل باريس الآن » مطلعها :

بين ماضى الأسمى وآتى الحناء قام عذر النساء والبشراء

وقد استمرت هذه « المعارضة » أو المباراة الشعرية فى ظل الإخاء الصافى حتى فزق الموت بينهما . ومن قصائد المعارضة عدا القصيدة السابق الإشارة إليها القصيدة التى نظمها

صبرى باشا تهنئة للحدوي بمناسبة إطلاق مجيء حادثة دنشواى فى عيد جلوسه ونشرتها
(الأهرام) فى ١٣ يناير سنة ١٩٠٨ :

لو أن أطلال المنازل تنطق ما ارتد حران الجسوانح شيق
وقد قدمت لها الأهرام فقالت : « نظمها أشعر شعرائنا بلا جدال وأربع كتابنا بلا نزاع
سعادة الأملى المفضل إسماعيل باشا صبرى » . ثم عقت على القصيدة بعد آخر بيت منها
« نقرأ شعر شاعرنا الأستاذ فنقول بعد كل بيت من أبياته آمين آمين » .

وقد اشتهر من أبياتها قوله :

هل عند ذاك السرب أنا بعده فى الحى من آماقنا تتدفق
وقوله فى خلال المديح يخاطب عباسا :

سند سهام الراى (بالشورى) يحط بك منه فى ظلم الحوادث فيلق
واسبق به واضرب به واقطع به ماشئت من باب أمامك مغلق
عوذت مجدك أن تنام وفى الحى أمل عقيم أو رجاء مخفق

وقد كان لمطالبة صبرى بالدستور فى تلك الآونة بالذات ، إذ بدأ الحدوي يتنكر فى السر
للمركبة الوطنية ومطالبها « أثر طيب فى نفوس الأحرار .

ومن محاسن هذه القصيدة أيضا ، وصفه لحوادث دنشواى :

وأقلت دثرة قرية حكم الهوى فى أهلها وقضى قضاء أخرق
إن أن فيها بأس مما به وأرت جاوبه هناك مطوق
وأرحنا لجنتهم ماذا جنوا وقضاتهم ما عاقهم إن يتقوا^(١)
مازال يقذى كل عين مارأوا فيها ويؤذى كل سمع ما لقوا

وفى يوم السبت ١٨ يناير نشرت (الأهرام) تحت عنوان (تهنئة الأمير بعيد الأضحي
المبارك) ما يأتى : « نشر اليوم قصيدة شاعر الأمير وأمير الشعراء — ومن وصفه فقد
سماه — يعارض فيها قصيدة العالم الفاضل سعادتلو إسماعيل باشا صبرى التى نشرناها يوم
الاثنين الماضى ونحاطفها الأيدى حتى باتت اليوم على كل لسان وفى ذهن كل أديب . قال
شاعر الأمير ملتزما فى المعارضة الوزن والقافية وعدد الأبيات » .

(١) عدل صبرى الصياغة الأولى لهذا البيت وكانت كالآتى :

وأحمرنا لقتيلهم ومجيبهم ويقيمهم وليمهم كم أرقوا

ويلاحظ أن عدد أبيات قصيدة شوقي المنشورة في الجزء الأول من ديوانه (طبعة سنة ١٩٢٦) ثلاثون بيتا في حين أن قصيدة صبرى سبعة وثلاثون بيتا (صفحة ٥٤ من الديوان) . وبيان ذلك أن قصيدة صبرى التي نشرت في ١٣ يناير كان عددها ثلاثين بيتا ثم أضاف إليها إسماعيل صبرى سبعة أبيات من أول (شكرتك مصر ٠٠) إلى (فاحكم بغير العنف ٠٠) . ونشرت هذه الأبيات الجديدة في عدد الأهرام الذي ظهرت فيه قصيدة شوقي (١٨ يناير) كما أن (المؤيد) أعاد نشر القصيدة كاملة في نفس اليوم (١٨ يناير) . بتتدى قصيدة شوقي بأربعة أبيات من الغزل التقليدي ثم بقطعة من ثمانية أبيات في الشباب المولى ، وبقى القصيدة مدح تقليدي . ليس في القصيدة إذن إلا أبيات الشباب ، ومن قال الشباب قال باريس . وربما كان أثر باريس في حياة شوقي الأدبية أثناء مقامه فيها أقل قوة من أثر الذكريات البعيدة المتخلفة عنها كالشوق المتوج . وبعبارة أخرى إن أثر باريس البعيد أبلغ من أثرها القريب وخير ميدان لذلك الأثر هو ذكريات الشباب وأكاد أقول إن هذا الأثر كان رجحاناً أي أنه كان له رد فعل في ذكريات أيام المكتب والصبى الأولى . لذلك كان كل ما قاله شوقي في ذكرى الشباب وأيامه في باريس وقبلها من خير ما جادت به قريحته شاعر لأنه نابع من صميم الوجدان . إن أصدقاء صغرى الحياة في باريس قد اختلطت بأصدقاء الحياة كلها في الغدريات والأصال وعجاها قلب شاعرنا فغنا ساحرا وغناء شجيا :

قلبي أذكرت اليوم غير موفق	أيام أنت مع الشباب موفق
نخففت من ذكرى الشباب وعهد	لغنى طيبك ! لكل ذكرى تحفيق
كم ذبت من حرق الجوى ، واليوم من	أصف عليه وحسرة تحترق
كنت الشبابك . وكان صيدا للصبى	ما استرق من الطباء وتعتق
خدمت جبايلك الملاح هنية	واليوم كل جباله لا تملق
هل دون أيام الشبية للفنى	صفو يحيط به وأنس يحرق

ولا شك أن قصيدة شوقي في مجموعها بعيدة عن الموضوع لأن شاعرنا لم يشر إلى أمانى البلاد ولم يعطف على حوادث دنشواى والمغو عن مجناها . وإنصافا للحق نقول إن شوقي في ٨ يناير سنة ١٩٠٨ ، أى قبل صبرى بحسبة أيام فقط ، نشر في (اللواء) قصيدة رائعة ، بغير إمضاء ، وفي نفس المناسبة ، مطلعها :

شكرتك في أجداثها الشهداء وترنمت بشنائك الأحياء

والقصيدة منشورة في القسم الثالث من هذا الكتاب . وطبيعى أنه وقد وفى الموضوع حقه لم يشأ الرجوع إليه .

وقد نشرت (الأهرام) في ٢٢ يناير سنة ١٩٠٨ قصيدة لحافظ إبراهيم « معارضها قصيدة حكيم الشعراء وأمير الشعر » :
سكن الظلام وبات قلبك يخفق وسطا على جنبك هم مقلق
وقد قالت عنها الصحيفة مجاملة إنها « الدرة الثالثة » مع أنها صدفة .



ومعارض شوقي قصيدة الحصرى المشهورة (يا ليل الصب متى غده) بقصيدة رائمة نشرتها مجلة (الزهور) في أول يوليو سنة ١٩١٠ ، وعدد أبياتها أربعة عشر :
مضناك جفاء مرقده وبكاه ورخم عوده
عارضها إسماعيل صبرى بقصيدة من نفس الوزن والروى والعدد أقرها :
أقرب من دنف عده فالليل تمزّد أسوده
وأخبرها :

(شوقي) جود في الشعر وقل آمنت بأنك أوحده
كما عارضها ولّى الدين يكن والأمير نسيب أرسلان وشعراء كثيرون . وقد زاد شوقي بعد ذلك على قصيدته أبياتا كثيرة حتى بلغت خمسة وستين بيتا : منها في الغزل ، ومنها في مدح الأمير ، وختمها بنشيد وطني :

يا مصر سماؤك جوهرة	وثراك بحار عسجده
والليل حياة دافقة	ونعيم عذب لمورده
والملك سعيد حاضره	لك في الدنيا حر غده
والعصر إليك تقربه	والى حاميك تودده
والشرق رقيق مظهره	وحضارة جيلك سؤده
لسريرك بين أسرته	أعلى التاريخ وأمجده
بعلو الهمة نرجعه	وبنشر العلم نجمده

نشرت القصيدة كاملة في كراسة على حدة في ٢٤ نوفمبر سنة ١٩١٠ ونشرها (المؤيد) في عدد ٢٦ نوفمبر . وقد أكتفى شوقي في ديوانه (الجزء الثاني صفحة ١٥٢) بالقسم الغزلي كله وعدده سبعة وعشرون بيتا وأسقط أبيات المديح والنشيد .



وقد تحدث المعارضة في الوزن والروي وحدهما مع اختلاف الزمن والموضوع مثال ذلك . نشر شوقي قصيدته الشهيرة في ليلة راقصة (حف كأسيها الحب) في مؤيد ٢١ يناير سنة ١٨٩٧ . وفي ٢٥ يناير سنة ١٩١٠ نشرت الجريدة لصبرى تهنئة بقدم الخديوى من الحج :

كم تهيم كم تحب	كم تهى وتضطرب
كلما أقول « سلا »	جد ذلك اللهب
كلما أقول « جبا »	شب ذلك اللهب
هل رأيت من فحبوا	قافلين ، لا فحبوا
لا عدت ركبهمو	في الصباح إذ ركبوا
والجهاز فلتنهم	والفروض والقرب
هات يا بشبر أدير	ذكرهم ، ألا اقتربوا

في هذه الأبيات حق من الشعر الجاهل في وداع الركب والظاعين .



ولامراء في أن كلا الشاعرين تأثر بالأخر . قال صبرى مؤرخا وفاة عبد الله فكرى باشا (مؤيد ١٨ أغسطس سنة ١٨٩٠) .

الفضل أصبح زائلا في إثر من	جلى مناقبه عن الأشباه
فيكى الزمان وقال فيه مؤرخا	الفضل زال بفقد (عبد الله)

لم ينس شوقي موسيقى ذلك الروى في وفاة عبد الله بك الطوير (أهرام ٢٨ مارس سنة ١٩١٥) :

يا قلب ويحك والموتة ذمة ماذا صنعت بعهد (عبد الله)

والقصيدة في الجزء الثالث من الديوان صفحة ١٨٣ .

وكان أحمد نسيم الشاعر يقول إن شوقي في بيته المشهور :

صوفى بمالك عنا لئنا بشير من التراب وهذا الحسن روحانى

أغار على إسماعيل صبرى في قوله :

أنت روحانية لا تدعى أن هذا الجسم من طين وماء

وقد أخطأ نسيم لجهله بتاريخ القصائد . صبرى هو الذى أغار على شوقى . فقد نظم هذا الأخير قصيدته (الله فى الخلق من صلب ومن عانى) والى يقول فيها :

صوفى جمالك عفا لانسى بشعر
من الثراب وهذا الحسن روحانى
أوقبستنى فلما تأويته ملكا
لم يخذ شركا فى العالم الفانى

فى سنة ١٨٩٤ (وقائع ٧ مارس) . ونشرت (المجلة المصرية) فى عدد يونية سنة ١٩٠١ قصيدة صبرى التى مطلعها :

يا لواء الحسن أحزاب المسوى
أيقظوا الفتنة فى ظلم اللواء
والى يقول فيها :

أنت روحانية لانسى
وانزعى عن جسمك الثوب بين
وأرى الدنيا جناحى منك
أن هذا الشكل من طين وماء
للا تكونين سكات السماء
خلف تمثال مصوغ من ضياء

وقول صبرى فى المطلع (يا لواء الحسن) مأخوذ من موال قديم لا يعرف قائله .
حامل (لواء الحسن) لحظه فى فؤادى صاب
فأرسله حلتى فى المسوى أرماب
سلم جوده الكمال الى بهم منصاب
والقصد كالفصن فى روض البهى ماين
من شاف لحاظه صبح من نبلهم منصاب



وقد اقتضى شوقى أثر صبرى فى نظم الأغاني لعبده المحول وغيره من كبار الفنانين .
ومن أغاني صبرى وهو طالب ما نظمه لعبده المحول حوالى سنة ١٨٧٢ (ولد صبرى
فى سنة ١٨٥٤ ، وشوقى فى سنة ١٨٦٨) :

خسلى صدودك وهجرتك
واطلى لميسى ووجدى
ساعة وصالك وأريك
أقل من العمر عندى

ومن أغاني صبرى أيضا :

الحلولنا انعطف
والخذ - آه - ما اناطف
أجمل جميع النصوص
ورده غير العيون

وهذه الأغنية منسوبة خطأ فى كتاب (ترانسا الموسيقى) ، الجزء الأول ، إلى الشيخ
محمد درويش .

ولا شك أن بعض الأغاني التي تُعزى إلى الشيخ درويش هي من نظم صبرى وشوق، ولكنها لا تزال إلى اليوم مجهولة النسب .



كانت الصداقة التي تجمع بين الشاعرين خصبة مثمرة كلها ثناء وبركة، وقد لمع الكاشف الشاعر إلى جذب الصديقين في مقال كتبه عن الشعر في مجلة (أليس الجليس) عدد ٣١ مارس سنة ١٨٩٤ . قال في كلامه عن الشعراء المعاصرين : " ولكن معظم أولئك الشعراء مقتضرون على استعمال نظمهم في سبيل الاستجداء والمدح والثناء والفضول فكانت تلعب القائلة، وأغلب منه لذلك أهل المراتب والمناصب والمهم، كما سمعنا أن سعادة الكريم إسماعيل باشا صبرى لما بلغه خبر اعتزام شوقي بك بطبع نظمه ضمن (الشوقيات) أرسل سعادته لهذا يعتذر عن عدم رغبته في أن ينسب إليه نظم، مع ما هو عليه من الدقة والبلاغة وأسلوب العصر . أما هو القائل :

إنما الأرض والماء كذب فافراوه مصائر الأذى

ولكنهم حقرون في ذلك لقلة موارد ارتزاقهم الخ " .

ونشر (ناصف طه) في جريدة (مصر الفتاة) عدد ٥ مارس سنة ١٩١١ قطعة من جوابه أرسله إليه صبرى باشا رثا على طلب قطعة من شعره : " كنت إذا قلت قولا في الشعر أو التمر أخفيه عن الناس كما يخفي المرء عوراته ، ثم مزقت ما أودعته فيه خشية أن يدونه مدون عدا التمر الذي عرفه الناس حتى ، وهو ليس من الشعر إلا في كونه موزونا " . ولعل زهد صبرى في نشر شعره فأنشئ من اعتقاده أن شوقي وحده هو الشاعر بين المحدثين — كالبحتري بين القدماء — ومن حبه للإيقان ونظمه الشعر لنفسه لا للناس ، كالمهاوي الذي لا يريد أن يحشر بين زمرة المحترفين . وإن أكبر إساءة إلى صبرى كانت في نشر ديوانه بقضيه وقضيضه من شعر الصبا إلى شعر الكهولة . ولو أن الناشر اكتفى بقطعاته التي يمثل بها — على قلبها — مكانا فريدا بين جميع معاصريه ، لظهرت شخصية صبرى ، ذلك في التجار الدق ، كما يقول حافظ ، وأستاذ الشعراء .

وخلاصة القول كان صبرى وشوقي كوكبين يدوران في فلك واحد من الصداقة والفن ، ولا يمكن درس شعرهما إلا في ضوء العلاقة القديمة الخالصة التي ظلتهما زمانا ، وشتان بين هذه العلاقة والعلاقة التي كان حافظ يعمل على خلقها خلفا ليصعد إلى شوقي في فلكه .

(١) هذا البيت ضمن قصيدة نظمها صبرى سنة ١٨٩٢ تقريرا لكاتب (السفر إلى المؤتمر) من تأليف أحمد زكي بك (باشا) .

قالت (الوقائع) إن هذه القصيدة « تهتة بشهر الصيام » وإنها « كلها غرر نظمها شوقي على هذا الطراز الجديد في الشعر » . ونشرت (الأهرام) القصيدة في اليوم التالي (٨ مارس) . ثم نشرها (المؤيد) في ١٠ مارس وقال أيضا : إن القصيدة « كلها غرر نظمها على هذا الطراز الجديد في الشعر » ، مما يبعث على الاعتقاد أن الوحي واحد .

نشرت القصيدة في الجزء الأول من الشوقيات الطبعة القديمة صفحة ١٢٦ . وقد اكتفى شاعرنا في الجزء الثاني صفحة ١٢٥ بأبيات النسب التي اشتهر منها قوله :

صوني بمالك عنا إننا بشر من التراب وهذا الحسن روحاني

أحسن شوقي صنعا بإسقاط المديح ، خصوصا وأنه من الشاحية الأدبية لا قيمة له ، ولكن القصيدة في مجموعها كان يجب نشرها كاملة لأهميتها السيامية . وإليك البيان :

قال الأستاذ داود بركات في ذكرياته (أبولو ديسمبر سنة ١٩٣٠) : « كان شوقي لا يتعوض للسياسة في شعره ، فلما قربه الخديوي ووكل إليه الكثير من الشؤون السياسية تحولت قصائده من الخيال البحث والحكم والوصف الخ إلى السياسة التي كان يتأثر بها ، كدخه السلطان عبد الحميد ، لأنه شاعر أمير مصر ، وكلمته على رياض باشا في حادثة الحدود ، وقد زار الخديوي الجيش وانتقد نظام إحدى الأورط ، فعذ اللورد كرومر ذلك إهانة لكنتشر باشا طلب من أجلها الترضية ، وكان رياض باشا رئيس الوزارة قتباً من عمل الخديوي وذهب إلى الفيوم حيث قابل سموه ، واستصدر منه تظرفاً إلى كنتشر باشا يتي فيه عليه وعمل نظام الجيش » .

تكلم المرحوم داود بركات عن « حملة على رياض باشا في حادثة الحدود » سنة ١٨٩٤ ، وتكلم عن قصيدة سياسية ، والظاهر أن تعبيراته لم تكن دقيقة ، لأننا حيناً فتنشنا في مجلدات جميع الصحف التي ظهرت في تلك السنة ، فلم نجد شيئاً يشبه أن يكون حملة ، حتى قرأنا في أهرام ٢٣ فبراير سنة ١٩٢٤ مقالا عنوانه : (حادثة الحدود وما هي ؟) قال محززه في ختامه : « وقد نظم أمير الشعر شوقي بك قصيدته المشهورة ومطلعها :

الله في الخلق من صب ومن عاني تفنى القلوب ويبقى قلبك الخاني

صوني بمالك عنا إننا بشر من التراب وهذا الحسن روحاني

ومنها :

رب الصعيد ورب الريف شب بهما للفوقدين وطاول شأو كيوان

ومنها :

فيا حوادث مهلا في تفسيحنا لا تركت لنا لبا لسرفان

وإن سلمى لتسكني البلاد به كالعين تمت معانيها بإنسان " انتهى .
والظاهر أن هذه القصيدة ، على الرغم من كونها لم تتضمن إلا تلميحاً إلى حادثة الحدود ،
خصوصاً في البيتين الأخيرين (فيا حوادث مهلا . .) أضفى عليها موقف الصراع بين
الحدودي والورد كرومر شأنًا خاصاً ، وكانت (الأهرام) في عدد ١٨ يولية سنة ١٩١١
(أي قبل موت رياض بشهر ونصف) قد كتبت مقالاً عن (رياض باشا وحادثة
الحدود) جاء فيه : " إن المحمد البريطاني حله رياض باشا بمطالب ثلاثة : (١) ترضية
الجانب الحدودي الضباط الانكليز ترضية رسمية قبل وصوله إلى العاصمة . (٢) عزل
ماهر باشا . (٣) اعتبار الضباط الانكليز في الجيش المصري تابعين لجيش الاحتلال ،
وأن تناط الملاحظات عليهم بالفائد العام للجيش " .

كما أن (المؤيد) في عدد ٢٢ يونيو سنة ١٩١١ خصص صفحة كاملة ونصف صفحة
لرياض باشا وسأله الحدود في سنة ١٨٩٤ . وقد حاول المؤيد بلقاء الدفاع عن رياض .
وعلى أية حال لم نر إلا مجلة على رياض لا في كتاب في الصحيفتين الكبيرتين (الأهرام
والمؤيد) في سنة ١٨٩٤ ، مما يدل على أن المعارضة كانت لا تزال خافتة أمام بطش
الاحتلال ، أو على الأقل أنها كانت تستجمع قواها . . وقد كان كل مدح لحدودي ،
وخصوصاً للسلطان يضافي الاحتلال وإن حاله (المقطم) لا سيما في تلك الآونة بالذات ،
لأن الانكليز كانوا يعملون على الفصل بين تركيا ومصر لينتفروا بالسلطان في وادي النيل ،
كما أن كرومر كان يريد أن يكون وحده في مصر كهيئة القصاد من كبار المصريين وصغارهم ،
من الفلاحين إلى كبار رجال الدين . . إلى حرب الأمة والأعيان .

في هذا الضوء يجب أن نقرأ قصيدة شوقي ، وهذا نصها :

(قال يمدح الحدودي وجهته شهر الصيام ، وإهداء مولانا الخليفة له قصر بك الماهر)

الله في الخلق من صب ومن طلق	تلقى القلوب ويبقى قلبك الجاني
مسنوني بحالك عنا إتنا بشر	من التراب وهذا الحسن وروحاني
أوفائيني فلما أوفيتك ملكا	لم يخذل شركا في العالم الفاني
السر يجرسه والدعوى ونسبه	والشهب حوليه بالمرصاد الجاني
فساب للنسور مشغوقا يصوره	منعما في بديعات الحسل هاني

إذا تبسم أبدى العكون زينه
وأشرف من سماء المسر مشرقه
عنى تكف دموع فيك هامية
يا من هجرت إلى الأوطان وزيها
أتمهدين حنيني في الزمان لها
وغبطي الطير آتية ، أصبح به
مصرى عصي العكوى ينثى جملة
كفى خلودى من عيني ما شربت
لئن ضللت لى لا أضيق به
ومنطق يرث التاريخ جوهرة
يا ابن النوال وما في المسك من كرم
هذى المفان لم تولد ولا ولدت
هام الأنام وسادات الأنام بها
رب الصعيد ورب الرغب ثب بها
سارت بمسالك الأخبار وانتقلت
تريد مصر بما تبدي حوادثها
فيا حوادث مهلا في نصيحتنا
وإن حلى تستكفى البلاد به
لما بدا الشهر واستقبلت فوزه
وقت تسطع بالأنوار في أفق
كانت البدر في غايات رفقه
فاهنا مكانك واهنا ما يلوح به
إذا الخلقة في أمصارها نهضت

وإن تبسم أهدى أى ربحان
بمنظير ضاحك الآلاء فشان
لا تطلع الشمس والأنداء في آن
فرحت أشوق مشتاق لأوطان
وسكى الدمع من تذكارها فاني
ليت الكريم الذى أعطاك أعطاني
وساعى في عناق الطيف أجفاني
فشل ما قد جرى لم تات عينان
على الفناء سوى آثار وجدان
عن الزمان وعن عباهه الشافي
ومن عفاف ومن حلم وإيمان
ولا رأى الناس شانا كفه ذا الشان
وحرك المعصر أعطافا كنشوان
للفرقدين وطاول شأو كنوان
بهما الركاب وشاق الفاصى الداني
ليعرف الناس حلى هل له تاني^(١)
فما تركت لنا لباً بعرفان^(٢)
كالعين تمت معانيها بإفان^(٣)
لاج الهلال ولاج البدر في آن
بالمسلمين وبالإسلام مزدان
لو كانت البدر كرمى بوتاجان
رب يلدز من آثار إحسان
رأت بمصركم روحاً لأبدان

(١) إشارة لبقية إلى كرم . (٢) إشارة إلى تصرفات كرم في حادثة الحدود .
(٣) قوله (وإن حلى تستكفى البلاد به) إشارة أخرى إلى كرم وطعم حاجة البلاد إلى « قصر قصر الدو بارة »
وقوله بعد ذلك (كالعين تمت معانيها بإفان) من رابع التشبيه والخيال . وكلمة « بإفان » مفردة في آخر البيت أجل
« نورية » وأدق غزوة أو طعة سياسية . الكلام عن إنسان العيون ولكنه قد يتصرف إلى أن كرم ليس إنساناً ،
وأن المديونى في مصرهم « إنسانها » الذى تستكفى به .

وإنما الله خير الإسلام على الدنيا
أهدى الخليفة ما أهدى يشترنا
وإن ما تشكى الأوطان من أود
قصرنا على اللج لولا أنت مهديه
عبد الحميد لقلنا قصر نعمان^(١)
على مكان من الدنيا وإمكان
سنت أجهلها يا فرع عثمان
ومن بوالدك العالى بإسكان
مكان أيامه أيام حسان
من الوثام بأنصار وأعوان
في الأرض ببيان فخر عند بيان
على السلام فمض للركن يا باني
وسكن الخلافة خاق الذيل مقيم

التعليق

لا شك أن هذه الحوادث والصراع الكبير الذي قام بين الخديوى وكرومر ، الذى يمثل فيه
جبروت الاحتلال ، جعل الفاضل السياسية التى تضمنتها هذه القصيدة قوة « الحملة »
الجريئة السافرة :

سارت بمسعاتك الأخبار وانتقلت
بها الركاب وشاق القاصى الداني
تريد مصر بما تبلى حوادثها
ليعرف الناس (حلى) هل له ثان
فيا حوادث مهلا فى نصيحتنا
فما تركت لنا لباً بعرفان
ولان حلى تستكفى البلاد به
كالعين تمت معانيها بإنسان

ظاهر أن القصيدة قد اشتهرت بشعرها القزول الجديد وبشعرها السياسى ، والمهم أنه لم
يمض شهر على هذه القصيدة التى نشرتها (الأهرام) فى ٨ مارس سنة ١٨٩٤ حتى نظم
شوقى قصيدة أخرى نشرتها (الأهرام) فى ٦ أبريل سنة ١٨٩٤ مطلعها :

هل تبسم البان فؤاد الحسام ففاح فاستبكي جفون النمام

(١) لا شك أن إهداء السلطان قصيدة الخديوى بعد حادثة الحدود مباشرة (الحادثة كانت فى يناير ١٨٩٤)
كان له مغزاه . (٢) الدولة العليا هى الدولة العلية .

والقصيدة في صفحة ١٠٩ من الشوقيات الطبعة القديمة ، وأعيد نشر أبيات الغزل في باب النسب صفحة ١٦٧ من الجزء الثاني . قال شوقي خلال مديحه :

لولا الليالى ما حملنا القذى	ليتك عنا يا ليالى نيام
هيك حبيب النفس أن تشكى	لن تمنعها أن تجمج اللثام
نرجو بحلمى أن سنعلو وأن	تسبق معالينا ليوم القيام
وأن نصون الحق عن معشر	قد كتموا الحق وظنوا اكتتام
لعل أن ينصر من نصره الـ	نصر ومن يرحى به الانتقام

عاد شوقي وضرب على نفس الوتر . والمهم أن مديحه ليس مجرد مديح ، لأن شاعرنا في الواقع يتخذ من المديح ستارا يندد من ورائه بالاحتلال ، ويعبر عن أمانى الوطنية المصرية ، وينفخ في نارها التى نمدت ، ولكنها لم تهدأ ، منذ بدء الاحتلال .



وفي ٢٨ نوفمبر سنة ١٨٩٤ نشرت الأهرام « تهنئة لولى » النعم بعيد مولده الكريم من قلم حضرة الشاعر المنفرد والكاتب الأملئ أحمد بك شوقي .
القصيدة تقع في اثنين وثلاثين بيتا ، وقد أسقطنا منها اثنى عشر بيتا من المديح الذى ليس له أى مغزى خاص :

خيل الأمور لأمر سابق جار	وجار أهل الرضى فى نهجهم جار
هيئات تصدم نفس للرضى سببا	لأن النفوس بآمال وأوطار
قد ساعفتك رياح اللطف لوفظرت	إلى السفينة بين الماء والنار
أكلما قام تينار تضيق به	أغاثها الله ، فانقادت بتيار
فسر بها فى ظلام الليل معتصما	لتخرجن إلى جودى أنوار ^(١)
تطوى له الهول حتى يستبين لها	بغمر السلام وحتى يحمى السارى
خفيفة بيد الألفاظ تنقلها	إلى شواطئ من نبر وأقطار
آمال أروع جم الصدق محتكم	بالله فى جوهر الآمال مختار
هل فى الحوادث شك أم بإمرتها	رب ونحن لأحكام وأقدار

(١) جاء فى قواعد اللغى أن الجودى بجبل بالجزيرة استوت عليه سفينة نوح . يريد الشاعر الوصول إلى « السلامة » . وفى هذا البيت إشارة إلى قوله تعالى عن سفينة نوح (ثم استوت على الجودى وقيل يحققا للقوم الظالمين) . والظالمون هم البغاة الذين (أصاحوا حرمة الجوار) .

لأبي علينا المعالي حين نساها	لما تجود لنا إلا بمقدار
ولو أرادت كسنا هيسة وحت	فسم الزمان فلم ينطق بإنكار
يا شاعر الخلق ما هذا الشقاء بهم	إن البرية لن يعيا بها الباري
الله في نفس من نور حكمة	تضيعة بين أقدار وأقدار
على خلاق فيهم بت مغترا	وعالم أنت فيه نازح الدار
أولى بصفك أفلاك هيسة	بالنور ما بين وثاب ودوار
ومستغل إذا جرى، ومستغل	وثابت في مغايبه وسيار
جرى بسعد الخديوي في مطالعها	فهموا به بين أعلام وأمار
هل المفاجئ إن حلت وإن هربت	إلا كتاب وأنت الحافظ القاري
أنت الذين مهد الجبل تحطه	إذا البغاة أضاعوا حرمة الجبار
وأنت باقة الأيام متفهم	إذا هم انتقموا بالإثم والمار

أشار حقوق في هذه القصيدة التي لم يسبق نشرها إلى الاحتلال والمحتلين في مواطن كثيرة ، ويسدوا أيضا أن هناك إشارة دقيقة إلى موقف تركيا من حادثة الحدود ، وسكوته أمام سياسة الإذلال التي جرت عليها آنهترا إزاء مصر ، وذلك في البيتين الآتيين :

لأبي علينا (المعالي) حين نساها	لما تجود لنا إلا بمقدار
ولو أرادت كسنا هيسة وحت	فسم (الزمان) فلم ينطق بإنكار

المعالي في البيت الأول رمز لتركيا ، والزمان في البيت الثاني رمز للسردار أو المعتمد البريطاني الذي أدرغم الوالي على شكر منظمي الجيش من الإنجليز بعد النقد الشديد الذي وجهه إليهم ، وقد يكون (الزمان) أيضا رمزا للخديوي نفسه الذي أنكر في اليوم ما قاله بالأمس ، وحت بمعنى منعت ، والإنكار يقال أنكر حقه : بحدده ، وأنكر عليه فعله : عابه ونماه .



وقد خلقت الظروف السياسية في مصر نوعا جديدا من الشعر الرمزي أو الرمزية ، لأن مثل هذا الشعر يسمع للكاتب أو الشاعر أن يتنفس بما يضيق به صدره . نشرت الأهرام التي كانت تصدر في الإسكندرية لغاية سنة ١٨٩٩ ، فصلا لمراسلها في القاهرة الشاعر خليل مطران ، عن الميزانية في عدد ٣٠ يونيو سنة ١٨٩٩ هذا نصه :

(١) لها : أول بصرك (لا بصفك) والصريح هو الباء المعالي .

الميزانية

” عجيب من الدهر العجيب مراده
وأن أحسب الليل الطويل كنعمة
وأن يتشئ بالحوادث متفلا
وأن يتقى منى المرور به فإن
بأن ألتقى منه المصاب وأشكرا
لله وأرى فيه الظلام منقورا
عمل صدى المنوع أن يتفجرا
صبرت عليه عهد صبرى منكرا

يقول لنا الخيرون أن الذى اقترحه مجلس الشورى على المالية من أن ترسل له مفردات الحساب الختامى عن السنة الماضية قد ضيق صدور قوم على معيتها ، فقالوا : ماذا يفهم أولئك المزارعون من أرقام مرصوف بعضها فوق بعض ، كترصيف القول فى الحقول ، أو الأعطان فى الأطيان الخ “ .
(خليل المطران)

إن ما كتبه مطران ثرا عن الميزانية ليس إلا تغطية تشف عما تحت أبياته الرائعة ، التى لم تفسر فى ديوانه ، من شكوى متأججة تومض إلى الحوادث العامة .



وفى عدد ٢٦ أكتوبر سنة ١٨٩٤ نشرت (الأهرام) القصيدة الآتية لخليل مطران بمناسبة عودة الخديوى من أوروبا ، وقد حذفنا منها آخرى عشر بيتا من المدح :

حيّا عيباك الصباح الباسم	وفدى ندى الصبح الساجم
يا بن (الصلّ) أتيت من توفيقه	لما تمادى فى اعتداه الظالم
لتبلاه حيا فنشهد حكمه	بجميل حكمه وأنت الحاكم
وتعيد مجدنا شاده برماحه	ونظباه : ثم سطا عليه المأدّم
وتعيد مصر عزيزة بعزيرها	فيذل حصاد لها ومخاصم
وتداس السننة وأقلام بها	يرمى الأمير عدوه واللائم
أخلق بفكرك أن يساهم فى المهى	نحبا به تهديه إذ هو هائم
وبحسن رأيك أن يحمل مشاكلا	عظمت فتقدو وهى منك عظام
يسخى بها تصغير مجدك طامع	فيه فيرجع دون ما هو رائم

(١) إشارة إلى انتصارات الجيوش المصرية على الأتراك فى الشام وآسيا الصغرى فى عهد محمد على وقضاء انجلترا على نتائج هذه الانتصارات بالقتل والدمائس وأليب دول أوروبا على مصر ونحطيم إمبراطوريتها بالقوة أولا وبالسياسة فى مؤتمر لندن (١٨٤٠ — ١٨٤٢) .

هذه القصيدة، شأنها شأن الأبيات الأربع، لم ينشرها مطران في ديوانه الذى صدر فى سنة ١٩٠٨ ولا فى ديوانه الأخير—لأن فيها مديحا تعافه نفسه ولكننا نجد فيها النفس العالى الذى ألفناه فى شعر الكهولة والنضوج . والواقع أنى أحاول عبثا أن أرى فى القصيدة وجه مطران المادح بل الرغم مما تبطوى عليه من مديح سطيجى تقليدى ، ولكنى أرى فيها بجلاء ، خلف ستار المديح الشفاف ، وجه مطران الثائر وإباءه وكبريائه ، وهو يسمعنا من خلال شعره القوى ، زارة الأسد الضارى فى وجه الظلم والظالمين . وما أعظم مطران الشاعر حين يتلفت من عليائه إلى ذلك النفر من الكتاب المساجورين ، من دخلاء ومصريين ، فيدوسهم وهو من المعرضين (وتداول السنة وأعلام بها . .) .

إن المدائح والحكايات والميزانيات وما شاكلها من المناسبات فى شعر شوقى ومطران ، إن هى إلا رمزيات متنوعة ومكان كائن قال عنها البحرى .
وركن اللفظ القريب فأدرك . من به غاية المراد البعيد

تهنئة

نشرت هذه القصيدة في الجزء الأول من الشوقيات طبعة قديمة . وقد ضن شوقي على نسيبها بإعادة نشره في الطبعة الحديثة مع أن في ذلك الشعر من الحكمة وحسن الصياغة ما هو أعلى وأعلى من الكثير من مختاراته في باب النسيب من الجزء الثاني .

وقد جاري شاعرنا المتنبي في قصيدته الشهيرة في مدح كافور التي مطلعها :
أود من الأيام ما لا تودّه
وأشكو إليها بيننا وهي جنده
وقصيدة (المتنبي) ٤٨ بيتا منها ١٦ نسيبا و ٣٢ مديحا . وأهم أبياتها :

أبي خلق الدنيا حبيبا تديمه	فما طلبي منها حبيبا تردّه
وأسرع مفعول فعلت تغيرا	تكلف شيء في طباعك ضده
فلا مجد في الدنيا لمن قل ماله	ولا مال في الدنيا لمن قل مجده
وفي الناس من يرضى بميسور عيشه	ومركوبه رجلاه والتوب جلده
ولكن قلبا بين حسبي ما له	مدى ينتهي بي في مراد أحده
تولى الصبا عني فأخلفت طيبه	وما ضرني لما رأيتك فقدّه

٢

وقال (البارودي) من قصيدة في الفخر على روى قصيدة المتنبي . وفيها إشارة إلى حوادث العصر، وأغلب الظن أنها نظمت في المتنبي :

أبي الدهر إلا أن يسود وضيمه	ويملك أعناق المطالب وغده
تداعت لدرك الشار فينا نعاله	ونامت على طول الوثيرة أسده
فقام نسرى في دياجير محنة	يضيق بها عن حجة السيف غمده
وأقتل داء رؤية العين ظالما	يسىء ويتلى في المحافل حمده
عفاء على الدنيا إذا المرء لم يعش	بها بطلا يحى الحقيقة شدّه
وإني امرؤ لا أستكين لصولة	وإن شد ساق دون مسعى قدّه
أبت لي حمل الضيم نفس أبيه	وقلب إذا سيم الأذى شب وقده

حسب أبيات البارودي أن شخصيته ماثلة في كل لفظ ومعنى فيها . وما أروعه حين يقول :

وأقتل داء رؤية العين ظالما يسىء ويتلى في المحافل حمده

وفي ذلك إشارة إلى توفيق وكل طاغوت من أعوانه .

أما قصيدة (شوق) فتمتاز بملوحة بيانها وقوة مبتناها . والله دزه حين يقول :
فلو أن حالا دام لم ينقض الأسى ولكنها الأيام حال وضده
وهذه الرقة الموسيقية يلمينا بحال نغمها وضوضاها عن المديح وسؤله . قال شوق :

بوة من الأرواح ما لا تيقه	ويحك فيها مسرفا وهي جنده
نمير توابه الحاسن نورفا	وتل من الغنس لوراق ورده
خضوه بنفسي إته هو فاعلى	ولا تقتلوه إني أنا عبده
ولا تسألوه ما ذنوبي وأعمالوا	تجول منى قبل ذنب أعدده
ولا تخطروني عنده شناعة	فإن شفيع الواحد الصب وجده
لحاني الذي لم يعرف السهد جفنه	ولم تدر قلب المضاج كبده
وقالني من كنت أريجو وفاه	فإن أخو الود الذي دام وده
يأبدني القتل ما عده عطفه	ويا مقصي الشاق ما شاء عبده
أجمع منك القرب من سارقمه	ويمنع منك اللفظ من سارحمده ^(١)
ويأوى لظل من سواك رجلاه	ويضيق الحسومان من أنت قصده
أعود بيد الملك من أن يترى	فلا يثنى بي في غرامك سعده
في تشرق الدنيا إذا ذكر اسمه	ويهتر أشياخ الزمان ومردده
إذا ما الليالي تمن لم يطف حزمه	وفوق سهاد الدهر في الخطب مهده
وإن يرئيل وعدا وفي الليل جمه	تجمل على الصديق الصباح ووعده
في النيل أحمى عصمة بك ملكه	وكان سلا ما في يمينك عهدده
وشعب أطاش الدهر ثابت جاشه	نغار فلما جفته جام رشده ^(٢)
فلو أن حالا دام لم ينقض الأسى	ولكنها الأيام حال وضده

(١) في الهوام (أجمع فوق القرب ...) بدلا من (منك القرب ...) . وهذا خطأ طباعي ظاهر .

(٢) إشارة إلى الثورة العرابية والحمد لله له عباس في عبارة محو ذكرى سيئات أبيه توفيق بإضافته إلى الحركة الوطنية . وقد مر شوق من كل هذه المعاني في هذا البيت الثاني به بإضافة وحكمة وعما من دقة الموقف .

من قصيدة في وصف (البال الخلدوي)

هذا أول وصف لحفلة البال التي كان القصر يقيمها سنويا . وقد وصف شوقي بعد ذلك
البال أو الحفلة الراقصة بقصائد ثلاث من أجود شعره . الأولى (أثر البال في البال)
أو وصف ليلة راقصة في قصر عابدين :

حرف كأسها الحبيب فهي فضة ذهب

نشرها (المزبد) في ٣١ يناير سنة ١٨٩٧ . وهي في الجزء الثاني من الشوقيات صفحة ٨
والسالية :

ببال واحتجب وادعى الغضب

وهي منشورة في الجزء الثاني صفحة ١٣ . وظهرت في (الواء) في ٣١ يناير سنة ١٩٠٤ .
وقد نظم شوقي أيضا قصيدة في ليلة راقصة أحياءها رئيس النظار بطرس باشا غالي .
نشرتها (المقطم) :

على منازل غالي فزنا بصفو الليالي

والقصيدة في أقل القسم الرابع من هذا الكتاب .



يا ليلة البال ما خالوك راقصة	إلا وأنت جمال الدهر والحفـ
كم لذة بك ولت وانقضت وجلت	وذكرها فيه لم يرح ولم يغيب
بالله بالكون، بالنجم الرفيع، بمن	أحيائك شاقصة ، بالمنظر المعجب
طوى لضيافته الأجداد واتصل	فأأذ المتى موصولة للسبب
وفسود مولاي لولا أنها نزلت	بالحم قلنا ونود البحر فدى العيب
ماج السراي وميدان السراي بها	وماج منسج الساعات والرحب
وأقبلت ظلمات الإنس في كنس	من الموائد يصبي لا من الكسب ^(١)
تهفو الرياح بها دفعا وهززة	وتقبل الخيل بين الوخذ والحب ^(٢)

(١) الكنس جمع كناس وهو مأوى الظبي . والكسب جمع كتيب وهو التل من الرمل .

(٢) الهززة التمر بك . والوخذ الإصرام وقيل هو سعة الخطر في سير البحر . والحب : حب القوس حب
وتحيا وتحيا : راجع بين يديه ورجله أي قام على أحدهما مرة وعلى الأخرى مرة . وهذا الضرب من الجري من
الحركات التي يصعب على المصور تصويرها على الطبيعة .

حتى إذا وقعت مالت إلى شرك
 مستجمعات مريمات معاطفها
 أعاجيبها حائج الألحان فانبطقت
 وطارت الزمان بالأبيات حائلة
 وبانحسور فن واه ومن فلق
 والنصر نور وآفاق الوجود سنا
 والبسل من بين الأطراف مطلق
 كأن الله غوضى مبتدة
 آثار كاسية اللبث ساجدة
 من الصواعد مأمون لها حذب
 إلى المعازف مهما تدعها تنب^(١)
 مثل النسيم سرى ساريه في القصب
 بالحل فامتسلت من شدة الوصب
 ومن سقيم ومن فان ومن تعب
 والصفو بينهما زهو لم رقب
 مكلل المهام جالى الجيد واللب
 على الدجى بين مهزوز ومضطرب
 في حلها فلتت من كف مقتصب^(٢)

(١) انبسطت الألفاظ .

(٢) والبة كالب : المنع وموضع القلادة من الصدر من كل شيء . واللب أيضا ما استرق من الرمل .
 وفى التلب : اللب ما كان غريبا من جبل الرمل . وقال الآخر معظم الرمل المغفل . فإذا نقص قيل كتيب .
 فإذا نقص قيل حركل . وإذا نقص قيل سقط (سكون القاف) فإذا نقص قيل عذاب . فإذا نقص قيل لب كقوله :
 براف الجيد والذات واجبة كأنها طية أنقى بها لب

من تهنة بملاد أميرة

إنما البنت وإن ضاقوا بها
أنس الرحمة من والدها
يا سماء أطبقت هالاتها
أمطري مصر وشرق الأرض من
ثم مدى من بينهم سرحة
يسكن الناس إلى أفيائها
يا أمير الحلم لا تضجر لها
إننا نطمع من هذا الصبا
فهو ملك عماد وكفى
قد رضينا قسمة الله لنا

سعة يرزقها الله جاده
ودليل البر عنوان الوداد^(١)
أمطري أقمار عز وسعادة
ولد الأحماد أملاكا وساده
تملا النيل قواه وبلاد
ويوافي تحتها العكل مراده^(٢)
خاب من أيد بالصبر مراده^(٣)
بالذراوى الكثير المستزاده
إن تواتى النسل لم يرفع عماده
وقرنا بالرضا شكر الإرادة

(شوق)

(١) الودادة مصدر كالودعة والوداد .

(٢) المراد : (يفتح المسم) مكان رواد الإبل أى اختلافا في المرحى مقبلة مدبرة (ومراد الزيج) هو المكان الذى يلعب فيه ربيما . و (مستزاد الرجل) مكانه الذى يجهول فيه ويشع (مبنى للجهول) به لفاسه وتقول «هو مستزاد ما عليه مستزاد» .

(٣) المراد (بضم الميم) الغرض أو المطلب .

رواية عذراء الهند

نشرت هذه الرواية تباعاً في جريدة (الأهرام) تحت عنوان (عذراء الهند وتمتدّن الفراعنة) من ٢٠ يوليو إلى ٦ أكتوبر سنة ١٨٩٧ . وظهرت في كتاب في أواخر نوفمبر من السنة نفسها . وهذه الرواية كغيرها من الروايات القرية التي ظهرت بعدها : (رواية لادياس ١٨٩٩ - دل وتمان ١٨٩٩ - شيطان جازور ١٩٠١ - ورقة الآس ١٩٠١ - أميرة الأندلس ١٩٣٢) ركبكة في مجموعها لا تبدو روح شوق إلا في بعض المواقف الشعرية التي نقتلها . وهذا أهم ما ورد فيها من أبيات :

أيت الحسون جديرا به حريرا أخو المهجة الحاقدة
سلاح تقيل بلا مضرب وحمل تقيل بلا قاتلة
وقد أحاد شوق نثر الينين الساعين في القلوب الطيبة القديمة .

ابنة (معلش) وهي منومة تقول :

أشيم) يا من بحبه نلوا	ومن أديم السهى له نعل
عزيت مع الشوق تحرك النمل	وبات صعبا لتأوك السهل
يا ليت شعري والحمد مجلبة	فترك والعيش كله شغل
أذا سكرت أنت أم نسيت لنا	لأن نحن طفلان والموسى طفل
إذا تعجب الهند والخيال بنا	ويجب الناظرون والأهل
وإذا يذب الفرام مجتهدا	ونحن لا فمكرة ولا عقل
ما نحن قلنا فالحب قاتله	وما فعلنا قللهوى الفعل
وإن قلنا لبقعة قدما	قللهوى لا البقعة النقل
فإن تمكن يا أمير فاسيتنا	فتحن ما ننسى وما نسلو
ذلك سماء الهند شاهدة	وأرضها والجبال والسهل
والبحر الهند ما ظلم لنا	وما رحننا عيونها النجل
إني على العهد ما حيت فإن	خلوت تبقى العهد لا تنحلو

(١) كانت توجد نسخة من هذه الرواية في مكتبة طلعت بالقاهرة وقد استعارها أحد الأدباء من سبع سنوات خلت ولم يرجعها إلى الناشر .

تسلاق ولا تسلاق

أنا في تطلابه وهو لذيّ مطلب مرّ ولم يلو علىّ
قد تركت الهند أطويها له وهو يطويها وما يدرى إلى
والثقينا ما خطا لي خطوة لا ولم أنقل إليه قدمي
يا ملسك راح عني نائيا كان، لو قشنت عنه، في يدي

عذراء الهند في قصر الأمير

ألا هل لي ببقايا يدان حبيب شأنه عجب وشاني
إذا دنت الديار به فناء وإن نأت الديار به فدان
يودّ الليل لو ندنو كلانا ويدخر النهار لنا التهان
وتأتى شقوق فالذنب هندي لها لا للزمان ولا المكان

* * *

ماذا تريد بإعادي وإعادي يادهر ما أنت إلا جائر عادي
لم يكفك الرزء في ملكي وفي وطني وفي شبابي وفي صفوي وأعيادي
فرحت تبعد أحبابي وتقذف بي مع المخاوف من واد إلى واد
حتى مررت على الأيدي يدفيد^(١) وطال في عالم الأهوال تردادي
فمن شقيّ إلى لص إلى فق^(٢) إلى غلام بروعي رائح غاد
إلى قفار إلى مهل إلى جبل إلى غلام من القجار مصطاد
أروح في أسر سلطان الهوى وأبى ولا أبى لي ولا سلطانة فادي

* * *

وقد نشر إبراهيم اليازجي نقدا لهذه الرواية في مجلة (البيان) عدد ١٦ ديسمبر سنة ١٨٩٧
”أنهت إلينا نسخة من هذه الرواية العذراء الحاضرة منشأها الأديب المتقن أحمد بك شوقي
الشاعر المشهور وهي رواية غرامية غريبة السرد تنتهي وقائعها إلى زمن رعمسيس الثاني
المعروف باسم سينستريس أحد فراعنة مصر الأقدمين من عهد لا يقل عن ثلاثة وثلاثين
قرنا من الدهر. والذي تبين لنا بعد تصفح جانب منها أن مؤلفها لم يقصد من وضعها إلا تمثيل

(١) اليد الطريق . واليد : اللذ .

(٢) (فن شقيّ إلى لص إلى فق) شطر لا سلاسة في معناه أو مباءة . وهو بلا شك موجز خراش وعن متابعة .

ما كان عليه أهل ذلك العصر من الخرافات والتهافت ولذلك أكثر فيها من ذكر الجن والعفاريت والسحرة والكهان والمنجمين والرق والطلاس ، ووصف عجائب المخلوقات الوهمية والصور الخيالية من نحو : « طين تحضر الألوان تنصب على أطراف أذنابها في صورة أمهات النور وأخرى صفراء تعلق الأشجار وتعلق بالأشجار وأقبال مرض طوال في أجرام الجبال تقذف الطير في آذانها وتظهرها أوكارا وناس في صورة القردة ولم خفة المردة ، وشيخ كلما وقعت عينه على جماعة منهم . راحت نائمة وهي قائمة ، إلى ما شا كل ذلك بما لا نطيل تمعاده ولا نتعرض لمسا وراحم من تصنع الرواية وتخصيص وقائعها لأننا لم نجد ثمة شيئا مما يتوخاه واضع الروايات في هذه الأيام من المغازي الحكيمة أو الأعراض الأدبية أو الحقائق التاريخية ولأننا لا نطعم موضوع الرواية إلى ما ألبسته من العبارة العربية نومي إلى بعض ما فيها من مطاوع النظر قضاء لحق النقد ..

قال في مطلع كلامه (يخاطب مقام السند الخديوية) : « الكاتب وما كتب غراس لملك وجنى تلك ومالك » وهو كلام غريب في هذا المقام لأن مثل هذا إنما يصح من تلميذ لأستاذه لا من غريب لولي نفسه . « ولعله » وجنى تلك ومالك » لا محل لذكر الظل هنا لأنه لا يكون سببا لجنى بل أمر بالفراس الذي يعيش في الظل أن لا ينجى ثمرا^(١) ثم قال « فإذا وقع ليربح إليك محلا فقد أسند أمالك في الفضل إلى أممالك » وهو كلام طعنى لا يظهر الغرض منه ..

وقال في الصفحة التالية في الكلام عن ولي عهد رمسيس « كان أحب إخوته الكثيرين إلى الأم » وهو من التراكيب التي منها أهل العربية كما نص على ذلك الحريري في فقه التواضع ، وإن تعجب الخفايا بما لا يسلم من الرد لأن أفضل التفضيل لا يضاف إلا إلى ما هو داخل فيه فيقال زيد أفضل القوم وأفضل أهل بلده لأنه واحد منهم ولا يقال زيد أفضل إخوته كما لا يقال أفضل جيرانه مثلا لأنه غير داخل في جملتهم .

ثم قال « واجنبهم بؤسة الزمان لفسام بؤسهم أطلاقا في القلوب » يريد بالأطلاق الملاصق وهي لا تأتي بهذا المعنى إنما الأطلاق جمع طلق بالكسر وهو الشيء القبيح . وقوله

(١) يجب أن يلاحظ أن أمير شوقي قصيدته وهو على غير قول ابن المعتز يخاطب الدار في قصيدته المشهورة لا أفضل من غيره المديرة منسوبة إلى « دار جادك وايسل وسفاك » ثم يرد تلك في القصيدة وفي البيت « أم أرضك المشاء أم ربك » ونحن كلفنا القصيدة رجاءا من أصل الظل إلا أن الشاعر جعل يرد الظل عما في الجمل الأول ، على الأصل ، لأهميته وجعل النصوص والجنى التي تنفي الظل ونحن عليه من بلوغاته ومراعاة في الصورة وإطارها .

« وأجذبهم بأزمة الرأي العام » يريد وأجمعهم لأهواء النفوس ونحو ذلك بخفاء هذه العبارة الغريبة وإنما هي من المواضع الإفرنجية درجت عليها لغة الجرائد العربية في هذه الأيام . . . على أن هذه ليست العبارة الوحيدة التي أخذها عن الجرائد أو صخر لها سميتها من ألفاظ الأماجم فقد ورد له بعد ذلك في الكلام عن الأمانة أثرت « وإن الملك مدين لنصحها الثمين » وهي من الألفاظ المعربة عن كلام الإفرنج يقولون أنا مديون لفلان في هذا الأمر أى له على الفضل فيه . وفي ص ٢٩ « وقد رؤيا (أى الرجلان) على نقط من المملكة » أى رؤيا في مواضع منها . وفي ص ٤٣ « بأحوا بسر المسمورية » أى بسر ما أمروا به . وأمثال هذه العبارات في الرواية لا تحصى فتكتفى منها بهذا القدر . بل ربما تنازل إلى استعمال أشياء من اللغة العامية كقوله في صفحة ١٤ « فاطرق المنجم برهة » يعنى هنية من الزمان وإنما البرهة الزمن الطويل واستعملها للزمن القصير من ألوهام العامة . وفي صفحة ٢٩ « ويرى جيشه الهوادر وذهابها في فواده » يريد بالهوادر خطرات العموم وما يحتاج منها في الصدر وإنما هي من تعريفات العامة وصوابها الهواجس بالجيم إلى غير ذلك .

وقال في صفحة ٧ في الكلام على التاريخ المصرى « وإن الحقيقة معه لا يستغزها خبر ، فهى عين نارة وأثر . تحيا بمحج وتموت بمحجر » . يريد فهى عين نارة ونارة أثر فحذف إحدى التائين ولا وجه للحذف في هذا الموضع . ثم انظر ما أراد بقوله « تحيا بمحجر وتموت بمحجر » وماذا يفهم بالمحجر هنا وهل هذا إلا ضرب من الرقى . على أن في الرواية كثيرا من أمثال هذه المعتميات . . .

وهناك ألفاظ وتراكيب ليست بأقل غرابة مما ذكر كقوله في صفحة ٣٨ « أجهد أذنيه » يريد أرهف أذنيه وحدد سمعه . وفي صفحة ٤٢ « فأخذ النوم يطمئن بمقامه من الأجفان » وفي صفحة ٤٨ « وبالجملة وقعوا من القزع في أضيق من الشراك » يريد بالشراك الشراك وهو حبال الصائد ومنها الشراك السير الذى تشبه به النعل . . . وبالجملة فإن هذه الرواية كلها غرائب . . . ألم يشعر في هذه الرواية فغالبه حسن رشيق النظم مليح السبك نورد منه في صفحة الحب :

نظرة فابسامة فسلام فكلام فوعده فلقاء
ففرار يكون منه دواء وفراق يكون منه الداء

وانظر أين هذا النظم المنسجم والألفاظ المختارة من مثل ما ذكر من كلامه في النثر وما ركب فيه من الغرابة والتكلف والتعقيد . وهذا ولا يجرى مما يدل على أن كلا من النظم والنثر لغة

قائمة بنفسها لا يحسنها غير أهلها . . . ومن رشيقي نظم في هذه الرواية وإنما نغني الصناعة
اللفظية قوله :

أنا في بطلاني ومحبتي
مطلب سر ولم يلو على

وقوله :

أذاكر أنت أم نسيت لنا إذ نحن طفلان والهوى طفل

إذ نسج الهند والديار بنا وسحب الناظرون والأهل

(لنا) في صدر البيت لأول متعلقة بذاكر - ومنها :

ما نحن قلنا فالحب قائله وما فعلنا فلهوى الفعل

وإن قلنا لبقية حسنا فلهوى لا البقية النقل

وهو كلام إلى غاية الزفة والانسجام إلا أن البيت الأخير مختلف الوزن من بحرین لأن
الشرط الأول من المنسرح ووزنه « مستعلن فاعلان مفتعلن » وهو بحر سائر القصيدة
والشرط الثاني من ثالث السرج ووزنه « مستعلن مستعلن فعلن » ووقوع هذا الخلل
البيّن من مثل هذا الشاعر مما يصعب تصوره وذلك لم نذكر لأول وهلة أنه خلط الطبع
ولا سيما مع إمكان تصحيح الشرط الثاني بأدنى تغيير وهو أن يقال في مكان البقية « البقية »
ليستعير الوزن ونلاحظ لم نذكر أن رأينا قوله في البيت الذي يليه :

فلا تكن يا أمير حسينا فحن ما نغنى وما نسلو

وفيه نفس الخلل الذي في البيت المتقدم ، ولا يتأتى في هذا ما أتى في ذاك من احتمال
خلط الطبع لأنه لا يستقيم وزن المعجز إلا بعد تغيير كثير كأن يقال : « فحن لم تنسكم
ولم نسل » ثم قال وفيه ما في البيت السابق :

تلك سماء الهند شاهدة وأرضها والجبال والسهل

فإنه مختلف هنا بين الشرطين فجعل الأول من السرج والثاني من المنسرح وهذا مع
ما حرف به الناظم من طول الباع في صناعة الشعر والانتجاع عليه من أعجب العجيب ، ولعل
صنوه فيه أنه كان قليل الركوب لهذا البحر لقلة شيوعه في الاستعمال مع ما في ضبط أوزانه
من الصعوبة لتباين صور أجزائه واختلاف نواحيها حتى كأن الشرط بوجهه قطعة واحدة بخلاف
غيره من الأبحر التي هي أجزاء متجانسة من وصف متماثل وأوزان مكررة كأجزاء الكامل
والمنسرح فإنها تأتي مترنة من غير تكلف ولا تمثل لقصر الصور المتكررة فيها وقرب بعضها
من بعض . . .

حوالى سنة ١٨٩٧

القصيدة الآتية نشرت في الشوقيات الطبعة القديمة في صفحة ٢٠٠، وأعيد نشرها بنصها دون تعديل في الجزء الرابع من الشوقيات ص ٧٣ . وهذا هو النص :

« وكانت ولادة ابنته أمينة ووفاة والده في ساعة واحدة فقال في ذلك » :

يا ليلة سميتها ليلتي	لأنها بالناس ما مرت
أذكرها والموت في ذكرها	على سبيل البث والعبرة
ليعلم الغافل ما أمسه	ما يومه ما منتهى العيشة
نبهني المقصور في جنحها	وكنت بين النوم واليقظة
الموت عجلان إلى والدي	والوضع مستعص على زوجي
هذا قتي يبكي على مثله	وهذه في أول النشأة
وتلك في مصر على حالها	وذاك رهن الموت والغربة
والقلب ما بينهما حائر	من بلدة أسرى إلى بلدة
حتى بدا الصبح فولى أبى	وأقبلت بعد العناء ابنتي
فقلت أحكامك حرنا لها	يا مخرج الحى من الميت

إن تفسير شوقي لموضوع قصيدته واقتضاره على القول إن ولادة ابنته أمينة ووفاة والده كانتا في ساعة واحدة لا يمكن تمثيل تلك الليلة التي سماها الشاعر ليلتي . والذي حدث كما يبدو من القصيدة ، أن آلام الوضع المستعص من ناحية في حلوان حيث كان يقيم شوقي وزوجته — كما أبلغنا الأستاذ الجليل — وآلام الترع التي كان يعانيها أبوه في القاهرة وفي نفس الليلة ، جعلت من تلك الليلة « بالناس ما مرت » ، ليلة ليلاء تتكاثر فيها عناصر الدراما والمأساة .

وما من شك أن شوقي كان يسكن في حلوان بين سنى ١٨٩٦ و ١٩٠١ يدل على ذلك :

أولا — نظم شوقي قصيدة عن لعبة طلبتها ابنته أمينة بمناسبة عيد المسيح ، الذي تكثر فيه اللعب ، في ديسمبر سنة ٩٩ (لا بمناسبة عيد رأس السنة الميلادية كما ذكر في الديوان) .
وأول هذه القصيدة :

صغار بحلوان تستبشر وروفتها الفرح الأكبر

ثانياً - نشر (المؤيد) في ٢٩ ديسمبر سنة ١٨٩٨ مقالا بإمضاء (ش) تحت عنوان « شذرة أدبية في حلوان » وأشار إلى عبده الحمولى الذى كان يقطن معه فيها آنئذ .

ثالثاً - جاء في رسالة من أمير الشعراء إلى المؤلف بمناسبة ظهور بحثه عن محمود سامى البارودى في سنة ١٩٢٣ - « والى الله بحسب القارئ أيضا في هذا الكتاب : » « جاورته (البارودى) بحلوان المشهور الطوال سنة ثمانية طرب ويتنظم دارينا جدار . فإذا البحار كريم والشاعر عظيم . » . ومعلوم أن البارودى عاش في حلوان بعد عودته من المنفى في أول ديسمبر سنة ١٩٠٠ وأن موته في ١٤ ديسمبر سنة ١٩٠٤ . وشوق يقول أنه جاوره للشهور الطوال بحلوان فلا شك أن هذه الشهور تشمل الشهور الأربعة الأخيرة من سنة ١٩٠٠ وربما بعض الشهور الأولى من سنة ١٩٠١ . ولا ندري إذا كان البارودى هو الذى انتقل بعد ذلك إلى سرايه بالقاهرة أو أن شوق هو الذى انتقل إلى بيت الأسرة القديم بالحىام في خط الحنفى والذى انتقل منه بعد ذلك إلى « كرنه ابن هانى » بالمطرية . وعلى أية حال يبدو أن البارودى كان له بيت وصلات في حلوان قبل مغاه لأنه نظم في المنفى قصائد كثيرة من فيها إلى حلوان .

أيت حرمنا في سرديب ساهرا طوال الليالى والحليون هجد
إذا خطرت من نحو (حلوان) قسمة توت بين قلسي شملة تنوقد
ويظهر أن حلوان والجزيرة منذ أواخر عصر محمد علي كانتا أحمل الزمة والصحة . وقد ماتت لم شوق في حلوان سنة ١٩١٨ . واعتقد أن لواج شوق في سنة ١٨٩٦ كان في حى الحنفى بالقاهرة ومنه ذهب إلى حلوان حيث ولدت ابنته أمينة في سنة ١٨٩٧ في صباح الليلة السراء التي مات أبوه في أنفاسها في بيت الحنفى . وقد صوّر الشاعر حيرته في حلوان والجزيرة في بيت واضح .

والقلب ما بينهما حائر من بلدة يسرى إلى بلدة
في الصن المنشور « أسرى » بنلا من « يسرى » ، وبين الكلمتين بون شامع ، الأولى
المنفى الموت وطرب رواية « الحنفية » . وظاهر أن قول شوق قبل البيت المتقدم :
وتلك في مصر على حالها وذلك رهن الموت والغربة
كلام فائق لا يتفق مع سياق المنفى . وأصل هذا البيت ، مع بعض الأبيات
الأخرى ، أنشيف إلى الأبيات الأولى التي نظمها شوق إبان الحوادث ومن فوره . ونعتقد
أن رواية الأستاذ الجليل أفضل الروايات وأصحها وأشدّها تماسكا وقوة بناء ، وهي :

يا ليلة سميتها لبلى لأنها بالناس ما سرت
الموت عجلان إلى والدي والوضع مستعص على زوجتي
هكذا قى يبكى على موته وهذه في أول النشأة
والقلب ما بينهما حائر من بلدة يسرى إلى بلدة
حتى أتى الصبح فولى أبى وأقبلت بعد العناء إبتلى
فقلت أحكامك حراً لها يا مخرج الحى من الميت

وعدد هذه الأبيات ستة وعددها في الديوان عشرة . وقد أوردنا التصين للقارنة
والمفاضلة بينهما من ناحية الفن والدوق الفنى .

حكاية السودان

نهضة الجيوش المظفرة على الحسدود
بفتح زديبة الأمير محمود

نشر (المؤيد) تحت هذا العنوان القصيدة الآتية بإمضاء (شاب مصرى) وهى بلا شك لشوقي . وتبدو حكاية السودان واحدة من الجريئات التى كان يرسلها كتنشر سر طار الجيش المصرى إلى مصر وتكشف فى أنه فى سجن سنة ٩٧ بدأ استرجاع السودان واحتلت الحملة المصرية بربر . وفى ٢٤ مارس سنة ٩٧ كانت الحملة تسير فى نواحى المطبرة ، وقد جعل الأمير محمود قائد الدراويش مسكوكه قرب حلى فى أجرة كتيبة داخل الصحراء . وفى ٣٠ مارس خرجت الحملة شلتى وضواحيها وسار القواء هنتر باننا قاصدا التحرش بالأمير محمود قائد الدراويش ومنه السوارى والطوبجية الزاكية وفرقان محميم أربعة مدافع مكسيم ، وقد تبين له أن الأمير محمود أنزل له زديبة ضمن أجرة كتيبة بعد ١٨ ميلا عن رأس هودى . وفى ٨ أبريل سنة ٩٧ حدثت معركة كبيرة مع الدراويش انتصر فيها الجيش المصرى وتمكن من أسر الأمير محمود والاستيلاء على زديبته . وقد كان للدفع مكسيم دور هام فى تمزيق شمل الدراويش والقضاء عليهم . مدفع مكسيم أو المدفع الأوتوماتيكى (مقالبوز) نسبة إلى المخترع الأمريكى (مكسيم) . انتشر هذا المدفع فى الأرجل الأخير من القرن التاسع عشر وكان يطلق من محبسة إلى مسافة طرفة فى الكتيبة أى أنه كان يحصد حصدا . وقد استخدمه الإنجليز فى سروب السودان وفى كل المواقع خصوصا موقعة أم درمان الشهيرة التى فنى فيها الدراويش ولم يكن مكسيم يحتاجهم . (يمكن أن يلاحظ أن المدفع الجديد (مدفع مكسيم) كان له أكبر الأثر فى توطيد الاستعمار الأوروبى فى أفريقيا خصوصا فى القرن الماضى . وإذا كان الدراويش أو الزنج لا يستطيعون مواجهتهم وحراهم بمقاومة الرصاص المنهمر ، فكذلك كانت زديبتهم . ليست الزديبة حيلة حمر أو ملهى ولكنها غزيرة منبئة . الزديبة أو الدبم عبارة عن خفاق محض كان يستعمل فى الوقت نفسه متجرا أو مركزا لتجارة العاج والرقيق والوانام للحيثية . وكان لمعظم تجار الخرطوم شركاء أو وكلاء لهم وظيفة ثابتة فى الزرائب . وكان يمدون هذه الزرائب أثناء حشده فى بحر الغزال وأنها ديم زبير . وكان للوكلاء جنود من طائفتهم أو من قبيلة الرئاسة ، ولهم كانت تجارة الرقيق من توابع اختصاصاتهم . كانت

الزرائب محطات تمرين للقوافل المسلحة التي كانت تتوغل في أراضي الزوج للحصول على العاج بطريق المفايضة أو بطريق القوة . ولا ريب أن كل تعرض لتجارة العاج أو الرقيق أو الزرائب كان معناه التعرض لنظام قائم على المصالح الاقتصادية في السودان خصوصا وأن هذه الزرائب رغم أنها كانت مراكز تجارة ومدنية في أقصى الجنوب منتشرة من بحر الغزال إلى الكنتو . وقد تقدمت الزرائب الحكم المصري . فكان العقاد ووكيله أبو السعود من أصحاب الزرائب والكلمة والنفوذ في مديرية خط الاستواء قبل إرسال حملة بيكر لإخضاعها (١٨٧٠ - ١٨٧٣) . ويمكن القول أن النفوذ العربي واللغة العربية والإسلام كانت تجد في هذه الزرائب نقطة ارتكاز لها في توغلها في أراضي الزوج حوالى البحيرات من أوغنده إلى الكونجو . لذلك كان أكبرهم غردون وأصوانه من الإنجليز والأوربيين أمثال جيمس وكانافى الإيطاليين وأشتير الألمانى (أمين باشا الذى ادعى الإسلام وكان عدو الإسلام والعرب) هو القضاء على الزرائب وتجارة العاج تحت ستار محاربة الرقيق وطرد العنصر العربى من الجنسب بحجة حماية الزوج حتى يتيسر للبشرى والمستعمرى (١٨٧٧ - ١٨٧٩) توطيد أقدامهم بلا منازع . وإلى ذلك العصر ترجع أسباب ومقدمات الثورة المهدية . وقد تركت إنجلترا هذه الثورة تستغل وتنشر الموت والبؤس والمجاعة في أرجاء السودان ومنعت مصر من إخمادها بواسطة عبد القادر حلى . وضحت بيكر عشرة آلاف جندى مصرى كما وضحت غردون ومنعت إرسال الزير حتى لا يسود لمصر نفوذها فتغربه بالسودان أو يقوى السودان من جديد ويستقل فلا تتمكن إنجلترا من تحقيق أطماعها فيه .

وفي سنة ١٨٩٨ ضللت إنجلترا بالاشتراك مع مصر إلى احتلال السودان من جديد وفرض سيطرتها الفعلية عليه تحت ستار الاحتلال أو الحكم التتائى . وقد كان الأمير محمود الخوة حه في هذه القصيدة أهم أحوال المعاشى وكبير فؤاد جيشه .

تأمل في الوجود وحسن ليبيا وتم في العالمين قسقل خطيبا
بفسوز جنودنا الفسوز المعجيا بيد الفتح قد أخفى قريبا
لبيتا في الزريبة يوم نصر كيوم (السلى) في تاريخ مصر^(١)

(١) يقول إن انتصارنا على السودان والانسلا على زرية الأمير محمود المحص كان أشبه بهزيمة التل الكبير لأن الموقعين مهدوا الطريق لاحتلال الإنجليز المصرى في قطرى الرامى وساعدا على توطيده . وفى هذا القول من الحكم مانع .

وأونا قبل ما راوا النهارا
فكا الموت واقام جهارا
رصاص لا يفيض ولا ينيب
كان مسبه مطر يصبوب
دككا حصنهم حرقا وكسرا
أخذنا العرش من (محمود) قسرا
نعم فتح رماه الله فتحا
ومال طائل أصلا وربحا
ولكن ما وراءك يا عصام
فليت هياكلا درست تمام
بلى إن الحقيقة قد تجلت
تولى عزنا الماضى وولت
فيا سردار مصر لك الأيادى
وكل الناس بل كل البلاد
نخذ من ملها حتى الوجودا
وأنى شئت ضع منها الحدودا
فها لك فى الحدود اليوم رجل
لأن السعد للقدمين عمل
فهبسوا من مراقدم حيارى
وهبت ريحه فيهم هبوا
بيد فى مقصده قريب
ولكن نعمة وردى صيبا
وأقبناهم قتلا وأسرا
وقد بل الأمير العنقريا
وقتل هم له ثمن وجرحى
بذلناه ولم نخش الرقيا
وبعد الحرب ما يأتى السلام
فاسألها وأطمع أن نجيبا
وإن تك بالزخارف قد تجلت
بلاد الله سودانا ونوبا
فأنت لها المعين على الأعادى
لسان بالثناء هذا رطيبا
وجنّد كيفاً شئت الجنودا
شمالا فى البسيطة أو جنوبا
وفى (الخرطوم) أخرى سوف تملو
ومن ذا يظلب السعد الغلوا
(شاب مصرى)

التعليق

هذه قصيدة من خمر قصائد شوقي . وقد بلغ فى الإثنى عشر بيتا الأخيرة أصل أهمية
الخيال والوجدان وتنقل بين أراحها من الدراما إلى المأساة إلى المزلة فى سلسلة من المفاجآت
التي درج الشاعر إليها باقتداره وتميزه فى التمثيل والتصوير . وكأني بالشاعر يهبط بك ويملو
بين المبهول والخيال والوهاد والتجاذب والأودية التي تؤلف وحدة رائعة فى الحسن قال :

أخذنا العرش من (محمود) قسرا
نعم فتح رماه الله فتحا
ومال طائل أصلا وربحا
وقد بل الأمير العنقريا
وقتل هم له ثمن وجرحى
بذلناه ولم نخش الرقيا

وسرعان ما يقبل في جرح سرور لا
ولكن ما وراثة يا خصام
فليت حيا كلا دوست خصام
وسرعان ما يجيب على السؤال في حزن بالغ
بل إن الحقيقة قد تجلت
وإن تك بالزخارف قد تجلت
نولى منها المصطفى وولت
جلالة الله سودانا ونوبا

كانت قبيلة صحابا مصر وتضحياتها في السودان استيلاء انجلترا عليه . وخسر السودانيون
انفسهم الملايين من النفوس التي فتكت بها المجاعة والأوبئة ومدافع المكسيم . وقد أراد
الشاعر أن يظلم السودانيين والمصريين تنكبه الزور وعصريته الضارية من الانجليز فسلط بيانه
عليهم . وهو قاطع كالصيف . بالغ كالشمس . لا دمع كالنار :

(فياسردار) مصر لك الأيادي فأت لها المعين على الأعداى
وكل الناس بل كل السلاسل لسان بالثناء غدا رطيبا
تجلى من ملأ حتى الرهبوا وحشد كيفما شئت الجنودا
وأنى شئت ضع منها الحدودا شمالا في البسيطة أوجنوبا
فها لك في الحدود اليوم رجل وفي (الخرطوم) أخرى سوف تملو
لأن السعد القديم تسيل ومن فدا يظلم السعد الغلوبا

وقد صدر حديثا عن سردار كشتي كتاب لقييل ماجنوس (تقدمه الدكتور السيرة في عدد
يونية ١٩٦١ من " العربي ") جاء فيه : " ومن أمثلة قصوة كشتي أنه لما انتصر على
الأمير محمد علي ، وراى المصطفى بالبلاد على في بيته سرور فقه ، وديناه مقيدتان خلفه ، وإذا نمر
لوقنا انبال عليه الخواص بالسيالك " . ويرى المؤلف أن كشتي بسبب مصاصات طلائفة
انطلقت من نافذة في أم درمان أسر بذيخ الرجال والنساء ، وكان يفاخر بقتل أكثر من أحد
مصر الثاني في حلفه المبروك على في بيته ما من رجله ، وأن ما مجوزته من الجرحى
والأسرى يملنون ستة عشر الفا . كما أبقى على كرومر في القاهرة ليزف إليه بأن في حوزته
ثلاثين ألف سبية . .

عيد الجلوس الحميدى

يتيمة النيجان

في مدح خير سلطان

جلوسك أم سلام العالمينا	وتاجك أم هلال العزفينا
ملككت فكنت خير المال كينا	وأنت أجلهم دنيا وديننا
سرير لم يكن بالمطمئن	وملك غادروه بغير ركن
نهضت تقيم مائله وتيسنى	فكنت الركن والسبب المتيننا
وليت الأمر أقدر من يليه	تخاف الله فيه وترنجيه
وتحمو آية العهد السفينه	وتجمع كلمة المتفرقيننا
يوقت فيه لللك انقلاب	والعرش اهتزاز وأضطراب
فكنت فخر في يدك العباب	وأوشكت العواصف أن تلبينا
يوقت فيه للأعدا ديب	إذا ماراح ذيب جاء ذيب
لكل حربه وبه يريب	وكنك لربك الحزب الأمين ^(١)
طداوات بنش الملك لدا	وأحزاب من الأتراك أعدى ^(٢)
تخلفت البعض ضد البعض جندا	فقال المفسدون المفسديننا
تغيرت الرجال فلا رجال	وزين للفرودين الضلال
فراموا والذي راموا محال	ومن يرم المحال قلن يكونا
فمنوا للعدو كما تمنى	ولما يسألوا الأحياء عنا
فلا تشبهوا بأقوم إنا	عرفنا مصرع التشبهينا
حجابك عند يلدرك الجلال	وأنت لها وللدنيا جمال ^(٣)
تبال الخافقين ولا تُبال	إذا قلبت في الأفق الجفونا
يرفعك المقام عن أبتدال	وعن عبث الحوادث والرجال

(١) رابة أومعه في الريب وأوصله إلى الريه . والريب : الغلة والتهمة ، والك : وأرأبه شككه وجعل فيه

ريبة . وأرأبه زيدا : أقلقه وأزعجه قال المتنبي « أيدى من أرايك ما يريب » .

(٢) لده (تشديد الدال) لدا حصنه أو شدة خصومه . (٣) يلدز قصر السلطان .

ومن لك حكمة حرب البسالة
 فالتحق في مسلم وحرب
 وتغنم من بعد وقرب
 وجدا استعان ولا تمان
 ولكن أت منه لنا أمان
 لك بما يشق على العباد
 وهبنا في جحوك القاصد
 وحبك لم يسم عمر الأمان
 وقومك عند مرقدكم نيام
 تود على البسالة كل مسلم
 تحب على حوادثها وهي
 ولم كرب كشفت وعظم حول
 (أسطول) رددت بنو حول
 جمت الأمم حين الأمم تحصى
 وحملت القرى طولا وعرضا
 وكل لك من فبالق من طراز
 إذا زحموا الضياغم في جواز
 سلاح من سلاح الموت أضى
 وبأس يذل الأجيال أرضا
 نظمت الجبلين بالعظم الجيد
 فإن قشت من بيت القصيد
 ونفع في المدونا جليل
 بأجل منه من فضل الجبل
 طشت فلم تدع لهم وجودا
 صدقت قياصر مصر الوعدا
 وفاتح في الزمان هي الجسام
 عهد لمرورها وله شؤنا
 وظاهر في شرق وغرب
 وتبين حتى يتبيننا
 كلك في تفردك الزمان
 وأكبر أن تحون وأن تبتنا^(١)
 وتتم بأفئادك والسهاد
 وهبنا يا (أمير المؤمنين)
 ولقد سهرت وعينه الكرام
 فهل تحصى على القوم السينا
 ولا يردن سهمك حين ترمي
 ولا يحين منك المتبيننا
 فبيل منك لم يسبق بقول
 قبيح الخلاق سائرينا
 وشرفت اللواء وكان أرضا
 بأساد يمين العرينا
 غدوا خير الجنود خير غاز
 أبادوها وكانوا العاريننا
 إذله الإيمان يوم الروح أضى^(٢)
 ويركبها إلى الهيجا منونا
 كنظمي فيك أبيات النشيد
 قرأت الفتح والنصر المينا
 شغفناه من الصفح الجميل
 فلكم القادوين الصاخينا
 وكان البطش إشفافا وجودا
 تريم كيف عهد الظافرينا
 إذا ذكرت لنا مال الأنعام

(١) ما بين ما : كذب (٢) لنا الهف من عهده واتخاذ : سله

أجيش خليفه ام غمام
وقبل النصر نصر قد تجلى
ظهرت على الحوادث وهى جلى
تخبط قومه فيك (الخطيب)
فاسمع (الحلال) ولا (الصليب)
يزده سفاهة فتريد حلما
فكنت لساكن (الباقان) سلما
كفيت الخلق نارا قد أثارا
وقد يحوبك الإسلام طارا
بحزم ليس من قال وقيل
وبطش من يدى سمع منيل

أظل « تساليا » سمحا متونا^(١)
علا في العصر آثارا وجل
وأكدت العدا والتامينا
يريبك في المجمع ما يريب
بفسوك في عقاب المعتدنا
لأنت أجمل أخلاقا وأسمى
وكان محمرك الشر الكينا
وللشرف الرقيق أخفت نارا
إذا الإسلام في يوم أهينا
وعزم ليس (بالرجل العليل)^(٢)
كريم معرق في الأكرمين^(٣)

أسود التترك هبى فم هبى
من يزجى الجيوش ومن يعبى
وحبى من أقامك يا قلاع
فليس كهذه بشرى مذاق
أشيرى يا أرامى السماء
ويشهداء فاجوا بالبقاء
إذا خافكم الأوطان يوما
فناموا في أمان الله يوما
أرب العبد هذا العبد يُجلى
ولكن « شاعر الإسلام » أعل

وهزى الأرض في شرق وغرب
ومن يحى المواقع والحصونا
ومن لك تحت رايته أمتاع
ولا بكموس دبك تملينا
ويا أبناءم ضجوا بالدماء
إذا شمع الملائك هاتفين
أو أشفقتم بها أهلا وقوما
فكل عند خير الكافلين
وكم لك من دماء فيه يتلى
وأوقع في نفوس المسلمين

(١) يريد أن الصفح الجميل الذى صحب انتصار الجيش التركى جعل ذلك الجيش أشبه بالنعام المسموح الذى يهرى
خيره البلاد في مصلاته . (٢) الرجل العليل أو الرجل المريض يقصد به تركيا في القرن التاسع عشر .
(٣) المعرق : التنبيل الحبيب .

اعتد يفتت تلك الملك ليس الملك بالزينات حال
 وكم لك في القلوب من اعتقال يكاد الجسم عنه أن يبين
 وهدي نصر باسطة اليدين تؤدى من ولاتك خير دين
 وتخط جيتك الأسنى حين فاجى الهوى تلك العيونا
 فهل عند الإمام لها قول وهل نحو الإمام لها وصول
 فتشكو من براح ما تزل وحكيك يزول ما بلغ الوهن
 أنتك تنص من طوبى الحياة تسوب إليك من ماضى الزمان
 وتسطى تراك يد لرجاء وتلقى فيه آمال البين
 فتألمها بطفك والنسوان وأزلى بسوئك والظلال
 ألام الله فأنسك القليل وأيد تاجها ورعى الجبين
 (محتفل)

التعليق

هذه القصيدة منة وسجون يتألف من ثمانية عشر بيتاً من المبتدا إلى المنتهى . بدأ شوق
 عليه السلطان عبد الحميد بالإشارة إلى سالة السلطنة الداخلية وموقف العرش من الأحزاب
 والحزبات :

وقت فيه لك انقلاب والعرش اهتز واضطراب
 ففتت قسرى بك العباب وأوشكت العواصف أن تدنا
 والكل يعلم أن عواصف الحرية ما لفت أن قلت عرش الاستبداد . وإذا كان لا يحب من
 شوق تسميته الأحرار الثنائين بالمفسدين والفرورين فإننا سرعان ما نجد مخرجاً من ذلك الجو
 الخافق - الإغراق في مجيد عبد الحميد - حين يطلق الشاعر في سماء الإسلام والملة ويصبح
 بشعوبه النائمة لنهض ، فقد طال وقادها قرناً بعد قرن في الللة والاستعباد . وهنا نجد
 أسلوب شوقي في أبهى بيان فاحضاً بالتمكيز المزايا يمجزنا ويشجونا . قال يخاطب الخليفة :
 وبك لم يسم تسمر الإقليم وحشد جهوت وعينه الكوام
 ولطوك عند عرشك لم يسم فحمل خمصى على القوم السينا

(١) انظر الأول من هذا البيت ذكر المشرق ووجهه في قصيدة (تمجيد لترك) التي نشرها المؤيد في ٩ مايو
 سنة ١٨٩٧ (أدبية شباب مصر) ٩ وهي في سنة ١٩٠٢ من الجزء الأول طبع سنة ٢٦ - قال

قد يفتت لك القليل سيف يفضح قبح المينا

انتقل الشاعر بعد ذلك إلى انتصارات الأتراك على اليونانيين . . . وقد طالع هذا الموضوع في قصائد كثيرة . وبالرغم من ذلك فإن الحماسة في شعر شوقي تجعل في هذا الشعر الفخم حياة دافقة متجلدة :

وكم لك من فيالق من طراز قتلوا خير الجنود خير غاز
إذا زحسوا الضياغم في مجاز أبادوها وكانوا العابرينا

في هذين البيتين وفي القصيدة كلها تنفخ ربح من معلقة عمرو بن كلثوم (ألا هي بصحنك فاصبحينا) . وكلتا القصيدتين قد لا تتنازع كثيرها بأبيات قلائل صاعدة كالقهم ولكنها تمتاز بقوة مجموعها كله المصوب في قالب واحد من السهولة المتدلعة كالخيل في الطلق . وقد نطن العرب إلى أسلوب قصيدة عمرو بخلوها إحدى معلقاتهم . .

وفي ختام القصيدة خص شوقي عبد الجلولى بعشرين بيتا تبدأ بهند قوله (أسود الترك هي لم هي) . ولم ينس شوقي في هذا الختام مصر وآلامها وآمالها ، وما تنتظره من نصرة الخليفة لما ضد قوى الشر . وفي هذا الشعر أثر من استعطافات النابغة واعتذاراته وعتابه .

وهذه مصر باسطة اليدين تؤدي من ولالك خير دين
وتلحظ عندك الأسنى بين تقاضى بالهوى تلك العيون
أفهل عند الإمام لما قبول وهل نحو الإمام لنا وصول
فتشكو من جراح ما تزول وكيف يزول ما بلغ الويتنا
أنتك تقص من طرف الحياة تتوب إليك من ما مضى الزمان
وتبسط في ثراك يد الرجاء وتلقى فيه آمال البنينا
فقابلها بمطفك والنوال وأنزلنا بسوحك والظلال
أدام الله ذاتك العالي وأبدت تاجها ورحى الجيننا

ما أقدر شوقي على التشخيص والتحميل وما أروع ما حين يقول عن مصر :

وتبسط في ثراك يد الرجاء وتلقى فيه آمال البنينا

صورة جامدة مؤثرة تذكرني بصورة زينة نغمة للشاعر الفرنسي فرانسوا ميليه موضوعها (Le geste du Semeur) أو الفلاح وهو باسط يده يطرح الزرعة في الأرض . وكلتا الصورتين تستمد قوتها وجلالها من صميم الحياة .

رواية فشودة

شوقية عظيمة مجهولة من سنة ١٨٩٨. وقد رأينا أن تقدم بعض التفاصيل التي لا بد منها لفهم الأرجوزة .

في سنة ١٨٨٥ انضمت أوروبا على هجوم أفريقيا والاستيلاء على مواردها الضخمة ، وكانت إنجلترا تطمح في الملاك مصر الفتية من طاج النيل إلى البحر الأبيض ومن سواحل البحر الأحمر والمحيط الهندي إلى سواحل المحيط الأطلنطي . لذلك أرغبت إنجلترا مصر بعد احتلالها على إغلاء السودان وأرضه ومصرية خط الاستواء وبحيرة البرت وهررر ولاتريا والصومال . وقد سمحت لبلجيكا وإيطاليا وألمانيا بالاستيلاء على بلاد وأقطار مصرية واسعة . وكانت فرنسا تعمل في بحر القزاق في سنة ١٨٩٢ وتعمل على احتلال أعالي وادي النيل أو جنوب السودان جميعه ثم ترابطت بها من قسبر حملة مصرية إنجليزية على عمل لاسترداد السودان . وقد تمكنت هذه الحملة من سحق الدراويش في أم درمان في ٢ سبتمبر سنة ١٨٩٨ . وكانت خسارة الدراويش ما بين قتيل وجريح حوالي ٢٧٠٠٠ مقابل ٤٦٠ من المصريين والإنجليز . وهناك لمكتشف أن مرشان القائد الفرنسي وصل إلى فشودة واحتلها في ١٠ يولية ورفع الراية الفرنسية على دار الحكومة كما أنه أقام على أفاض القلعة المصرية القديمة حصنا متوارا ومختفيا وعقد مع الشيلوك معاهدة بسطت بمقتضاها فرنسا حمايتها على المنطقة . يادر ككتشر بصمود النبل ثلاث بواخر حربية وقوة مصرية حتى بلغ فشودة في ١٩ سبتمبر حيث وفد عليه مرشان في زورق من زوارقه فتحادثا ولم يتفقا لما كان من ككتشر في اليوم التالي إلا أن احتل رفع الراية المصرية على ربوة تبعد ٥٠٠ ياردة عن الراية الفرنسية وغادر فشودة نحو الجنوب تاركا للمفاوضات السياسية تسوية الموقف . كان وزير خارجية فرنسا في ذلك الوقت دلكاسيه وزير خارجية إنجلترا سالبيري وزير خارجية مصر بطرس غالي . وقد جرت مقاضات طويلة استغرقت أشهرا . كان سالبيري يقول إن فشودة مصرية وإن مصر قد احتفظت بحقوقها على وادي النيل وجميع البلاد التي كان يحكمها السلطان . وكان دلكاسيه يتنازع في أن إنجلترا تملك نويكلا رسميا عن مصر للطالبة بحقوقها بذلك أرسل (ناظر) حكومة مصر إلى وكيل إنجلترا السياسي كتابه الشهير الذي كانت محتته : هو لم الحكومة المصرية أن مسألة فشودة في هذا الأوان موضوع مفاوضات

ين بريطانيا العظمى وفرنسا فإنها تكل إلى أن أطلب من سبلدكم أن تفضلوا بحسن الوساطة لدى اللورد سالسبرى ليم الاعتراف بمصر بحقوقها التي لا تقبل نزاعا ولكي تعاد إليها الأقاليم التي كانت تحتلها حتى قيام ثورة محمد أحمد المشهدي". ولقد وقعت إنجلترا موقفا حازما للدفاع عن مصالحها ودام الصراع طويلا بينها وبين فرنسا على أملاك مصر وتوزع تركتها فاضطر الفرنسيون في النهاية إلى التخلي عن فشودة في ١١ ديسمبر وطاد مرشان إدراجه بعد أن أسدل الستار على تلك الرواية الفاجعة أو على فصل من فصولها .

كان اهتمام الرأى العام في مصر بتلك الحادثة أكثر من اهتمام الحكام والساسة الرسميين . نذكر على سبيل المثال أن (المؤيد) نشر في عدد ١٢ سبتمبر مقالا عنوانه (الفرنساويون في فشودة) ، وآخر في عدد ٢٧ سبتمبر : (فشودة) ، وافتتاحية في عدد ٢٢ أكتوبر : (فشودة . فشودة) . وقد نشر المؤيد في عدد ٨ نوفمبر سنة ١٩٠٨ في صدر الجريدة قصيدة شوق تحت عنوان (رواية فشودة) ثم مهد لها بقوله : " جاءتنا هذه الرواية البديعة من أحد الظرفاء " ولم يشر إلى اسم قائلها ، وهذا نصها :

رواية فشودة

تمهيد

فشودة رواية البصريين آية
قد مثلت في العصر ليتدى في مصر
فما اعتدى ولا عقل ولا درى كنه الجليل
بل شهد التمثيلا ثم اتنى بحجلا

(١) نسبت هذه القصيدة إلى شوقي ، في البحث الذي أقيمه في مهرجان شوقي (أكتوبر سنة ١٩٥٨) ، لأن أسلوب أمير الشعراء يشبه عليه . وقد قرأنا بعد ذلك في الجزء العاشر من مجلة الجامعة (عدد يناير وفيف فبراير) سنة ١٩٥١ فصلا عنوانه « فشودة وديارها » ، قالت : « نشر في فرنسا في الشهر الماضي كتاب بشأن فشودة والجنة الفرنسية العسكرية التي سارت من الحبشة للاقاة مرشان فيها . وقد قال مؤلف هذا الكتاب الذي هو أحد رجال البعثة المشار إليها أن سبب فشل فرنسا بمرشان هو مجزأ البعثة عن الوصول إلى فشودة . وسبب مجزأ البعثة هو وكيل فرنسا السياسي في الحبشة . فأعاد هذا الكلام ذكرى رواية فشودة » — وبعد أن فندت المجلة رأى المؤلف وسردت أسباب الفشل الحقيقية التي تلخص في ضعف قوة فرنسا البحرية وادخار موارثها لاسترداد الأناضول واليونان قالت : « وهذه أهم الأسباب التي دعت إلى فشل فرنسا في الرواية لفشودة لا ما ذكره صاحب الكتاب . وقد نظم « شاعر النيل » هذه الرواية مقترنا فيها جانب المزل والبلد فأينا شرعا على سبيل الفكاهة . ولم نسم الناظم لأن لقب (شاعر النيل) ينم عليه . وهذه هي الرواية الشعرية » :

فشودة رواية البصريين آية ... الخ

مولى الأصناف في ساعة الإصعاف

فلا تلم فرنا وفضلها لا تنسا

وقل لمن رام السب شقاء مصر قد غلب

الفصل الأول

(مرثاة في عشودة)

مرشان في النيل التي من بعد ما عز اللقا

تقابل في سلم على الصفا الأتم

حيث المياه تجري نهوا يجنب نهر

والأرض بكر لم تزل كما دعاها في الأزل

مخرج أصناف الفرح تنبت أجناس الزهر

نفيض بالماكول من عدى وفول

زايها الخير السعد نكم بها من معدن

وغرسها ابن يومه "لمرشن" وقومه

مرشان فيها قد نبت كأنه عود نبت

يلين للمواصف لاله من قاصف

أخرجه دلكاس العوبة للناس

العوبة وتغضى قد خاب فيها من رضى

وكيف كان العاقبة لأن مصر الخائبة

إذ لم يكن لطرس من طاقة بدلكسى

ولاله من يورى يُسمع سالسبورى

ولاله من أمة تحبده في الغمة

ولاله من دولة تمسده بالصولة

ولاله ولاله لله ما أجله

وبعد هذا فاسمع يا خلى البال ويع

الفصل الثاني

مرشان والنيل

النيل كان قائما	رأى (المجور) قائما
يضربه في رأسه	يحسبه في رسمه
خاطبه يا نيل	يا أيها القليل
يا تارك البلاد	لأنفسد الأولاد
يا ضائع الميراث	والصبة الأحداث
دُيحت بالسكين	من فادر مهين
وكان أهلك المدي	والجيل كانوا واليدا
فما صرخت صرخة	بل قد ذهبت فرخة
قد سقطت في زير	أو وقعت في البير
فلا تلمني بعد ذا	إذا نعمدت الأذى
لاني أنا الهامى	عنك لدى الأنام
لا بدلى من حصه	قبل ضياع الفرمة
إذ قد غدا في النهه	أن تحفظ القضيه



فهب داعى النيل	من نومه الطويل
يقول يا مرشان	يا أيها الشيطان
يا أسد الفقار	يا حية البرارى
يا سمكا عواما	يا طائرا حواما
يا بككة السمين	يا بلة في الطمين
يا حجة الطبول	على طريق الغول
يا خارجا من عليه	يا حادثا من لُعبه
يا مشكلا لما نزل	ومشككين إن رحل
وإن أردت جدى	فانت خير عندى
من كل ذى قلب بطل	بلحة الأرض وصل

ما كانت المسورة تنكي لها طابور
ولا الحمام الأزرق يعم منه زورق^(١)
ولا الأسود السود يصسلها بارود
ولا جمال القرى تطوى كاتطوى القرى
سلكتها يا طري أيسه الجواز
حتى ملكك عري بحر النزال طرا
تيمم وتسقي راية وصكري
لكن تملك آل بي ولا تكن مفضل
من ذا أهلك المني من ذا جاك المنيا
من ذا غلنا برا من ذا عليه برا^(٢)
بحر النزال مسني كيف يزول مني
وهله فتسومة لبيتي المسودة
صغيرت لبي وصغيرت قنيلها
لاندفع المسجور بسحره يسور
وقال فسولا مقنا أثبت فيه ما ادعى
يا سيد الأنهار وملك الديار
ماذا يملك السقط من مد ما الرأس سقط

الفصل الثالث

(سالمسوري وسغر)

وجام سالمسوري لمصر في سرود
يقول وهي تستمع يخدمها قنغدع
يا مصر يا حاني يا زينة البنات
يا مشهي انكثره يا بنت أخت لندره

(١) الحمام الأزرق : المير الأزرق . يقال للماء الضاقي أزرق و (البحر الأزرق) قيل معناه الخالص المداوة من زرق الماء وهي مفاخره وخلاصه . وقيل معناه الشدة المداوة لأن زرقه العيون غالبة في الروم والديلم وبينهم وبين العرب عداوة شديدة . والعرب تنكي بالزرق من الصالح لما في لونها من الزرقة .

(٢) بر الأول يعني حاني وأهى . والثانية برا تحفة .

يا مينة السليم	والوطن العزيز
بل يا أنان الملكة	يا ألف ألف سكة
يا ناقة السردار	وجيشه الجرار
يا أصل ما قد اكتسب	من ثروة ومن تعب
يا بلدا ما فيه	نواظر يعكبه
يا أمة ولا وطن	يا منزلا لمن سكن
يا موطن الأعداء	يا قسمة الأقسام
إني أرى الدشالا	يجلس الخلل خالا
هيا نصبح السارقا	ونشهد الخلائقا
وبطرس والوزوا	يجزرون الحضرا
ويثبتون فيه	تهمة سارقيه
ويعدم مرض الشكوى	فقيم نحن الدهوى
وتظهر النصوصا	وتطرد النصوصا
أولا فقد خاب الأمل	ولا ميل للعمل
ها أتم قوله	أن ضحك مصر له
وأقبلت تحول	يا أيها المأسول
يا سدى وعمدى	يا عتلى لشئى
بطرس من عيد كا	والكل من جنودكا
فأقص بما شاء	لا يتقص القضاء
فأقم ما أخرجهم	بالعنف إذ أخرجهم
لكنى أردت	ولجميع كدت
إني أنا الدعاء	عنى ووى النساء
وسوف أنسى الناسا	لودين والأزاسا
هل علمت أنك كرا	أى لسواه يزدري
أى هم يسر هانا	أى قدير دانا
أى الشعوب تفضح	أى الليوث تخرج
فالتجنى الثورات	ولتترب الساعات

البالغ

رقصة الختام

إليكم من طرس تاذرة في المجلس
 إذ قالت النظار بامن له الفخار
 يا أمكنة الزاوية يا صاحب المهارة
 روى القليل منكم قتب بعض ذنبا
 فهات عنتي عنه كيف نرجت منه
 فقام فهم مضيا يقول ما قال بحا
 فمشوة عيشة مثل اسمها فشوش
 ما الخلف والسجاق إلا عيل العاف
 دهنه الورد وبت تحت جلدي
 الإستهاء وشم برم *

التعليق

أول ما يلاحظ في هذه القصيدة أن روح الشاعر فيها مصرية صميمية ، روح النكتة والسخرية والتفريع ، بلغة سهلة دارجة عالية ، كثرة عثمان جلال في (العيون اليواظ) ، وهذه بلا شك أنسب لغة للقصيدة والرواية ، وهي لغة جميع روايات شوق التي ظهرت حتى يومه في سنة ١٩٣٢ . انظر إلى قوله في رواية على بك :

وقف الحماكم من كل رخيص وثمين
 مثلما وقف الدائم من مال المدين
 وشريك الشعب في كد يديه والجبين
 وشريك في الأوان وشريك في الصحن

وقوله فيها أيضا عن الضرائب في عهد المماليك :

حكل يوم مطر من الضرائب الجلد
 وتسله الفرقة ما لا يعلمون من ولد
 على الحمار فرقة وفردة على التند

وفردة على الجمام وهو حبل من مسد
وفردة على برا دح الحصيد واللبد

والذى نجبه فى شوق ، وهذا دليل على عبقريته ، أنه بينما يخاطبنا باللغة التى نفهمها ،
ويخاطبنا على أرضنا ، إذا به يرتفع بقاءً بماطفته وقوة بياحه إلى أعلا سماء . مثال ذلك
فى الأبيات السابقة قوله :

وقف الحاكم من كل رخيص وثمان
مثلاً وقف الدائن من مال المسدين
وشريك الشعب فى كذ يديه والجبن

ففى البيت الأخير نزع عالية وتحليقة من تحليقات شوق ، وهى كثيرة فى شعر لافونتين
وحكاياته على السنة البهائم والطير . وفى رواية فشودة حلق الشاعر فى كثير من أبياته ، قال
على لسان النيل مخاطباً مرشان :

ما كانت الشهور يكفى لها طابور
ولا مجاهل الثرى تطوى كما تطوى القرى
ملككتها يا غازى أيبة المجرى
حتى ملكت مجرى بحر الغزال طرا
تبيعه وتشترى براية وعسكرى

ففى قوله (تبيعه وتشترى * براية وعسكرى) تمثيل رائع لحقبة هامة من تاريخ الاستعمار
الأوروبى فى أفريقيا ، خصوصاً فى مرحلة التقسيم الأولى . فقد كانت مثل الدولة
الطامعة يذهب إلى الأرض المختارة ومعه حفنة من الجنود الأوربيين وراية ، وسرمان
ما يعقد معاهدات مع شيوخ القبائل وزعمائهم ، ثم يرفع رايته ويستعين بالوطنيين فى توطيد
سلطانه .

ومن روائع شوق قوله أيضاً على لسان النيل فى موقف من مواقف العزة الوطنية
والشهم :

من ذا أباحك الحمى من ذا جباك المقننا
بحر الغزال منى كيف يزول عنى

وقوه على لبنان (السوري) مصر

يا بلدا ما فيه نو ناظر بيكيه

يا أمة ولا وطن يا مقل لمن سكن

هذا الطرح المزلتي وطنه على تقاعسهم عن نصرته وطنهم ، وتركه نبيا للأجانب ، ينم عن
وطنية الشاعر ، المطمئنة المشككة في قرارة نفسه « كالغدير الصافي في الغاف الغاب » كما قال
الشاعر نفسه .

ويجئ في ختام هذه الرواية قول الشاعر بطرس :

يا أكنفا الوزارة يا صاحب المهارة

زى الحال حسنا فبعض ذنبا

شذرة أدبية

في حلوان

حضرة الفاضل الأديب صاحب الإمضاء

طالما اعتقدت مع الناس ، واعتقد الناس معي - وهذا هو التقليد - أن حلوان ربوع الصحة ومنازل العافية . إلا أنها ربوع ليس للإنس فيها أعلام ، ومنازل ليس فيها بشاشة نبتات . فهوؤها إنما هو الدواء يشرب في كل كأس ، ومن كل يد ، وكيف كان المذاق .. وما زال هذا اعتقادي في مدينة الشمس القوية - وحلوان أحق بهذا اللقب من طيبة القديمة - وأنا من القطار إلى البيت ومن البيت إلى القطار . لا ألوى على شيء من نعم الله الكثيرة الكبيرة . على هذه البلدة القليلة الصغيرة . حتى لقيت من أرشدني إلى مواضعها . وأشهدني عروس الطبيعة في بدائع حلاها وحلى بدائعها . وخصوصا منظر غروب الشمس في النهر بين الرمال ، وبين النخيل والأهرام . فقد أخذ مرشدي على نفسه أن أجد أفق حلوان وهو يودع النهار . فوق آفاق سويسرا جمالا وجلالا . وأن الطبيعة الصغرى تلوح لي وقتئذ عند غاياتها . كما طالما شهدت الطبيعة الكبرى في سويسرا عند نهائياتها . فخرجت إلى قضاء البلد في يوم أقبلت الشمس عليه . فأتته الصبحو إليه . أستقبل النيل وما يكتنفه من زرع ونخيل . وظل ظليل . وأنا على سفينة الرمال يجرى بي الأصيل . وأميل مع ملك التمار حيث يميل . فإذا أنا بهاء قد أخذت زخرفها وأزيت للناظر . كأنها مجموعة صور تغلب من أحسن المناظر . بيد أن المنظر الواحد في مجموعة المصور العظيم يتبدل ويحصل ويتلون ويتشكل . فيبيض الأسود ويسود الأبيض ويزرق الأحمر . ويحمر الأزرق . ويستميل المستقيم . ويستقيم المستميل . ويستطيل المستدير . ويستدير المستطيل . وتتمثل أشياء الأرض في السماء أبدع تمثيل .

فكم من جبال وكم من ظلال	وكم من برود وكم من بحور
مداد من النور يحسرى به	على صفحة النور أعلام نور
تأمل تمجد مبدع الكائنات	إذا كنت تقصوا بين السطور

والأرض تحت ذلك صفراء من قرب . حمراء من بعد . خضراء يمنة . سوداء يسرة . قد ذهب الأصيل وجوهها بالآلئ فاجت كما تموج الصور بانثر الكهرباء . والرمل لحة عجب .

والنيل قصة ذهب ، والزروع كالزبد في أفق كالسجدة ، والتخيل كالعرائس ، أو عهد الكفلس
والفلك كالنطاد ، من رائج وغاد ، والأهرام أم طغرى هذا الكتاب ، وجلال هذا المنظر
العجاب ، تلوح من بعد كأنها أبحران على مزودة ، أو خيام وسط معمعة ، أو إبل مستجمعة ،
أو نهود الطبيعة المضطجعة ^(١) ، وبالجملة فالمنظر نفيم شائق ، يبدو عليه جلال القدم ، ويلوح
وقار الهرم ^(٢) .

فكأنما غرغور من لم يسزل وكأنا مصر جديدة الأهرام
وكأنما نلت القسرون وسط نلت وكأنما الأجيال رهط نيام
النصف تحت الأرض في سنة الكرى والنصف فوق الأرض في أحلام

حتى إذا اختصر النهار ، وظهورت الظلم على الأنوار ، وآذن ملك الشمس بالإدبار ،
مهدها لها المنحدر ، فالتحدرت بالتؤدة والرفوف ، فأخذتها الأهرام حمراء ، فكأنها علم في رأسه
نار ، ثم اختواها النيل ، فكأنه طائر سقط فيه دينار ، فوفقت أنتظر الليل ، والليل لا يأتي
حتى شككت أن رأيت مصرع الشمس ، وشهدت النهار ينزل إلى الرمن ، فالتفت حولي .

(١) الجغرافي صديق العالم الأثري أحمد فخري أن هذا التشبيه البغدادى ، وبالرجوع إلى كتاب عبد الطيف
البغدادى (وصف مصر حوالي سنة ١٢٠٠ قيلاد) وجدنا ما يأتي من ٢٧ : « وأما الأهرام المتحدث عنها المشار
إليها الموصوفة بالمعظم فثلاثة أهرام موضوعة على خط مستقيم بالجيزة قبالة القساطر ، وبينها مسافات يسيرة زواياها
مقابلة لمحور الشرق ، وإثنان منها عظيمان جدا ، وفي قدر واحد ، وبهما أولع الشعراء وشبهوا بهذين قدسهما
في صدد الديار المصرية » .

وروى لنا الأستاذ حسن كامل الصيرفي ، قلا عن مسالك الأبحار ، الآيات الثلاثة الآتية لأبي الصلت أمة
ابن عبد العزيز الأندلسي :

بمشك هل أصبحت أحسن منظرا على ما رأيت هناك من هرمي مصر
أنافا بأعشار السماء وأشرفا على الجور إشراف السالك على النصر
وقد وافيا تنزرا من الأرض عاليا كأنها نهديان قاما على صدر

من ذلك يتضح أن المعنى القديم متداول ولكن شوقي أجاد صياغته ، لأن كلمة « مضطجعة » هنا كلمة شعرية نغمة
المبنى والمداول ، الاضطجاع من شأنه أن يبرز التهدين في أحسن صورة فيشع منها ذلك النور العلوي الجذاب الذي
يشعن الفضاء بالسحرحول الهرمين . (٢) الهرم : الشيخوخة .

(٣) أخذ على شوقي أنه يستعمل (طار) بدلا من (إطار) وهي لغة يمنية حديثة ... قال شوقي في قصيدته التي
وصف بها مدينة الزنجر (جنيف) ومناظرها سنة ١٨٩٤

وقضى أثناء القضاء بفترة لاحق برأس الطود تاجا أزهر
فسمت فكانت تصف طار ما بدا حتى أناف فلاح طارا أكبرا

إذا أنا بالبدر قد خلف الشمس على الآفاق . فكأنما أوما إلى النهار فوقف . واتصلت
مادة الإشراق . وهكذا حلوان .

الليل فيها نهار لا غناء به . والبدر شمس ولكن تجلى أبدا

ولما كانت ليلة الأحد الآتي من ليالي القمر في هذا البلد كان ميسورا للقادم عليه فيها
أن يتمتع بجميع ما وصفنا الطبيعة عليه من الجمال والجلال . حتى إذا أخذت العين قسطها
من ذلك كله سمعت الأذن (إسحاق) المشارق و (معبدها) حضرة الموسيقى الأشهر عبده
أفندي الجمولي^(١) مؤديا بصوته الجميل عملا خيرا محضا وقد خصصت ممرته لإحياء (كتاب)
في حلوان يأوي إليه فقراء أبناء العزبة . وإن إنسانا يسعى بقدمه إلى البر الخليق أن تسعى به
قدمه إلى الناء في الدنيا والأجر في الآخرة .

(ش)

(١) كان عبده الجمولي وأحمد شوقي ومحمود سامي البارودي يقطنون في ذلك الوقت في حلوان وبتراودون .

نشيدان لشوقي

يغنيهما محمد عثمان

(التريد) في ٢٣ يناير سنة ١٨٩٩

”جاءنا من مراسلنا بحلوان أنه احتفل أمس في كازينو حلوان (بسبوع) الكتاب الأهل
الخيرو ، وقد ظهر أبناء الكتاب على المسرح يشدون هذا النشيد من إنشاء أحمد شوقي .

يا سيادة واستواء الفقير	طوبى قمتونا بالمتن
وكل من ربي الصغير	مستوجب شكر الوطن
نحن صفار الأمة	هيا اغرسوا فينا الفطن
نحن العظم كعبية	إن لم تربونا فمن
لا يذهب الغير سدى	ومن يُعْن يوما يُعْن
والمرء لا يد غدا	يُجْزَى عن الفعل الحسن

ثم تكلم خليل مطران وانهت الكلمة الأخيرة في حياة اللبلة إلى حضرة العالم الموسيقى
والمطرب الطائر الصيت محمد أفندي عثمان .

٢

(التريد) في ١٨ فبراير سنة ١٨٩٩

”أحييت لجنة أصدقاء حلوان الخيرية ليلتها الثالثة التي أسفر صباحها عن يوم الجمعة
أمس (يوم الأربعين للكتب) تحت رعاية أحد الأمراء :
ترجم محمد عثمان وأعضاء النخبة على المسرح هذا النشيد لمناسبة تشريف دولة الأمير :

أشرفت حلوان	يا ابن محبها
بعلى الشاب	بدر ناديا
زارها القيث	مذ بدا فيها
وأقوى الثبوت	لأهلها
يا شقيق المجد	يا أبا الأفضال
أنت نجم السعد	في سما الإقبال
جاءك السعد	والرعاية غال
صانك الله	وأدام الآل

(الاحتفال بإقامة تمثال دلسبس)

القصيدة الآتية لم تنشر في الديوان القديم . وقد اختار شوقي أبياتا ثلاثة فقط من نسيبها ونشرها في الجزء الثاني من الشوقيات (ص ١٤٧) وهي :

لا والقوام الذي والأمين الآتي ما خنت رب القنا والمشرفيات
ولا سلوت ولم أهم ولا خطر بالبال سلواك في ماض ولا آتي
وخاتم الملك للحاجات مطلب وتفسرك التمني كل حاجاتي

والعجب أن هذه القصيدة من جيد شعر شوقي ورفيعه . نشرتها المؤيد تحت عنوان (تمثلة خديوية) بمناسبة عودة الخديوي من بورسعيد . العنوان لا يطابق المقام . وتوضيحا لذلك نقول إن شركة قناة السويس أقامت في ١٧ نوفمبر ، وهو اليوم السابق لنشر القصيدة ، احتفالا فخرا بإقامة تمثال دلسبس "مؤسس القناة" . وكان هذا اليوم في مثلي يوم الاحتفال بفتح القناة من سنة ١٨٦٩ . وقد حضر الاحتفال الخديوي عباس والغازي مختار باشا والأمراء ونظار الحكومة ومستشاروهم وقناصل الدول الأجنبية ومندوبون عن الصحف . وعمل الرقيم لما يتخلل القصيدة من نسب ومديح «تقليدي» فإنها في مجموعها قصيدة اجتماعية سياسية حالية . وظاهر بجلاء أنها نظمت بمناسبة الاحتفال بإقامة تمثال دلسبس ، ذلك التمثال الذي طوّجت به ثورة الشعب إبان العدوان الثلاثي في سنة ١٩٥٦ . لذلك نشر القصيدة بعنوانها الصحيح فما كان عنوانها الأول (تمثلة خديوية) إلا ستارا تختفي وراءه أغراض الشاعر :

لا والقوام الذي والأمين الآتي ما خنت رب القنا والمشرفيات
ولا سلوت ولم أهم ولا خطر بالبال سلواك في ماض ولا آتي
ولا أرهت لسهم الحظ في كبد ردا ولا رأي لي في المستحيلات
ويذهب اللوم بي في كل حاجة فلا يبسطني إلا صبايات^(١)
وأنت تطرب للواشي وتطمعه كالطفل التي بسمع الخرافات
إن السهام إذا ما واصلت غرضا كانت خواطئها مثل المصيبات

(١) في الأصل (صبايات) . الصبايات بالضم البقية من الماء والبن في الإناء . جمع صبايات يقال «لم أدرك من العيش إلا صبايات» .

وسهم جفنيك ما أرسلته عرضاً
فمن قوادى إلى لي إلى كبدى
وما الزالة إلا أنت في نظري
وحاتم الملك الحاجات مطلب
فقل له تمت في الحب مهجته
أبى القضاء له إلا رميات
إلى وشادى فأغفاني فلذاتى
صينها ويقول البعض بالذات
وتسرك المعنى كل حاجاتى
وأنت ماوى البنائى والبنيات

أهلاً بركب الليل والعز قاطبة
وسرحاً بك في حل وسرحى
مازلت تطمئن مصر أم مظهرها
مشت ركابك من نفس إلى بلد
وإن مولاى من ساروت مواكبه
إن شرفوها وأوا في ظلها شرفاً
يمت (١) ثمر سعيد (٢) خير محفل
كم مثلت بحالها وروثها
والقوم في مصر ما طلقوا بلعها
حتى جرى الماء من أنثائها (٣) فمها
فكل مائدة بالخليق حافلة
هلا برنا بسادات لنسا سلقوا
إذا المبدائح فاز المستون بها
ما كان أعظم إسماعيل لو سلمت (٤)
إن شيدوا لسواه ما يمشله
قوم ينال جزاء السعى حيمو
وصيروه مثلاً بعنده حسناً

وفد المناخر طقراً والسعادات
ومضك الله منه بالتحيات
ولقيت أفضل ما يأتى بمقات
على الحدود إلى عو الشقاوات (٥)
لأية الله في أيدي الجماعات
وأستقبلوا الخير نيات بنيات
تميدها حفلات قيصريات
جد الشعوب وإقدام الحكومات
إلا كما شهد الغر الروايات (٦)
صق ممالك لا تروى ودولات (٧)
ومصر من خلفهم طامى الولايات
بر الغريب بأسلاف وسادات
تأز الكرام لديش بالمذمات
له السعادة في مصر وهيئات
فجده فيه تمثيل بمرآة
فإن قضى شيعوه بالكرامات
بقي مدى الدهر عنوان المكافاة

(١) الحدود : المخطوط . (٢) ثمر سعيد : هو سعيد . (٣) الغر : الشاب لا تجربة له .

(٤) الأبناء : الأوساط . (٥) تروى : تروى . (٦) إشارة إلى جثع أوروبا .

(٧) الواقع أن إسماعيل ووزرائه وجميع مصر ومصر ذهبوا جميعاً ضحية له بلبس والقناة . وقد شرحنا ذلك بالتفصيل في كتابنا (نصيحة المومنين) ويتلخص مكننا في أن إسماعيل ظلم المصريين وظلمه الأجانب كما ظلموا مصر .

لولا مفاخر أفراد نعتهمو لعاش ذو العقل حيا بين أموات
فأحي ذكرك في الدنيا بآخرة وأدرك الخلد في الدنيا بمسعاة

♦♦

مولاي مصر بنوها اليوم في طرب قال المنجم أقوالا فرقة بهم
تدار بينهم كأس المسرات حتى إذا عادت يادنيا همو عرفوا
أن لا يروك فيقضوا بالندامات أبظهر التحس أم يبدو له ذنب
قصص المنجم من تلك الإذاعات تساهل الناس حتى لا قرار لهم
والسعد منك بأفكار وهالات خافوا عليها وألغتهم قيامتها
أنقص الأرض أم تجري لغابات أبي الإقامة للدنيا وساكنها
عما يمز عليهم من قيامات كل يمدد حبال الفناء لنا
يوم يدول وضوء ذاهب آتى لا يلة للنجم من يوم يزل به
والكل من بعدنا رهن الحبالات وإن تناول أسباب السموات
(شوقي)

تعليقي

هذه القصيدة ثلاثة أقسام : (القسم الأول) - ويستعمل الغزل . وهو أحد عشر بيتا يمتد فيها النغم الموسيقي ويستطيل في بحرهما ورويتها استطالة الآهات والضراعات والحين .
(القسم الثاني) - وهو في صميم الموضوع . بداه الشاعر بحجة الأمير في ستة أبيات (أهلا بركب العلى والعز قاطبة . .) . ولكنه في الأبيات الثلاثة عشرة التالية : (يمتت نغر سعيد . .) مزين مستار الرياء عن هذه الحفلات ، وعن الأدوار الحقيقية التي لعبتها مصر وولاتها ، والنول وشعوبها على المرح .

يمتت (نغر سعيد) خير تحفل تميدها حضلات قيصريات
ولكن ما وراء هذه الأبهات والزينات ؟ تاريخ الفناء ومآسيتها :

كم مثلت مجاليها وروقتها جد الشعوب وإقدام الحكومات
والقسوم في مصر ما طافوا بلمعها إلا كما شهد النير الروايات
حتى جرى الماء من أنثائها ذهبيا يسقى ممالك لا تروى ودولات^(٢)
فكل مائدة بالخلاق حافلة ومصر من خلقهم طاهى الوليمات

(١) مصر من الأمر قصورا : انتهى وكف عنه مع النجر . (٢) روى يروى (باب علم) : شرب وشبع .

في تلك الحفلات القيصرات التي بدأها إسماعيل في افتتاح الفساة سنة ١٨٩٦ وأعادها عباسي ، بمناسبة نصب تمثال دلسيس ، كان عظمه الضيوف مجتمعين حول الموائد (ومصر من خلفهم طامى الويلات ...) أي أن مصر ، في نظر فرنسا والأمم الأوروبية ، لم تلعب في تاريخ القارة إلا دور شخص من أشخاص الرواية الخيالية لا الممثلين الحقيقيين ، دوراً ثانوياً من أدوار الرواية . ويحيط هذا أن مصر كانت من قبل ، وهو ما قاله هتروفو ، مطلوب روسيا في مؤتمر باريس الذي انعقد في سنة ١٨٥٤ وهذا الممثل العاقبة دولية لتأمين حرية المرور في قناة السويس . أعلن المنسوب الروسي في جلسة ٩ يولية سنة ١٨٨٥ بعد أن أشار إلى تضعيفات مصر الحسنة في مسهل تحقيق مطروح القصة : « إن الامتيازات التي حصلت عليها الشركة شامند عليل . ومع ذلك فإن الخطوط الكبرى الصارخة هي أن هذا العمل الضخم الذي يذري بما لا حده العلم أصبح ، قبل مصر وحدها هي الخامسة ^(١) فيه » .

وقد شغبت مصر عن جراء القصة وأثارت بطبع الدين ، وهي الآن (أي في سنة ١٨٩٩) تحتل مكانة تمثال لظالمها وميتها . . . وهذا هو السر في أن شوقي تجنب الإشارة إلى ذلك الاحتفال في عنوان القصيدة . ويرى شاعرنا أنه كان الأحرى بمصر أن تبرز بانباتها أولاً قبل الغرابة أسيرة بالشعوب الحية ولكن :

إذا للسداح فاز المحسنون بها فاز الكرام لدينا بالمذمات

وهنا وضع شاعرنا أصبعه في موطن البناء الدفين الذي ين منه مجتمعنا : عقل بناء وخلق هدام .
لما (القسم الثالث) والآخر فيتمنى هذه قوله :

مولاي مصر بنوحا اليوم في طوبى

هذا البيت فيفيض بالتمك المتربى مصر الذين يتعمون ويتساقون كؤوس المسرات بينا العالم يحيد . ويستغلون بالترهات وأقوال المتجمين من سياحة الدول المتربعة بها :

تساق الناس حتى لا قرار لهم

خافوا عليها وألهمهم قيامتها

انتقل الشاعر بعد ذلك في الأبيات الثلاثة الأخيرة إلى فلسفة الحياة :

أي الإقامة الدنيا وما كنا

كل يمتد حبال الفناء لنا

لا بد للنجم من يوم يزل به . وإن تناول أسباب السموات

(١) انظر كتاب (أسرار لعبة الدول في القارة ١٨٨٨) لهنري ميري .

ومن غضون هذه الفلسفة التي يرددها الشعراء منذ القدم نخرج لنا شوقي بيتاً رفيعاً ظاهره
حكمة وباطنه سياسة ، يشير فيه إلى المصير المحتوم لتلك الدول التي تتطاحن في شهبيل تقسيم
القارة الأفريقية واستعباد شعوبها والتي تقوم شركاتها ، وفي مقدمتها شركة القناة ، بمسح
شباكها حول المصالح الوطنية في طول البلاد وعرضها وبسط النفوذ الأجنبي ، وكأنما كان
شوقي يتنبأ لهذه الشركات والدولات بالمصير المحتوم :

كل عمدة حبال الفناء لنا والكل من بعدنا رهن الحبال

صورة ذهنية واسعة تمثل نهاية الصراع بين الإنسان والإنسان ، وبيننا وبين الدول التي كانت
تتألب وتسلط علينا جبروتها وطفوها .

مقتطفات من الشوقيات القديمة

تقديم الشوقيات

إلى مولانا أمير المؤمنين عبد الحميد الثاني

سلام الله لا أروحي سلامي	فكل تحية دون المقام
وعين من رسول الله ترى	وتحرس حامل الأمر الجسام
وتتجد مقلدة في الله يظلي	وتخلفها على أم نيام ^(١)
تقلب في ليال من خطوب	تركن المسلمين بلا سلام ^(٢)
ومن عجب قيامك في الليالي	وأنت الشمس في نظر الأنام
أحب خليفة الرحمن جهدي	وحب الله في حب الإمام
وأجعل عصره عنوان شعري	وحسن العقد يظهر في النظام
فإن نفت الموانع فيه حظي	فليس بفائت حظ الكلام
وقد يرعى الغمام الأرض أذنا	وأين الأرض من سمع الغمام

إلى ابن محمد

إلى (ابن محمد) أهدى كتابي	وقد يهدي القليل إلى الكريم ^(٣)
وما أهدى له إلا فؤادي	وما بين الفؤاد من الصميم
وغرس طفولتي وجنى شبابي	وما أوعيت من وحي قديم ^(٤)
وما حاولت من عصر عظيم	من الآداب للوطن العظيم ^(٥)
وكان (محمد) أوفى وأرعى	لهذا الدر من واعي البتيم ^(٦)
وإن الشعر ربحان الموالى	وراحة كل ذى ذوق سليم ^(٧)
وما شرب الملوك ولا استعادوا	كهذي الكأس من هذا النديم

(١) تتجدد : تعين . وتخلفها (الضمير عائد إلى عين الرسول) . يريد أن عين الرسول تجعل عين الخليفة مكانها
للمهرمل مصالح المسلمين والأمة النيام . . . (٢) تقلب (مبنى الجهول) يريد عين الخليفة .
(٣) ابن محمد هو الخديوي عباس بن محمد توفيق ولياً لعمه الشاعر . وقد كانت سنو حكمه قطعة سوداء في تاريخ
البلاد . (٤) أروحي الشعر والكلام إلهاء حفظه وجمعه . وأروحي الزاد والمتاع جمعه في الوعاء وجمعه فيه .
(٥) لهذا الموالى شعره ، والبتيم الميز البتيم . وحي الميز جمعه وحواه . (٦) الراحة ضد التعب ،
وتأتي بمعنى السرور .

المسرات

١ - قال يرثي خاله أحمد بك التجدي :

مازلت أسكب دمع عيني باكيما
حتى نظرت إلى الوجود بمقلة
فرايت دهرنا فاصبا شرك الردي
يرى بسهم طالما حاد الوري
فهم البلى وبنو البلى خلقوا له
خالى وما خالى على بعائد
ذهبت غشاوتها وطرف رائد
والكل يدخل في شرك الصائد
عنه وما هو عنهم بالحائد
وتوارثوه بائدا عن بائد

٢ - وقال يرثي الوزير عبد الرحمن رشدى باشا :

يقولون رشدى مات قلت صدقم
وركنى الذى لانايات أعدّه
وسعدى الذى خان الزمان وطالعى
أرشدى اقدعشت الذى عشت سيدا
ولم تال كتب العلم درسا ومطبا
وكنتم تحمل الفضل اسمى عملة
ولم تتخير ألف خل وصاحب
حببتك والدنيا تحبك كلها
وقست بك الأعيان حيا وميتا
ولو أن إنسانا من الموت يفندى
ومات صوابى يوم ذاك وآمالى
وذخرى فى الماضى وعوى على الحال
ونخرى إذا ألقى الرجال وإجلالى
ولم تك عبد الجاه والأمر والمال
ولم تك عنها فى الثمانين بالسالى
وتنزل أهل الفضل فى المتزل العالى
ولكن من تختاره الواحد الغالى
وزدتك حبا عندما كثر القالى
فوالله ما جاء القياس بأمثال
فديتك بالنفس النفيسة والآل

٣ - وأنشأ هذا التاريخ ليكتب على قبر شهيد الغربة فى طلب العلم مصطفى عاكف نجل

حسن باشا توفيق :

فى القبر أم فى فؤادى الواجب
آنست فى الترب خير والدة
فمن له بالحمام بعدكما
يا غربة فى العلوم ما طويت
ويا شبابا بدا له ثمر
عكفت يا ابنى ولم تزل عاكف
من حيث أوحشت والد الأهف
يلقاه لا كارها ولا خائف
إلا بسيف المنية الخاطف
ما كان غير الردى له قاطف

كثرة في الله شاكين له وصلنا نحو ظله الوارف
وأبدا دافيا وزعت في تم الخلد مصطفى عاكف
سنة ١٣١٥ (١٨٩٧)

٥ - وقال من قصيدة رثى بها قعيد المصطفى سليم بك تخلا مؤسس الأهرام وكان موته
في ١٢ أغسطس سنة ١٨٩٢ :

زاحته على الطريق جفول حسبت حكمة الإله بضاعة
واطمأنت إلى الرقاد ولكن لم تزد لها الرقاد إلا رقاعة

والواقع أن شوق كان يشير إلى نفسه في البيتين السابقين ، ومن خير ما قاله في هذا المعنى
يئان آخران من قصيدة نشرها (الوحيد) في ٢١ مايو سنة ١٨٩٦ وهي في الطبعة القديمة
من الشوقيات صفحة ١١٧ :

زاحمت كل أنى جهول وزاحنى كالبدو غالب فيما حاول الظلما
ولا حلى من زمانى مظهر كذب حتى ربيت على عبادة الصنما

٥ - وقال من رثاه المنفورة على جهور باشا يكن :

المزاء المزاء يا (صغير) انليب رفانت الفنى الليب النقى
حكم الله فى أميك وحكم ال له فى الخلق سابق مقضى
كلنا من بكى أباه وكل بعد حين مودع مبكى
فاية البؤس والنعم زوال لم يدم فى النعم والبؤس حى

٦ - وقال يرثى أمين فكرى باشا ويبرى فيه صديقه إسماعيل صبرى باشا « وكيل نظارة
الخطانية » :

يا أقرب الناس من أمين	واقعد الناس للثنين
خطبك هذا أجل عطف	نخذله الصبر باليمين
أملك فيه من قواد	بنوب ليلت والحزين
فقم بنا نندب المعالي	بفرحها اليوم فى الوتين
أيشل فكرى أيا حسين	يموت فى نضرة الستين
والناس فى طاميت إليه	والقطر يرجوه للشؤون
مؤمل الكل فى عذاب	ومرئىس الأهل والبتين

كذلك الموت كل يوم يبدى فنونا من الجنون
فلو علمت المتون شخصا لقلت لا عقل للنون

منسرفات

كم لنا من عجيبة على هذى البسيطة
أيم قد تنسيت ويلاد توليت
وبجار تمحوت من مكان لبقعة
ثم ثابت جزيرة عندها من جزيرة
أيها الأرض خيري عن شباب البسيطة
حديثنا حديثهم وصفي القوم وانقي
دول قد تصرمت دولة إنسر دولة
وقرون تلاحقت وعصور تقضت
ذهب الدهر كله بين يوم وليلة

من يرد حقه فالحق أنصا ر كثير يوفى الزمان كرام
لا توفى عومة الحق ليا غي فالحق هزة وأنتقام

قالب الأمر بالثوكل غالب وأطلب العون في جميع المطالب
رب أمر به تضيق المساعي لك منه إلى القضاء مذاهب

أرى دنيا ولا دنيا وناسا بئسهم ناس
سكاري نحن من كأس وموت هذه الكاس

وقال من قصيدة تهنت بشهر الصوم نشرت في (المؤبد) في ١٥ فبراير سنة ١٨٩٦
وهي في الشوقيات القديمة (ص ١١٨) :

محبك صاحبي منأ قلوب لعيرك ظهورها ولك الصميم
وترجو أن تبش لها قوس إذا تبق لها سبق النميم

عن الذات صامت لم يجادل فاما من هواك فلا تصوم^(١)

وقال :

قل لراج أن يسترق براعى أما لا اشتري بذات التاج قيذا
نومة السيف قد تكون حياة ورأيت اليراع إن نام أردى

البيان من قصيدة «تهنئة بشهر الصيام» نشرتها (الأهرام) في ١٨ مارس سنة ١٨٩٣، وهي في صفحة ٦٧ من الشوقيات القديمة، ومطالعها :

لحظها لحظها وريدا وريدا كم إلى كم تكيد للروح كيذا

وقد أعيد نشر الأبيات الغزلية الستة الأولى في الجزء الثاني من الشوقيات في باب النسب من ١٤٧. مع أن الأبيات عقيمة وهذه أشرفنا إليها في المقدمة. أما أبيات المديح التي أسقطها شوقي فهي من الشعر الجدير بالبقاء. وحسبها أنها تكشف عن ناحية عظيمة من شخصية شوقي مادم المملوك ومقرظهم : هي أعزازه بشخصيته ومكانته في مخاطبتهم على حد سوي. وقد لا يكتفى بذلك قصدي الصريح إلى ممدوحه، تحت ستار المديح، ولا يتردد في تفرمه على تقاعده من إغلاء شأن الملك الذي يستمد عظمته من عظمة البلاد وتختلط أبنته بأبنتها. ومن هنا صيحات شوقي للنهوض بالبلاد وحرراتها وطرد المحتل :

هذه مصر جامعا الدهر يسى	هو يا طالبا جفاها وصدا
ليس للدهر من وفاء ولكن	فاب فيها العباس أن يستبدا
صاحب النيل في البرية إبه	حزرد النيل للبرية وردا
وارفع الصوت إن مصرك حر	لن يرى من سماع صوتك بدا
إنما الملك أن تكون بلاد	وتصيب البلاد بالملك مجدا
فقول الذي سنت ونجح	لرحاياك في المعارف قصدا
ومن العلم أن يزود بلادا	مهندتها له الخلاقي مهدا
واقذح الكهرباء فيه تهدى	وأفهم على البخار لتندى
وأجل بأس الحديد فيها وجتد	عهد بناتها الذي كان عهدا
وأدع مودانها إليك يلي	إله كل للأعزة عبدا

(١) في الأصل المنشور في (المترد) وفي الديوان (هناك) بدلا من (هواك) وفي رواية عمون (هواك) بدلا من (هناك) ونحن فضل رواية أم تصحيح عمون لأنه يرفع البيت عن الخفض.

حسبه حسبه كفاه	ما يراه العزيز عظماء وجلدا
قل لراج أن يسترق براعى	أنا لا أشتري بهذا التاج قيدا
نومة السيف قد تكون حياة	ورأيت البراع إن نام أردى

ليست هذه لغة رجل البلاط « والمعية السنية » . هذه لغة شاعر لا يخشى قلبه المغامر حين يقول (هاب فيها العباس أن يستبدا) ويقول (وارفع الصوت إن عصرك حر) . . . وقد أنتقل إلى البيتين الأخيرين وثبا وأعلن « غير هباب » أن القلم وحرية القلم أعلى وأن من التاج والصولجان . وإن في قوله :

نومة السيف قد تكون حياة . ورأيت البراع إن نام أردى

لحكمة جليلة لا تقل شأننا عن أبلغ الحكم القديمة :

قال أبو تمام في السيف والقلم :

السيف أصدق إنباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب

وقال المتنبي :

المجد للسيف ليس المجد للقلم حتى رجعت وأقلامى قوائلى

ولكن ابن الرومي يقول :

إن يخدم القلم السيف الذى خضعت	له الرقاب ودانت خوفه الأمم
فالموت . والموت لا شيء يعادله	ما زال يتبع ما يحرى به القلم
كذا قضى الله فى الأقلام إذ برئت	أن السيوف لها مذ أدهفت خدم
وأرى أن شوق أسى تفكيرا وأقوى بيانا من أولئك جميعا .	

بضعة أيتام في عاصمة الإسلام

هبت الفلك باسم الله . وعلى هذه وفي هذه . كأنها الصبح إذا ماد . وكانت في مرماها
كالصخر بالواد . فبذلك الزمان يمشي . وهي تقول بمن عليها . حتى استدبرت الميناء .
واستقبلت الدائم . فاندفعت قسبي من الماء . كأنها بين الأبيض والزرقاء . هلال الشك
تلوح المياه . أو وجاء على بيضاء . أو برافة بأرض عراء . تغلب الثرى عن غذاء . أو كأن
الأمواج جنازة هي فيها الآلة الجديدة .

وكان الوقت محموا . وفضاء البحر زهوا . والسفر لحوا ولعيا . لحينا ذهبنا نضي التيار .
وعبر (البخار) . وألفم الله بين الماء والنار . نسير في لجة . لا ساكنة ولا مرتجة . تتلا
رونقا وبهجة . ولدى فضاء مانج بالأصيل وضاء . فقد توحد أديمه الأزرق . وتمهد من
كل الجهات وتأنق . كأنه حوض من زئبق . أو بساط من استبرق . أو معادن المسجد .
اختلط بها الزرجد . أو زرع تأخذه الفلك كالخضد .

والماء يمدق من كل الجهات بنا	ويسط الأفق للأبصار فالأفقا
إذا تأملته والفلك تمبره	بذلك البحر منسدا وما انفلقا
فذلك تسلك مهلا فيه منسطا	والعين تنفذ من آفاقه حلقا
كأنما للفلك فيه أينما ذهبت	إنسان أحول عين حير الحدقا

إلى أن جيل بين الشمس والنهار . وحكم فيها الواحد القهار . فشهدنا مصرعها وهي
تختصر . عتيقة المنحدر . كأنها قطعة من منقر . مست الماء فاستمر . أو جرن على مزرفة .
تتهمة النار صمرة . أو جناح ملك . سقط من الفلك . فاحتواه البحر كالشرك . أو منطاد
يحرق . لا يمسكه إلا زورق . الزورق في الماء مفرق . وهناك خاشن البحر بعدما ألان .

(١) لوح الشيب فلا يمشي . (٢) الرضاء النافذة الشديدة . والأوجين : العظيم الوجنات .

(٣) الخصد كثير المنجل الذي يجره الزورق .

ودعم الظلام من كل مكان . فكان البحر بحران . وكان الليل ليلان . وإذا نحن بموج
كالغضاب . لكنه متنقل وثاب . أو كالإبل الصباب . أو كالآساد الغضاب . أو كالقيلة
ماج بها الغاب . فكنت ترى المطية تدافع العيب . هوجاء الطيب . شديدة الصعد
والصعب . يأتى بها الموج ويذهب . ويهتد البحر وتلعب . ترقص على قعر الريح . بطار
الفضاء الفسيح . فاستبق الرثاب الخادع . يجتمعون فى المضاجع . وتختلف أنا فى زاوية
فوق سطح الجارية . حتى إذا خلت لى الناحية . شرعت أبالغ للبحر فى الخطاب . وأتلف
له فى العتاب فقلت :

« أيهذا الأبيض الزاهر . لحد الأوائل ومهد الأواخر . ودائرة المآثر . وحلقة المفارح .
وعلم معالم العلم الدائر . وروض الأدب الزاهر . من الزمن الغابر . وواعى يتم الفكر والخواطر .
وكافل بنات الشعر للشاعر . ومهبط النوافيس الأول والمناثر . وموطن الحضارات الخالى
منها والحاضر . أين قعر طيس عروس البحار . أين الإسكندرية ذات المنار . أين أيننا منبر
الخطباء الكبار . وموضع إنشاد الأشعار . وأول مرجع وضع للتمثيل فى هذه الدار . أين
صور وصيदा وما أخرجناه من ثمار . واتسعتنا من استعمار . رفع الكل شرارك من قبل لا قبله
ولا بحار . وكنت وكانوا أول من مثن الأمصار . وحمل النور إلى سائر الأقطار . بمالك
منبة . ودول ربيعة . وأم إلى داعى المجد سريعة . يقول فيها أفلاطون « نحن حيال هذه
البحيرة كالضفدع حيال المستنقع » . فليت يرد إلى الحياة لينظر فيرى كيف انقسموا ففريق
صليبيون . وآخرون أوبيون . وهذا عربى لا ينبغي لسواه أن يسود . وهذا رومى لم يخلق
إلا له الوجود . وهؤلاء أصحاب الفاسفة الأولى فهم أولى بالتقديم . وضيعم له فى وضع
العلوم البد الطولى فإنه يرجع الطولى من قديم . أقوال فاهية . ودعاوى كاذبة . ملوك وجدوك
وخيصا فباخوا . وأضاعوك وأى قى أضاعوا . فترلت عن عرش ملكك وسلطانك . وهبطت
من هالة عزك والملك . تصبغ مطية الراكبين . وتمسى فطرة الذاهبين والآيين . تجعل
للغرباء الأحمال . كأنك بنلة الأفعال . فسبحان المغير من حال إلى حال . ومن بيده
الإعزاز والإذلال . ومن ملكه الملك لا يعتريه اضمحلال . ولا يرق إليه زوال » .

وبينا أنا أنهب كل مذهب من الشكوى . وانتقل فى السر إلى النجوى . اعتقل
النوم لسانى . وأخذ الكرى بماقد أجفانى فما اتبعت إلا على قتل أقدام . وحركة إنسان

يدلف إليه في الظلام فرأيت شبح وجل شيخ هم^(٢) . ينجو إلى المساة أو يستم . عليه رداء .
يلفه كالثياب^(٣) . وهو مهيب في الخفاء . كأنه من كهنة المصريين القدماء . وقد اقترب مني .
يفتش الظلام عني . فقلت في نفسي مسكين الشيخ أخرج البحر بدائه . وأخرجه يتداوى
من مائه جهاته . فبلى وله أزمده في عنائه . وأتعب النفس بسدائه . ثم عاودني النوم
فكنت لكني ما هومت^(٤) . حتى استيقظت بحال شر حال . وما أيقظني إلا صوت عال .
قد دوى صده في موج كالجبال . وإذا هو الشيخ يومئ بالأصبع . إلى الرياح الأربع .
ويشير بوجهه نحو السماء . ويضرب الفلك بقدمه فتشقق ويخرج منها الماء . وهو يقول .

(المؤيد) في ٢٨ أغسطس سنة ١٨٩٩

٧

” يارب أقصري إقصارا . ولو كنت إقصارا . ويا ماء دن للانسان . ولو كنت
الطوفان “ . فكان ما أمر الشيخ أن يكون . واشتمل عالم الماء بالسكون . فدهشت لما رأيت
وسمعت . فنت إلى الشيخ فقلت أيها الإنسان المجازي . والزائر الروحاني . من أنت وفيما جئت لعلك
طائف المنون . أو صائد الطاعون . أم أنت نوح وهذا الفلك المشحون . أم تراك
الخصر أم أنت الدهر . أم ما يزعمون من سلطان البحر . وما هذا الموقف النكر . والنظر
الشر . وما لك عندي وطرفتنا لي بضر . وهيات أن تضرنى أو يأذن الله . إنه لا ضار إلاه .
الشيخ — ما هذا القزع . وم يا ابن مصر الخزع . ألسنت في ارتقابي . ولم تدعني بأسمائي
وألقابي . سميتني بصفتي . ووصفتني بسماي^(١) . وذكرتني شبيبة خالية . وذرية غالية . وكلمة
كانت ولا تزال عالية . فقد زعمتني خلعت ملكي العظيم . وجردت من عزى القديم . وسلبت
كل نعمة وأى نعم . وثاقه ما هنت ولكن هنت أنت وقومك . ولا تحالف أمسى ويومى
ولكن تشكر يومك . وإنما قد شاطئ وقام شاطئ . وهان جانب . وعز جانب . وفسد
بنون . وصلح بنون . وشقى أقوام وسعد آخرون . فما هومير بأعلى من هوجو مكانه . ولا زمان
لسابق في المجد زمانه . وأين أبقراط وإن حاز بسبق تفضيلا . ورتلت الأعصر ذكره ترتيلا

(١) دلف الشيخ والمقيد : متى مشيا قارب الخطو وقيل متى مشيا فوق الديب كما تدلف الكنية نحو الكنية
في الحرب . (٢) وجل هم يفتح الماء أى ذومة وبالكسر الشيخ القاني . (٣) الثياب بالفتح : ثوب
لبس ثوب الثياب . وبالكسر المقدار . (٤) هومت : هوم : فاما قليلا . (٥) الخصر من أنبيا .
بنو إسرائيل . قيل إنه الذى يمضى عليه السلام بجميع البحرين . (٦) السمة العلامة .

من يستور منار الطريقة . ومخرج الطب من ظلمات الريب إلى نور الحقيقة . وما رأيت مراح
أثينا وإن جلت مثل سارابرنا حين تبكى الطفل الناعم . وتضحك الشكّل الواجم . وتعتل
فيجزع الطبيب . ثم تصح صيحة لا تريب . وتسبب ثم تسب من بعد المشيب . ثم تموت ثم
تحيا في أمد قريب . من للاسكندر أسد الحروب الهائم . وأخذ العظام بالعزائم . أن
يقاس بنابليون قاهر ملوك الزمان . وطاعن الجيوش بالرأى قبل تطاعن الأقران . وكل
هؤلاء إلى أبناء . وأنا بهم أسعد الآباء . وجهى أبيض وعمر نيفى في السماء (قلت) الآن اطمأن
قلبي . وردّ على لبي . فيا مرحبا بسيد الزوار . وأهلا وسهلا بأمير البحار . وإن يكن أزعجني
من مرقدى . وأطار سكتتي من يدي . فلو علمت بأنك قريب تدعى فتجيب . ما عرضت
نفسى لهول هذا المقام . ولا بعث ذهب السكوت بفضة الكلام .

الشيخ — وأنا يشهد الله ما علمت أنك تنطق سدى . ولا تنفذ على العواقب المدى .
وأنت كالطفل يدعوه أمه للعبة ولغير اللعبة . ويخرجها من الصلاة بأدمعه المستهلات^(١) . ثم
ينصرف عنها بعد ذلك لا هيا . كأن لم يجاذبها الثوب شاكيا باكيا . ما نقلت نحوه القدم
ولا حقلت لك بوجود ولا عدم (قلت) ما بال الشيخ يبالغ في الكلام . ويبلغ في الملام إلى
الإيلام . كأنه القيصر وأنا قد مزقت منشور السلام . أو أنه إديسون قد عطله معمله
لأجل بضعة أيام .

الشيخ — ويحك يا ابن مصر قد كان لي غنى عن أن أعرفك من أنا . فأين من
ذكرت . ممن ازدريت واحتقرت . إن له مائة قرن لا سنة . لم يحزه مضجع ولم تأخذه
سنة . يمر نهاره بالشواطئ مرا . ويتمهدا بالليل برا فبرا . يخبر أحواله جيرانه . وينظر
في أعماله سكانه . يوكل إحدى مقلتيه بالبر . ويلحظ بالأنهرى أحوال البحر . وما القيصر
بالأمر القوى . ولا منشوره بالنافذ المرعى . ما دامت هذه الأعلام . تخفق فوق هذى
الجوارى المنشآت في البحر كالأعلام . وما بقى هذا اللج بروج وبرج . وما أقام هذا الساحل
يخرج نباته . ويقوت الأنعام أقواته . وليس إديسون بالقادر على كهربائه . ولا الآمن فيها
على أشيائه . ما دامت أنا الطريق . والقرار السحيق . فوق الأفلاك . وتحق الأسلاك . إن
شدت سلبت . وإذا شئت أوجدت . تيارى هو الأعلى . وما دق لا تفسد ولا تبلى . هذا
من أهنت . فمن أنت . يامن نخاره بغير قومه . واستشهاده بأمره لا يومه . وليس هو

في ههنا الحيلة إلا كالمضلعين يركب الرولية يوزن الناس في ثياب لم يصنعها . وعلى مطبة لم يصنعها . يركبها إلى أجل . ويردعها على عجل . ثم يزعم أنه السيد الأجل . وأنه يحسن ضرب الأمثال . ويزن مقادير الرجال .

ثم أمسك الشيخ مقصبا . وداع عابسا مقصبا . فخطبت أن ينقلب عجبيا . وما أخذت منه . ما أحفظ عنه . فخطبت الذين في حدة . أتق بها ما في طباعه من حدة . وأستدفع ما في طبعته من شدة قلت .

(صائح)

(الترجمة) في ٢٥ أغسطس سنة ١٨٩٩

٣

ماذا فيريد البحار . على وجه الطالع البار . والخبر عنه كريم المقالة . حليم عن الجمالة . هاد من الضلالة . صفوح عن الزلات . يلتمس للمفترقات . ويتجاوز عن المفوات .

(الشيخ) — قد كان ذلك يأتي لما كان العقل آية الناس . والإنصاف سمة الكل في الأجاس . واليوم تقع أمور أرباب . ولا سلطان في حل مجراها . تكاد تفسد على أخلاق . وركاد شهيدا يأخذني بخناق . وما يزيد الحيلة أتق راع مسئول من الرعية . أدبر الأمر جليله وحقيقه . ولا تخفى على صغيرة ولا كبيرة . كأنني من هذا البحر في فلك . أو كافي عبد الحميد في الملك (قلت) : لقد خلقت يا مولاي مدو البطالة . أجدها مزرية مفقرة قتالة . وأرى صاحبها ميت الأسياء . لا جاء له وإن حكم في الأمراء . ولا مال وإن اتهم إليه الثراء . ولا علم وإن انكشف له النطاء . وأطلع على أسرار الأرض والسما . وتعلم أن أيام الحجر طويلة . وأنها شديدة على النفس ثقيلة . لا حول للسافر فيها ولا حيلة . فلواستصحبتي معك . أو أذمت لي أن أتبعك . لعل أرفع بخديمتك . وانتفع بمحبتك . فأقيم الدهر على شكران نعمتك .

(الشيخ) — على أن تلزم الصبر . ولا تكون ممي ما كان موسى مع الخضر (قلت) :

وأنت لا تكن ممي ما كان النبي مع المصري . غريب المنصب سريرا إلى الدم الزكي . فتبسم الشيخ ضاحكا ثم (قال) : الآن تظهر كأنك قادم على الكون . فإن لي رعية كاسية عاملة دابة . أشفق عليها من غبار الكسل . أن تخشى به فتنتع عن العمل . إذ سرعان ما يدب ديبسه . ويعدى مكرهه . وتتفام خطوبه (قلت) الأمر لمولاي فلي نظر ماذا يأمر (قال) كن مع القوم بشجك وجهاك . وكن مع هؤلاءك ولسانك . وانغمس في هذا الماء .

وليكن رأسك فيه ورجلاك إلى السماء (قلت) أما للشيخ عن هذا المقترح . فإنه مردود مطرح . إذا ما أنا من الأسماك . ولا أظن بنفسى الرغبة في الهلاك . خصوصاً ونحن الآن نسير في بلجة (أزمير) . وهم يقولون إن الحيتان فيها كثير . فلا آمن إحداها أن تغرقها فاهم فلتهم المسامة وما تراها .

(الشيخ) - قالوا إن سوء الظن من أقوى الفطن . لكنه لا يكون في الكبيرة والصغيرة . ولا يستعمل في المواقف الخطيرة . فإنه حينئذ يكون آفة الإقدام وحيلولة دون بلوغ المرام . وأنا لا أجد ما يملكك عليه . ولا أرى من داع - يلجئك إليه . ألم أقل لك إنى معك . أضرب نفسى لأفعلك . وأعصمك إلا من أمر الله . وأقربك إلا ما قدره وقضاه . فقلت في نفسى وما يدرينى . أنه قدر حينى . لكننى لم أجد بداً من التسليم والسكوت . فتلوت (وما تدرى نفس بأى أرض تموت) أبقرار البحر أم بطن الحوت . ثم اضمضت جفونى من قسما . وتمجودت أعضائى من حسما . فسقطت في الماء . كمن به إغماء . وما هو إلا أن فتحت عيني . أنظر هل فارقنى نفسى أم نفسى لى . حتى رأيت الحج . تنفج لى فالح . وأنا أفقد التيار . على القرار . فينتجى لى الصخر . وتفسح لى السباع فى البحر . إلى أن مررنا بشبح جسام مائل . كأنه البرج المسائل . قد انخذت السمك فيه البيوت . واقتلت على أطرافه فى طلب القوت . وهو يحرك ثقل الحركات . شبه الكائن الحى ولا حياة . فحسبت مما رأيت . والتفت إلى الشيخ فسالت . لمن جنة بلا حراك . تقتل عليها الأسماك . وما هذا الحيوان . وما باله قد حمل عليه الموان . وهو لو قلب لتهر وقلب . ولو ضرب بالذنب . لأورد هذه العصب موارد العطب .

(الشيخ) - هذه بابنى الحوت الكسلانة . تصبح فى الذل وتمشى فى المهانة . ما زال الكسل بها حتى أكلت شعماً . وتوشك أن تلحق به لحماً وعظمها . أنتنا فائزة من مياه الصين . لكثرة ما تختلف عليها السفين . فى هذا الحين . وظلم الله لولا أنها بغضة إلى الخالق . وأن كاره السعى يكرهه الرازق . لأدقها لباس الأمان . ولأجرتها من هذه الديدان . لكننى أخاف على رعتى منها . فلا أنود جنودى عنها . وما هى بين حيوان البحر . إلا كالصينيين إنسان البر . وما أصدق روشفور حيث يقول : « لو خرجت أمة الصين . وفى يد كل واحد منهم خلق من طين . لردموا أوروبا والأوربيين » قلت . (سأخ)

صدق رؤسوفور وما صدق إذ من أين صبح الغلق . لألم خلق الله وما خلق . كالتمل
لكن التمل تحسب القند حساباً . وكالحصى لكن في الحصى مقاومة وصلابة . والمصريا مولاي
عصر طم وعمل . ومسى وأمل . الأمر فيه العدد لا للعدد . والنهى للحديد لا للبطل .
للمدم ومكسيم . لا للجيش العظيم . والنصر كما قال الوزير الألماني معقود بحذق الكياوى .
والدنيا لمن قلب . لا لمن طلب . والملك بيد الله من شاء أعطى ومن شاء سلب .

(الشيخ) - سبحان ربي . قتل الباس الرجال . حتى بيعوا بيع النعال . هذه يا بنى
مناذير مكسأل . وتعلات تنال . وأحوال يراد بها الإضلال . ويهيب بأمثاله الأطفال .
لا تهمرى بها الألفاظ إلا في بلادكم . وما أعظم ما تنجي عواقبها على أولادكم . تلدونهم للباس
فيأشؤم ما تلدون . وتنشؤونهم في خوف النمل فهم في الذل خالدون . المصريا بنى إباء
وامتظام . وروح وإقدام . وحرب خلف منار السلام . النصر فيها لمن استقام . ثم سعى
ليدرك المرام . مصر نازل المزيه الأسد . وبرز الأهرل الأحد . إلى العديد والعدد .
وقالت الضفادع الحيتان . وامطلم الفخار بالصوان . كل ذلك في سنين معدودات .
وحقب متعاقبات . قهرمون إجماله في التفراقت . وتجذون تفصيله في الصحف السيارات .
لكنكم بإزائه كالطفل تشجوه الحكايات . ولا يهتدى لما فيها من الرموز والإشارات .
أو كالمقبلين على سيرة عثرة . فريق يتضرل للترسفال وفريق مع انكثرة . إذا استقلت اليونان .
قلم حرونها الدول ذات الشان . وإذا ذهبت كريد قلم لأن أهلها نصارى . ولأن لهم من
المجموع الأوروبي أنصارا . وإذا مدت أيرلندا إلى الله يدا . قلم لن تغلت من مغالب الأسد
أبدا . وإذا استقلت الترسفال . في طلب الاستقلال . قلم زلة يأتيها الرئيس . ولا كولة
إبليس . يخطون الجدد والمجون . ويخطون في الظنون . ناسين أنفسا قتل . وأموالا بذلت
وطمأنينة سلبت . وخطوبا قالت . وحوادث شئت . إلى أن ساعفت المقادير الآمل .
ووضعت العناية يدها في يد العامل . فكم من ضعيف كان الله نصيره . وكم من فئة قليلة
غلبت فئة كبيرة .

(قلت) — لقد ذكرني القاهرة والأحاديث فيها . كأنك تجلس على قهاويها . وتلعب البوكر في نواديها . تخفى باقه مما أنا فاز منه . لو لم يفتح الحديث بعضه بعضا ما سألتك عنه . وكأقد بلغنا إلى القرار فنظرت وإذا أنا بملايين من السفين بين سافل ومال . وعاطل وحال . وجديد وبال . ومنها الفخام والضئال . والحفاف والثقال . بعضها فوق بعض فالتفت إلى الشيخ وسألته لمن يا مولاي هذه الأساطيل . إني أخالك الملكة وهذا هو اليوبيل . وما بالك تبلى سفينة . وتجزأ أخرى على البلى . وتمطل واحدة . وتبقى على أختها الحلى .

(الشيخ) — نالقه تفتأ تضرب الأمثال . وتذهب كل مذهب من الخيال . هلا تركت الملكة ويوبيلها . وبجارها وأساطيلها . ونظرت إلى سفن الإسكندر . عند جوارى قيصر . يلين أسطول بجنتصر . لمشآت سليمان . مشحونة بالؤلؤ والمرجان . بليت الجبال وفنيت الأجيال . وهى باقية لا تزال . تضحك من غرور الرجال . وتبكي من خشية الملك المتعال . ما كان منها هالكا فبظلم أهله . وما كان منها حافظا لشكله . باقيا على أصله . فلا بن داود يدل على فضله . ويشهد على الأمد بتقواه وعدله . وها أنا أعرضها عليك جمعاء . لتختار منها ما نصعد عليه إلى الماء . ونركب فيه إلى حيث نشاء (فقلت) :

(سأفح)

(المزيد) في ٦ سبتمبر سنة ١٨٩٩

٥

سبحانك اللهم خير المنعمين . من أنا حتى أحكم في أساطيل الأولين . وارث سليمان والإسكندر والملوك المتقدمين . ثم حرت في نفسي ماذا أختار . وجدير أنى أختار . وخشيت إن أنا قبلت السفائن . عن ذات الكنوز والخزائن . والمرأى الفاتن . والرواء الزائن . وأخذتها يفتى في البحر . كأنى أحد ملوك العصر . أن تبصر بها غول أوربية . فتفتالها ولو كانت أبة . فاقتربت من فلك خفيف الوزن . قليل الشأن . ضائع بين السفن ثم قلت للشيخ قد اخترت يا مولاي هذه الجارية . فهل تراها كافية . (الشيخ) — تعالى يا (بلفرون) . حدثنا عن المنفى الميمون — ماذا كشفت من حال . وعلام هذا السؤال (قلت) — أخاف يا مولاي أن يهتدى الإنكليز إليها . أو يرانا الفرنسيون عليها . فتقوم قيامة الدولتين بسببها . ونجدد كلنا الأمنين في طلبها . ويصبح دريفوس آتئين . وتعاد فشوده مرتين . فضحك الشيخ من هذه المبالغة في الحذار و (قال) مضى يا بنى زمن فيه (تصرت الأشراف من

أجل لطفة^(١) وقالت امرأة^(٢) (وامتنصاه) بجمع المعتصم بهمته^(٣) . وأضاق بها ذرع الأرض من أجل هذه الكلمة . وأخذت الحرب على^(٤) (بكر) وجارتها . من أجل^(٥) (عجوز) وناقها . وتضافت أساطيل الفرنسيين والإنكليز . على عهد لويز . من أجل سفينة لم ترفع الأعلام

(١) جبة بن الأيسم (٥٠ - ٥٢٠) من آل جبة الذين يجرعون من اليمن وملكوا الشام . وأولم الحارث ابن عمرو وكان جبة أكرم . وهو الذي تضرع في أيام عمر بن الخطاب بعد أن كان قد أقبل إلى عمرو أسلم . وذلك أنه كان في الطواف فحس رجل طرف يدائه فقلعه جبة فألقى الرجل سيدها عمر فطلب جبة ليقبدهم فتضرع جبة ولحق به رجل صاحب القسطنطينية فأقلعه هراقل الأمراة والضياع والرياح . ثم قدم جبة على ما كان منه وقال :

تضرعت الأعراف من أجل لطفة	وما كان فيها لو صبرت لها ضرر
تكفى منها بلاج ونخسوة	قيمت لها العين الضحيجة بالصور
فأليت أي لم تخلف ولينى	رجعت إلى القبول الذي قاله عمر
وبالينى أرمي القفاض بقفرة	وكننت أسيرا في ربيعة أو مضر
وباليت لي بالشام أدنى معيشة	أجالس قوس ذاهب السبع والبصر

(٢) لما كان نوفيل ملك الروم حوالي سنة ٥٢٢٣ هجر على بلاد المسلمين وتغورهم بجيوشه ويوقع بأهل ذبلة ومطلة وغيرها ويقتل الرجال ويسبي القرية والقضاء ، بلغ المعتصم أن امرأة هاشمية صاحبة وهي أسيرة في أيدي الروم ، وامتنصاه ، فأجابها وهو على سريرته : ليك . ليك . ثم نهض لساحته على رأس جيش كبير واجتاح ديار الروم وفراها في آسيا الصغرى ونجح حمورية . وكان يصعب أبو تمام الشاعر الذي نظم في ذلك الفتح قصيدته المشهورة (السيف أصلى أبناء من الكتب) . وفيها يقول :

ليت صوتا زبطوا هزفت له	كأس الكرى ورضاب الخزد العرب
أجبت مطنا بالسيف مضلنا	ولو أجبت بغير السيف لم تحجب
حتى تركت عمود الشرك مقعرا	ولم تسترح على الأوتاد والطنب

(٣) الهبة (بضم الباء وسكون الهاء) : الشجاع الذي يستبهم على أقرانه ما شاء . ج بهم (بضم الباء وفتح الهاء) .
(٤) إشارة إلى حرب البسوس وهي حرب بكر وطلب ابن وائل . لم تجتمع بعد كلها إلا على ثلاثة رهط من رؤساء العرب وهم عامر وبيعة وكليب . والآخر هو الذي يقال فيه أحسن من كليب وأقل . وقاد بعدا كلها يوم نزارى ففرض جموع اليمن ومنهم ما جئتم طيه بعد كلها وبعثوا له قسم الملك وتاجه وملاحه . ثم دخله زهو شديد وبقي على قومه . وكانت بنو شيان وبنو شيان في دار واحدة بتهامة . وكان كليب بن وائل قد تزوج جليبة بنت مرة بن ذهل بن شيان وأخوها جساس بن مرة . وكانت البسوس بنت مقذ التميمية خالة جساس بن مرة . وكانت نازلة في بني شيان مجاورة لجساس . وكان لما ذلة يقال لها سراب ولهذا تقول العرب أشام من سراب وأشام من البسوس . فمرت ليل لكليب سراب فاة البسوس وهي مقفولة فقتل بينها جوار جساس بن مرة . فلما رأت سراب الإبل نازعت عقلاها حتى قطعته وتبعته الإبل واخطلت بها حتى انتهت إلى كليب وهو على الحوض معه قوس وكناة . فلما رآها أنكرها فاشتد عليها بهم فخرم ضرعها ففترت الناقة وهي ترغو . فلما رأتها البسوس فذفت نهارها عن رأسها وماحت واذلاء واجاراه وخربت فأحس جساس فركب فرما له وتبعه عمرو بن الحرث بن ذهل بن شيان حتى دخل على كليب الحى فقلعه جساس فقصم صلبه فوقع كليب وهو يقصص بريحه . فلما قتل كليب لم تحط بنو شيان حتى نزلوا بما . يقال له المنهى . وتشر المهلهل أخو كليب واسمه هدى بن ربيعة واستعد لحرب بكر . وكانت حربا طويلة ذات أهوال أشبه بالحروب التي كانت تذكى بين المدن اليونانية فنشر الحن والقن وتشتق البلاد والعباد .

(٥) يوجد في فرنسا ثمانية عشر ملكا باسم لويز من الأول إلى الثامن عشر . ولا أدري أيهم يقصد شاعرنا .

للتحية والسلام . ولم تقابل راية الملك بالإكرام . وهذا يابى زمن تاجر . لا يهيمه فلك دائر .
 ولا يهيمه ملك غابر . باب الحق فيه مبهم . ودينار الشرف عند يديه درهم . فكأنهم القرصان .
 فى كل مكان . غزوههم غارة . وحربهم تجارة . وربهم غير الأصفر الزنان خسارة . من
 استند إليهم فقد استنم إلى جدار مائل . ومن اعتمد دون النفس طيهم فـ آمن الحبال .
 ولا سكن الرجاء إلى ظل زائل . طقم بهم الآمال . آمال المصاب بالسلال . كلما أعضل
 الداء . وعز الدواء . جذبه الرجاء . وتمثل له الشفاء . أمراؤكم عليهم متهاقون . وسراكم
 إليهم متلفتون . وشبانكم بهم مفتونون . يحرم غنيكم فقيركم . ويعطيهم بكتا الدين .
 ويغفل كبيركم صغيركم . ومؤاساتهم عليه دين . من مشى منكم مع قبعة فكان أبا بكر معه .
 ومن تكلم لهم بلسان . فكانما جاء بقرآن . ومن شاركهم منكم فى رئاسة . زعم الذل من
 حسن السياسة . وحسب احتمال الموان زيادة فى الكياسة . فنصيبيكم من معالى الأمور .
 فى نظر الجمهور . ما لمسوى البطارقة فوق كراسيهم فى القبور . وهيات . تجردتم أحياء من
 الرئاسات . وما نزل البطارقة عن عروشهم وهم أموات . فإن كان لكم عند القوم جزاء
 فالسخرية والاستهزاء . أو مكافأة فالاحتقار والمجافاة . أو قيمة معلومة . فقيمة الأمة المملوكة
 المحكومة . فادرك يابى التى وقع عليها اختيارك . ولا تخف فأت جارا لله وأنا جارك .
 ثم أوما فأغضت الجفون واحتوتى (بقرون) فما انتهت إلا وقد صارت السفلى هى العليا
 وردت إلى الآخرة إلى الدنيا فقلت سبحانك اللهم الملك لك . ولا حول ولا قوة إلا بك .
 أعطيت الشيخ مالم تعط سليمان . ووهبت لى مالم تهب للهدد فى الزمان . أين أمسى من
 يومى . وهل نالما سوى من قومي . وهناك ألفت الشيخ إلى و (قال) الآن يقترح
 ابن مصر . وما عليه من إصر^(١) . (قلت) إن لى نفسا مولعة بالحديد . متطلعة إلى المزيد .
 من كل شئ مفيد . وليست إسبانيا بالقاصية فلو أمر الشيخ بالجارية . بغات ساحلها
 رامية . لعل أرى كيف تقضتها الحرب من الأسس . وانظر كيف لحقت إسبانيا
 بالأندلس (قال) :

(سائح)

ما أعجل المصري إلى تناول ما لا يشفيه . وما أسرعه إلى الدخول فيما لا يعنيه . يستهزئ
بالكثرة . ويستتر من الصغيرة . ويهمل القبة . ويهمل الحبة .^(١) ويقدم المهم على الأهم .
ويشتغل عن الأخص بالأهم . ولا ينظر إلى الحريق في داره . وينظر إلى شعاع الشمس
المنعكس على الزجاج في بيت جاره . ولا يهجم الدنيا كيف زالت . ولا الحال كيف حالت .
ولا المصائب كيف انتهت . ولا الخطوب كيف جلت وهالت . ويلفته ويهزه . ويشيره
ويغزه . خبر في روتر من الرئس كروجر . أو نبأ في هافاس عن القضية في فرنسا .
أو الروسية في الصين . أو أمريكيا في فلبين . فما لك ولأسبانيا تنظر لحالها . وتهتم بمآلها .
ولست من رجالها . ولا لك عيش في ظلالها . فقلت في نفسي اللهم صبرا جميلا . وحلما
صريضا طويلا . فلما قامت الحال . حل بهذا المتوال . فبينى وبين الشيخ أخذ ورد .
وخلاف متحد . وشعب مسند . ثم (قلت) الشيخ إن كان يامولاي ولا بد فإنما المؤمنون
إخوة . وإنما بعضهم لبعض أسوة . والمسلمين من أفريقيا شمالها . فلو أشهدتني الجزائر
كيف حالها . وأريتني تونس كيف احتلالها . وخبرتني عن طرابلس ما مالها . ونبأتني عن
مراكش أياها زوالها .

(الشيخ) — هذا أعجب من تلك . تكاد وأيم الله تضحك منها الفلك . ويحك متى
اهتم غريق بمبتل . أو سأل ميت عن معتل . وهل يغني محزون عن محزون . أم هل يؤدي
مفلس عن مديون . فلا تطب يابى واستطب .^(٢) وأبدأ بنفسك ثم بمن تحب . وأعلم بأنك
إذا صلحت صلحت الأقوام . وإذا فسدت فالفساد عام . وأن مثل الإسلام فيما ينتابه
من المصائب والآلام . ويتوالى عليه من الخطوب الجسام . كمثل الجسم في حالة المرض
يضعف الجسد المصاب بمقاومة مسائر الأجزاء . ويستمد العضو السقيم بما يكون من قوة
في باقي الأعضاء . (قلت) : صدقت يامولاي لو صادفت أذنا سامعة . لكني من
الذين يقولون (بالجامعة)^(٤) .

(١) يتذر : يهاجل . (٢) الشعب (بالكسر) الطريق في الجبل و — الناحية .

(٣) طب : عاج . واستطب لدائه : استوصف الدواء أي يصلح لدائه .

(٤) لعله يشير إلى الجامعة الإسلامية .

(١) (الشيخ) — أغير الكتاب جامعة يابى . أم دون السنة تبين للرشد من النفى . فإذا نشأ صغاركم فى حفظهما . وازدجر بكاركم بقوارع وعظهما . ونفضم الأيدى من النفاق . وتحليم بمكارم الأخلاق . وسرتم على نهج الأمة الغربية . فى المعاملات الأدبية . تعظمون الرجل العظيم . وتكرمون المحسن الكريم . وتختصون المستحقين بالتقديم . وتحقرون عالما لا يبرر أعماله . وتنبذون غنيا يحبس عن البر ماله . وتلعنون الحاكم الكسلان . كما تلعن الملائكة الشيطان . كنتم أجمع لشمس الإسلام فى هذا المقام منكم فى تلك الدماوى والأوهام . وإلا فتلتم فى حكم المسلمين . ورقنكم لإخوانكم فى الدين .

كدجاجة حضنت لأخرى بيضا . تحنو عليه ويبضا فى النار
أو ذات محل أرضعت تمثاله . وصغيرها فى قبضة الجزار
وفى هذه الهنيئة مرت بنا بارجة . داخلة فى المساء خارجة . كأنها حوت هائجة . فلم أدر إلا بالشيخ قد خف واستقبلها . ثم قال : يدعوا لها " يايدى كوفى زمامها . وياريح كوفى وراها . ولا تكونى أمامها . إنما رسول العدالة فى البحار . وسفير الحق العالى المنار " . فالتفت إلى الشيخ وسألته لمن يامولاي هذه الباخرة . وما يعطفك على هذه الماخرة . (الشيخ) — لامة بالعدل قامت وبه تقوم . ولا ينأى لها مجموع وبينها فرد مظلوم . ظنت بقضائها الجور فى الحكم . واتهمتهم بالانحياز إلى الظلم . فانتفضت نساء ورجالا . وهبت شيوخا وأطفالا . تطلب إزالة الشك والأوهام . وتريد أن يتبين النور من الظلام . وهذه السفينة تنقل اليهودى من منفاه . إلى حيث يرفع عنه العقاب أو يوفاه (قلت) لملك تشير

(١) الكتاب : القرآن . (٢) الخوت : السمكة الكبيرة .

(٣) المسألة الدريفسوية : كان لقضية دريفس دوى فى سياسة فرنسا الداخلية وفى أوساط الشعب الفرنسى الذى تار بكار كتابه انتصارا للعدالة التى انتهكت . دريفس صابط فرنسى حوكم بتهمة الخيانة بسبب كتاب بلا تاريخ ولا إمضاء إلى أحد العملاء الأجانب يشتمل على أسرار حربية . وقد علمت به وزارة الحربية فى سبتمبر سنة ٩٤ وفى ٢٢ ديسمبر أصبتر مجلس عسكرى حكاه على دريفس بالنفى إلى إحدى الجزر النائية وتجر يده من رتبة العسكرية . ولكن المتهم ظل محتج على إدانته ويطالب بإعادة النظر فى القضية حتى يقض الله له . فى سنة ١٨٩٧ أحد أعضاء مجلس الشيوخ الفرنسى الذى اقنع براءة بناء على معلومات قدمها له رئيس مكتب الخبايا ثبت أن قائد المشاة إسترهازى هو الخائن . كما أن أخا دريفس شهر بهذا الأخير . فأخذ الشعب يضح ويقلل وقامت حركة عارمة تطالب بالنظر فى القضية من جديد . وقد حوكم إسترهازى أمام مجلس عسكرى محاكمة صورية على وقائع متصلة بالحدث . لا على وقائع الجريمة الأساسية قسما . وأعلنت براءة بالإجماع (١٨٩٨) . عندئذ قام إميل زولا كاتب فرنسا الأكبر واتهم علانية المجلس العسكرى بأنه أصدر حكم البراءة المذكور بناء على تطليات وأوامر صادرة له فأحيل بدوره إلى المحاكمة أمام هيئة المحلفين فحكم عليه بالسجن لمدة سنة وبغرامة قدرها ٣٠٠٠ فرنك . ولكن ذلك الحكم ألنى فى ٢ أبريل سنة ٩٨ . وفى هذه الآونة تقدم الكولونيل هنرى أحد بكار شهود الإثبات فى قضية سنة ٩٤ واعترف =

إلى القضية . وتنفى الأمة الفرنسية . فلا دردر اليهودى . حتى فى البحر له دوى . لكن ماذا انتفاعى بحديثه . وماذا يهمنى معرفة طبيه من خبيثه . وأنت قد علمت أن لا أشتمل بالبعيد عن القريب . ولا أنصرف عن النسب إلى الغريب . وأن لا أدع أمرا واقعا وأخذ بآخر مرئى . فضحك الشيخ من هذا الاستنكار . ثم (قال) من علم المصرى أخذ النار . فلو أنك قسمت الفلك بالفلك . لتعلم أنه لولا هذه ما كانت تلك . فهذه حملة طاغية الزمان . ومقروض العروش ومسقط التيجان^(١) . وكان أغاربه يطلقون الرصاص على الخواص . ثم لا يلقون القصاص . كانوا ينفون الرجال المشاهير . بمراى من الجماهير . فلا يمانعهم أحد . ولا تنسلى لهم يد . كانوا يذلون من شئوا . ويؤزون كلما راحوا وجاءوا . كانوا يفضون المجالس الثيابية . ويديرون دولاب الأعراض بالدوائر القضائية . وبالجملة كانوا يحولون بين الكتاب والأقلام . ويجعلون أعواد المنابر نموشا للخطباء العظام . وتلك يا بنى ترد إلى الأمة من اتهمته بالحناية عليها . والإساءة بالحنيانة إليها . وإطلاع العدو على مآلديها . وهى مع ذلك تنطوح فى المهالك . وتقتنى حداوة الدول والممالك . لا من أجل در يفوس . ولا حبا بشخصه النحس . لكن فى سبيل آية يجعلها الله ويكبرها . ولا يخذل أمة تنصرها . وهى (لا جنانية لمن لم تثبت جنائنه) . وما بين السفيتين إلا جبل . وهو زمن ليس بالطويل . وأمد فى حياة الأمم قليل . فانظر كيف بلغ القوم فيه أوج العلاء . وأصبحوا عرشهم كرسى القضاء . وتاجهم العدالة الشماء . وغيرهم لا ينفك عن حالته . يصبح فى جهالاته . ويمسى فى ضلالاته . يغفلو بالنير مسرورا . ويروح بالقيد نخورا . يضع الخلد ليلطم . ويبدل النفس لتظلم . ويسامح فى الحق أن يهضم . ويتم على أخيه . ولو كلف لوشى بصاحبته وبنيه .

(سأنح)

= بأنه كان زور الوثيقة التى كان تلاها رئيس الوزارة فى مجلس النواب فى ٧ يوليوس سنة ٩٨ . وأكد صحته . وكانت الوثيقة تثبت حياة در يفوس . فلم يسمع سلطات الجيش إلا أن ألفت القبض على الكولونيل هنرى وقتله . . فانحصر . وقد أعادت وزارة بريسون النظر فى القضية أمام دوائر التقض محضمة فقررت إلغاء حكم سنة ٩٤ ثم حولت القضية من جديد إلى مجلس عسكرى فى مدينة (رن) فظل ينظرها من ١٧ أغسطس إلى ٩ سبتمبر سنة ١٨٩٩ وانتهى إلى إدانة در يفوس « مع الظروف المخففة » وحكم عليه بالحبس عشر سنوات . ولكن رئيس الجمهورية وقتذاك لم يسمعه إلا بإصدار المفو عن در يفوس والتأزل له عن المدة المحكوم بها .

(١) إشارة إلى نابليون الذى قفى فى سنة ١٨١٥ إلى جزيرة سانت هيلين .

(٢) الجيل : أهل الزمان الواحد . قال المتن « وإنما نحن فى جيل سواسية » يقابل بالفرنسية génération ومعناها فى المعجم الفرنسى « أولئك الذين يعيشون فى زمان واحد » .

٧

وكانت حدة الشيخ تزداد . كلما تدفق في الإيزاد . حتى بلغ إلى الإرزاء والإزباد . فأردت أن أخرجه من الكلام . وأن أغير من مقام إلى مقام (فقلت) أرى يا مولاي . ذات شراع لها في الموج اندفاع . وهي بين وثوب واستجماع . كشرب الطائر المرتاع . أو كنفار الظبي في القاع . أو نجمة أطارتها الرياح . فتقاذفتها البطاح . أو كلجة منطائرة الرشاش . تساب أحيانا وتحمش . فإذا لديها . ومن يا ترى عليها . فلم يكن من الشيخ إلا أن رفع يمينه . فاقربت السفينة . فأشرقت أنظر من فيها . وأطلع على ياديه وخافيا . فإذا أنا بأطفال قعود بينهم رجل قائم . يسبق هذا ويظم الآخر ويسهر على ثالث قائم . وهو يخدم إهمارة الجميع . كالعبد الوفي المطيع . ويحنو عليهم حنو الوالد الشيخ الكبير . على ولده الواحد الصغير . (فقلت) للشيخ لهم يا مولاي أبناء بعض الملوك . وهذا الرجل خادم لأبيهم أو مملوك .

(الشيخ) — بل هم صبية من بني الإسلام . فقراء منذ الولادة أيتام . وهذا قسيس يؤويهم . ويطعمهم كما ترى ويسقيهم . قد جمعهم من تونس والجزائر . وهو بهم إلى بلاده سائر . حتى إذا كملت شأنتهم فيها . وأخذوا العلوم على معلمها . كان لهم العذر أن يمجوا من البلاد ما نشئوا لديه . وأن لا يعرفوا عن الدين إلا ما فتحوا العين عليه . وكل هذا من أمثال . يجوبون جبالا تشهد أنهم الجبال . وبحارا شاهدة أنهم الرجال . رجال العظام والأهوال . لقد رأيت يا بني شيئا وغابت عنك أشياء . ولم تعلم إلا ظاهرا من أمر هؤلاء . منهم هم الجنود الفاتحون . والسفراء الناجحون . والعلماء العاملون . والأغنياء الباذلون . ودعائم السلام في الأنام . وكهوف الأراميل وملاجئ الأيتام . عهدتهم لا تخلو منهم في البحر سفينة . ولا تقفر منهم في البر مدينة . ولولا أن المسلم لا يفارق دينه . ما تركوا نفسا مطمئنة بدينها آمنة . والآن ألا أطلعك على نظرائهم من الفقهاء . والسادة حملة الدين الأجلاء . (قلت) بلى . ولم لا . فأمرني الشيخ أن أغمض عيني فامتنلت . ثم قال افتحهما ففعلت . فسألني ماذا ترى . ولئن هذا الثرى . (قلت) أهلا بالبلد الحبيب . وألف سلام أيها الشاطئ الخصب . هذه الجزائر فهل أوافيا . ولك الشنطة وما فيها . ومدة الحجر تقضيها عني وتوفيها . فقد زرتها مرة في الدهر . وأملت بها شهرا أو بعض شهر . فيا طيب ما بلوت يوم ذلك .

وأتهيك بمآرب قضاها الشباب هنا لك . فلما رأى الشيخ أنى أودع الصبر . من طول برهة
الحجر ، وأجود بالقطر . على البحر . تبسم ضاحكاً ثم (قال) أراك مللت الغربة . وسئمت
من الصعبة . وأضائق ذرعك الأسفار . وغالبك البحار على الاصطبار . واشتقت إلى
الاستقرار لدى الدار . والاقتصار على الحار . تزور وتزار . وتتفق أيامك القصار . في جمع
الأحاديث والأخبار . ويحك هل العبد عمران . أم هل لخراجه عمران .

أم أنت تحب أن تكون مثل هؤلاء . وأراى الشيخ متزلاً على الماء . فيه ثلاثة من
العلماء . أحدهم صاحب الدار . والآخران من الزوار . وهم جلوس في حجرة . يأنف الضب
أن يتخذها حجره . قد سمج بناؤها وانحط سماؤها . وفسد هواؤها . وأظلمت أرواؤها .
وخلت من النظام أشياءها . وخلت النعال لدى الباب . ووضع في الحجرة نحو ألف كتاب .
يمرح الفأر فيها . ويحجبها التراب . والقصور هناك تعود . لكنهم رقود ومجود . وما صلوا
للك المعبود . عيونهم في الأرض من الإطراق . وتكاد رؤوسهم تسقط من الأعناق . وقد
لزم الباب فتيان . يقومون لصاحب الدار مقام الغلمان . وهذا يحيى يمتن ويرجع بحاشية .
وما يجلبها إلا كالمشاة . فالتفت إلى الشيخ و (قلت) — تالله لميتة في قرار الماء . خير
من حياة هؤلاء . هذا الفضاء حولهم فهلا خرجوا إليه . وهذا البحر دونهم فهلا جلسوا لديه .
وما لهم ولكثرة الخدم . وقيام الإنسان لهم على قدم . وهم العلماء الأعلام . حملة آداب
الإسلام .

(الشيخ) لو أن هؤلاء خدم كما ذكرت . لكان الشراؤون مما قدرت . لكنهم
بنوه . وقرباته وذووه . فانظر كيف يستخدمهم . ويتعلم بهم ولا يعلمهم . ويحرم الدنيا
منهم ويحرمهم . ويوجد لهم الله وهو يعلمهم . ثم انظروا بنى إلى البلوى كيف عمت .
وإلى المقادير كيف حمت . وكلمة الله على الشرق كيف تمت . إني لأفيس هذا العالم بذلك
القسيس . فأحار في صنع الله وحكمته . وأعجب من اختياره وقسمته . وأسائل نفسي كيف
يرزق دين . ويرزأ دين . ويمض الله قوما . ويمنع آخرين . فلا يستوى الرجلان هذا ذنب
يسترق الأمم لدولته . ويدخلهم في ملته . وهذا زاهد في الصيد . كأنه عمرو بن عبيد^(١) . وقد
تهيد ولا قيد . فلم ير إلا زينا ولم يمر إلا يزيد . شغلته البسملة . بسملة القرآن . ووقف

(١) عمرو بن عبيد (٨٠ - ١٢٢٤ هـ) شيخ المعتزلة في عصره وأحد الزهاد المشهورين وفيه قال المنصور العباسي :
« كلّم طالب مبد . غير عمرو بن عبيد وقال مع يحيى بن معين : « كان من الدهريين الذين يقولون إنما الناس مثل
الزروع » .

به العلم حيث النملة . نملة سليمان . فاستوقف الإنس والجان . يسألهم أمن الأناث هي أم من الذكران . فسبحان المنعم وتبارك الرحمن . خلق الإنسان علمه البيان . (قلت) .
(سألح)

المؤيد في ١٧ سبتمبر سنة ١٨٩٩ :

٨

قلت إن لمولاي لعذرا . أن يضيق بهذا ومثله صدرا . على أنني أنظر الآن إلى مشهد من الغرابة بمكان . فلو أرشدني الشيخ إلى السبب . لعل أخرج من العجب .

(الشيخ) — إنما تنظر إلى الرجلين في العمل . هذا في السهل وهذا في الجبل . فاما رب السهل فنائم . في وقت الغنائم . سأل سلو البهائم . تراه على الفطرة لم يتحول . كأنه الفلاح الأول . أو قابيل في زراعته . أو هابيل في رعايته . قد حمل دابته فوق الطاقة . وسامها الأشغال الشاقة . يقتلها وهي تحية . ويحييها وهي تطعمه وتسقيه . حتى أصبحت أرضه ياقوتة الجذب الصفراء . وحققها أن تكون زمردة الخصب الخضراء . نباتها من عندها لا من كدح اليد وكدها . وإثمارها من نفسها . لا من فعل اليد وغير منها . بحيث لو لم يكن هذا الميت رجُلها . لآتت من نفسها أكلها .^(١)

وأما رب الجبل فكما تراه . لا تنقبض يداه . ولا تسكن قدماه . موكلا بالذري^(٢) يطلعه والصخر يقطعه . والحصى يحصيه ويجمعه . وفضاء الأرض يذرعه ويزرعه . قد خرق قلل الأطواد . وجعل فيها التربة والسماد . كما تملأ السن النخرة فتصلح بعد فساد . حتى أصبح الجبل متزها وجنة . وقرية آمنة مطمئنة . المهبوط منه ميسور . والصعود إليه مقدور . والنعم كل النعم لديه موفور . فن كهرباء . يراح عليها ويحيا . وتجلب للزرع الماء . ونضى منه الحواشي والأثناء . فهي بالنهار سحرة وبالليل ضياء . ومن بخار أراح الأنعام . وأقعد الإنسان وقام . تغنى الساعات معه عن الأيام . ويستوى عنده اليد الناعمة والساعد العبل الجسام . ومن ماشية غنى بها في التغذية . وبولغ لها في التربية . ورفق بها في الأشغال . وحيل بين قواها وبين الأثقال . فبلغ بها السمن . وبلغت من الثمن . فأصبحت مرجوة النسل مع الزمن . وبالجملة فلولا هذه العين الراعية . والقدم الساعية . والهمة العالية .

(١) الميت : المستثقل في النوم والعرب تسمى النوم موتا .

(٢) الذري نسبة إلى الذروة وهي للعلو .

والعزيمة الماسية . ولولا هذه الشمال الفارسة . واليمين الجانية . ما نبت الشجر من الحجر . ولا جنى من الصخر الثمر . ولما أصبح للجبل الفضل على السهل . وما الفضل في الحقيقة إلا للعقل .

الرجلان يا بنى أخوان . يتجاوران . منذ ستين عاما لدى هذا المكان . هذا جزائرى . وهذا فرنسى . وفي الجزائر اليوم من معامل الصناعة لمن أراد أن يتعلم . أو يرغب في أن يستخدم . ما لا ينقطع تسليده . ولا يمحى عديده . ولا يرد مریده . وفيها من المدارس العالية . ما يشرح للوظائف السامية . ويؤهل للعامة والتطبيب في كل ناحية . والشهادات التي تحصل منها . كشهادات باريز أو غزل في الطبقة منها . يخرج فيها الفرنسيون ويتربى بها الطالبون . والمناطون . والأهالي عنها همون . وفي نهج العلم والتربية زاهدون . قد رضوا لأنفسهم الهون^(١) . وقنعوا من مناج هذه الدنيا بالدون . وأنا أرى هذه الأحوال وأحاطها . وأطاني هذه الأمور وأكابها . سأخلى معرض المتارضيات . وجمع المتناقضات وجل الآيات . ومرتاة المدهشات . ههنا الظلام . وههنا النور التام . وأمامك الحياة والأمل والعلم والعمل . والمهلك والدول . والمثال الأعلى الأجل . لتعاون الأهم والممل . ووراءك الجهل والكسل . والعتار والزلل . والخطأ والخلل . والتخاذل والفشل . والأدواء والعلل . والحاسد في ساعة حلول الأجل . فبغت التفت رأيت النعيم ضائفا على أقوام . يقابله عند آخرين الشقاء العام .

وما كاد الشيخ يتهى من المقال . ويفرغ من شرح الحال . حتى جاءت سمكة في لون المرجان . كأنها سبابة الإنسان . أو لسان الميزان . أو عقدة الشيطان . أو نملة سليمان . فسألها ما وراءك يا دودة البحار . وما أزعجك من مثواك بالقرار . قالت جئت يامولاي إليك أمدت جاراتي لديك . لنستجير بك من حوت . دهمت البيوت تغلبها عن القوت . فدمرتها تدميرا . وأكلت منا شيئا كثيرا . قال هل تركتها تفتك فيكن . أم أخذت الغيرة منك . وأضى الثبات بعض الشيء عنكن . قالت بل خلفت قومي بدافعونها دفاع أهل الفتوة . ويعدون لها ما استطاعوا من قوة . حتى أدموا لها عينا وبقيت عين . وغادروا ذنبها أثرا بعد عين . قال الآن استوجبتي عطف الله ورقة القوي . فلتنصرتي على العدو والبغى . ثم إنه التفت إلى وقال . أما أنت فلك فلكك . ولى فلك . فلن تشغلي عن إجراء العدل في الملك واعلم أن الليلة تحفل ملكة الماء . بذكري الولادة الزهراء . ولادة أشرف الأنبياء . فهل

(١) الهون (جمع الهاء) : البين والسيولة . وبضمها : المهانة والنفقة .

تريد أن تشاظرنا الهناء . أم تؤثر العودة إلى السفينة . وتكتفى بما تتخذ (المحروسة) من زينة في مياه (كلازومينة) — (قلت) فذاك أبى إن المحروسة وصفا البحر لمولانا ولنا على ممر الدهر . وإن ما ذكرت من احتفال الدأماء . واحتفال عالم الماء . لما لا يدرك . فإن أدرك . فمن الحق أن لا يترك . فكيف أكره أن أؤخذ إليه . أو أؤثر منظرا ، ولو كان الجنة ، عليه .

(الشيخ) — إذن فإن الزينة لا يشرع فيها . ولا تأخذ زخرف مجاليها . حتى يعتلى القمر ويبلغ في السمو المستقر . فإذا سفر . وأشرق وزهر . ودخل في يومه الثاني عشر . هبطت بك (بلفرون) بعد صعود . وهناك أطلعك على المشهد الموعود . (سألح)

(المزيدي) في ١٩ سبتمبر سنة ١٨٩٩

٩

فلم أدر إلا بالشيخ قد غاب . في ألفاف العباب . والسمة بين يديه تنساب . كطليعة لشرف الركاب . فنظرت حولي . وإذا أنا وحدي في تلك كالمنار . المنصب في البحار . لا محذاف ولا بخار . ولا مؤنس إلا الألفاظ والأمرار . ثم تقصيت النظر ، فبدأ لي من جانب الأفق شبح أغز . يتلأأ كعمود الفجر . لحقته فإذا هو (صفاء البحر) . قد أخذ زخرفه وأزين . وتجلي في رواء ما أحسن . تليه (المحروسة) ، منورة مأنوسة . يودها البحر عروسة ، وهي تموج بأهبي زينة . كأنها في البحر مدينة . فقلت في نفسي هذا المولد السعيد . وتلك بشائر العبد . فكيف بها في عالم الخفاء . ولجة اللطف والبهاء . وكان الغروب . فتمثل أيها القارئ اليخين وما يحاورهما من السفن في المجرلدي لجة تملك أطرافها جبال . الجبال ذات اليمين وذات الشمال . بعضها ناهض يناغي السماء . ومنها المنحني على الماء . وغيره يحسب من الأرض وهو صخرة صماء . حتى إذا وفد الهلال على هالة اللال والجمال . محبوبه السرى إلى الكمال . لم تر العين أحسن منظرا من سواد هذه الجبال . في بياض الأفق لضوء البدر المتعال .

فديناه من زائر مر تقب بدا للوجود بمراى عجب^(١)

(١) اجترأنا بهذا البيت لأن الفصيدة منشورة في الطبعة القديمة من الشوقيات ص ٢٣٩ وفي الجزء الرابع ص ٤١

تحت عنوان (القمر على آفاق كلازومين ليله النهي الأسنى) .

فبينما القمر يتجلى بجميع جماله . ويتكلم قبل أوان كماله . ويشارك الكون في احتفائه واحتفاله . ويوقى المولد الأسنى حق إكباره وإجلاله . مضت بي الفلك مضيا . تهوى في الماء هوى . لدى بلج كالعاج لو لطف . والمرمر لو شف . والبلور لو خف . وهى تنفذ من الماء . كما تخترق الطير الهواء . ويسرى شعاع الشمس في الفضاء . حتى هبطت القرار . فألقت عصا التسيار . وهناك جعلك الشيخ إلى . وأقبل من بين الصفوف على . يسحب المطارف والأردان . كأنه كسرى أنوشروان . مقبلا من الإيوان . فبدأت بأذياله فلتمتها . ثم ثبت بيده قبلتها . فأعرض كالشمس . ثم فركن استغفر . فداخلني من أمره العجب . وسألته عن السبب . فقال إن في المجلس يا بني من محبة النبي ، ومن استشيد من بعدهم من النذاري ، من كانوا يقولون يا محمد في الخطاب . ويدعون عمر بن الخطاب . وأخاف أن تنزوم هذه الآداب . فيفسدوا بعد الحيات . وتلفظهم الجنة لفظ النواة . فإذا جثتهم فقل السلام . ولا تزدحم على تحية الإسلام .

ثم منى الشيخ قبضته وهو يلوى بي على سفن مصطفة . عندها زمر ملففة . بالأعلام محففة ، وهى بينهم مجلوة مترفة ، يتعلق بها الجنين والصني ، واليسافع والفتى ، والكهل القوى ، والشيخ المني ، والكحل في الثياب الخضر يرقلون ، وبذكرى مولد النبي يحتفلون . ففضيت العجب مما رأيت ، وهمست في أذن الشيخ فسالت من هؤلاء الأقسام ، وفيهم تعلمهم بهذه الأعلام .

(الشيخ) هؤلاء يا بني شهداء البحار . من الأمم الإسلامية الكبار . وجلهم من أبطال الحروب الأندلسية . وجنود فاتح القسطنطينية . ومنهم من عرّضه طلب العلم للأخطار . فوقع في مهاوى الدمار . وآخرون وقف لهم الموت في سبيل الاستعمار . أولئك قوم جاهدوا في الله حق جهاده . وزادوا الإسلام عمادا على أعماده . أعطوا الأمانة وأخذوا الجنة . وقاتلوا الناس . ولو أمرهم الله لقاتلوا الجنة . فكم عروس زفت إلى الله بعلمها . وذات حمل قربت لله حملها . وشيخ فإن كبير جاد بالرمق الأخير . حتى أعزوا آية الإسلام بين الأمم . ورفعوا دولته لأسمى مقام . إن شئت دعوت خطيبهم ليسمعك . لعل بيانه أن ينفعك . ثم أوما الشيخ بالإصبع . ونادى فأسمع : يا أيها الأشباح الغالية . والأرواح العالية . عودي سيرتك الأولى . وأشهدى المسلم تلك اليد الطولى . وليقم منك خطيب يعظ الناس . ويصف لنا تلك الشدة وذلك البأس .

(سائح)

١٠

فكان ما أمر الشيخ أن يكون . وخرجت الأشباح من السكون . فرأيت ما لم تره عين . ولا سمعت أذن . رأيت أساطيل تموج . كأنها البروج . قد ملأت البحر ترفع شراعه . وتخرج نفوره وقلاعه . وهى بين غاد ورائع وهاو وطافح . وجانح جاح . وهالك بيد أنه ساج . عليها المقاتلة . من الجنود الياسلة . والأسود المنازلة . تصيبهم الجانحات . وتصوبهم المقدوفات . فتريدهم من إقدام وثبات . إذا بادت السفن قاتلوا على الألواح . وتكاد الجسوم تسبق إلى الله الأرواح . فلكوا وصالوا . وعزوا وطالوا . وقالوا من ملك البسيطة ما قالوا . وأنا أنظر إلى الممالك كيف تبني . وإلى المعالي كيف تقني . وإلى الدول كيف ترفع . وإلى الأمم بأى شيء تخضع . فلا أرى إلا الإقدام . ما يتفاوت به الأنام . ويتغلب أقوام على أقوام . فهو رأس أموال الأمم . وما سواه فنمرات تأتي على قدر الهمم . لاتزال على الشعب المقدم . رهبة المنوم . ومهابة المعلم . وتأني الرائض المطاع . في نفوس السباع . تظن الوحوش به القوة . وتطيعه الطاعة المرجوة . حتى إذا أحجم إحجامها . أو تخجل مرة أمامها . ذهب عنه الملك والسلطان . واقتصر الحيوان الإنسان .

ثم أقبل من الصقوف غلام . كأنه البدر عند التمام . تردهى الحنة بشبابه . ويقتبس الأبرار من آدابه . كالمنبى كبرياء وعزة . وكالبحتري إنشادا وهزاة . إذا قام تلتف الجامع . وإذا قال امتلات خروق المسامع . فهلى وكبر . وحمد الله وشكر . وذكر صاحب المولد ما ذكره . ثم قال كما معشر الإسلام بالأندلس وثلاثة تجمعنا : الدرس والصلاة والجهاد . بالدرس تفتح البصائر المغلقة . وبالصلاة تثبت الأفئدة القلقة . وبالجهاد تُجمع الكلمة المتفرقة . وكان الأدب سر تقدمنا جمعت لنا فيه مكارم الأخلاق . وعقدت من الفضائل حُبك النطاق . يتواضع منا الكبير . ولا يستكبر الصغير . ولا يطنى الأمير . كان اعتماد الواحد منا على الله ثم على نفسه . ثم على أبناء جنسه . نعتمد على الله فيما لا نملك من الأخذ ولا نقدر من الدفع فلا يحمدنا الله إلا شاكرين للنعمة . صابرين حال النعمة . وعلى النفس فيما نطلب من محيا . ونخطب من دنيا . ونسعى من رزق . ونحاول من حق : العمل . قبل الأمل . والمسعى قبل المدعى . والعزائم . قبل العظام . والأفعال . قبل الأقوال . كل أخذ بعمل هو متقنه . والله بالنجاح يقصرنه . من أصاب لم يقف به النجاح . ومن خاب لم يلق السلاح . وعلى

سائر المسلمين فيما لا يكون إلا بالتعاون والتآزر . ولا يتم إلا بالكثافة والتضافر . من أمر
تجمعه . وملك زرقه . وجرم نمنعه . وبلاء ندفعه . وحق مسلوب نستردّه ونسترجعه .
فما زلت بالجهد الموقل أنسى له حتى انقردنا بالإشياء . وأعجزنا في فن البناء . وبثنا في الأرض
العلماء . وشيدنا للإسلام دولة عرضها القربى والسماء .

وبينا الغلام في الكلام . أشرق المكان . وتآلى البحر وازدان . فرفعت العين منذ هلاً .
ثم نظرت متأملاً . وإذا أنا بخفة . ألقى من زحمة^(١) . على العوالم مشرفة . تدلى بها يد ضلفة^(٢) .
لكنها مرتجفة . ثم إذا الرياح تخفق فيها . والخواصف من كل ناحية توافيها . فلا تطفئ
لها قنديلاً . ولا تؤثر فيها قبلاً . وحوالى هذا المصباح الأكبر . والسراج الأنور الأزهر .
بضمة مصابيح متوجهة . لا يبدل مجموعها من الخفة مسرعة . وراء كل واحد منها يد خفية .
تدنيه من زجاج الألفية . ثم تصدم به صدمة قوية . فينبدع السراجان كلاهما . وما كان
أخاها . فوقفت وقفة مسحور . تلقاء هذه الأنوار . وأنا أتمس الشيخ بين الجمهور . ولعله
يكشف لي المستور . من سر هذا المنظور . وإذا به قد أقرب منى ثم سأل ما بال الفتى
يقش عنى . (قلت) أريد لأعلم ما عهده الأنوار . وما هذا المصباح الزارى على ضوء النهار .
(الشيخ) — هذا يا بنى نور عثمان . ومصباح دولته في كل زمان . وهو يمثل في المقام .
مكانها من الإسلام . ويظهر فضل القوم على سائر الأقوام . وهذه الرياح الضاغطة .
والخواصف المسافطة . إنما هي عداوات الغرب البيئات . وثارات الصليب الماثرات .
وما ترى كل يوم من تعصب الممالك والدول . لكن ذلك لا ينقصها من قوى الحياة
ولا يفلها على الصبر والثبات . إنما تصيبها المصائب . وتناهبها النوائب . من هذه المصابيح
الرديئة . في هذه الأيدي المسيئة . وهى إنما تمثل سائر الأقوام . ومن في يديه الزمام . من
أمراء الإسلام . كأن لم يكفهم ما صنعوا بأنفسهم . وما جروا من البلاء لأبناء جنسهم . حتى
اشتغلوا من أمرها بما لا يملكون . وحاولوا من ملكها ما لا يدركون . هذا ينأى بجانبه
عنها . وهذا ينفذ الدين بأما منها . وهذا يغضها بقلبه ولسانه . وهذا يجرحها بسيفه
وسنانه . مختلفين مشتتين في الأرض . متحسين بعضهم على بعض . ينسون أنه لولا هذه
الخفة . وهذه اليد القوية المرتجفة . ما وجدهم الوجود إلا ضالين حيارى . يمتقهم اليهود
و يمتقهم النصارى .

(سأخ)

(١) الألفية له يريد ذات ألف مسرعة . (٢) ضلفة لا وجود لها في المعاني . ولعلها دالفة . الدالف :
الماسى بالجل الثقل ، والدالف الكبير الذى اغضضته السر . ودلف الشيخ والقيد مشى مشيا قارب الخطو .

١١

وأخذ الاحتفال بعد ذلك مأخذ جده . واتخذ الجلال والجمال واسطة عقده . فجعل الشيخ
يقدمني لدى المحفل . ويمثل بي في الجمع فاثمّل . وهو يكثر من الإيماء . ويذكر من الأسماء .
ما لا يحيط به الإحصاء . من كبار قواد الإسلام . وماسة دولته العظام . وعلمائه الأعلام
ورقة المنار فيه وحلة الأعلام . فالفيت أكثرهم من الأتراك والأعجام . ولم أر بينهم مصرياً .
رفعه الله مقاماً علياً . فأخذ مني العجب وسألت الشيخ عن السبب . فقال : هؤلاء يا بني
هم الآحاد . لا أمة إلا بهم ولا بلاد . حيث كانوا فالحق متحقق . ونهار العرفان مشرق .
ومنار الهدى متألق . وغيث الرحمة مغدودق . والله لا يختص بهم بلادا دون بلاد . ولا يهيم
لفريق دون آخر من العباد . لكنكم تقتلونهم أجنة في الأرحام . يجهل الأمهات الجهل
النّام . فإن سلموا فسوء التربية لهم حمام . فإن سلموا قتلهم الحسد العام . حسد الغنى للفقير .
والكبير للضغير . والأمر للأمر . والمولى للأجير . فلم لا يسلب الله من عقلائكم العقول .
ولا تقف لهم الشقاوة في طريق الوصول . انظر يا بني إلى أمم العصر . هل ترى بلادا مثل
مصر . غاملت الغرب وعاملها . وواصلته قدرنا كاملا وواصلها . تأخذ من تعاليمه وآدابه .
وتشب على الحضارة مثل شبابك . يأنها منه الأساندة . ويوافيه منها التسامدة . وتنظم
جنودها على مثال جنوده . وتكاد تجمع في بنودها أشكال بنوده . وتأخذ الأوراع منه . وتجلب
الممثلين منه . وتبنى الكلوب مثل بناءه . وتنشئ السباق مثل إنشائه . وتنافس في الإتيكيت .
وتزاحم على البسكيت . وتستعمل مشله السونيت . وتوصل البخار إلى المطبخ والكرار .
وتدخل الكهرباء . في الحباء . وتستعيبض بالصودة عن الماء . وهي مع كل هذا الارتباط
والاختلاط والاختباط . تستحضر الميطرة . من انكلترا . والأجندة من إرلندة . والفوتبول
من ليربول . والإبرة من دوفر . والدبوس من الإيكوس . والتمكة من سوريا . والحاف
من تركيا . يا للعار . ثم يا للعار . وقبح من عيش مستعار . أخف منه النار . أين الطبيب
الذي اخترع علاجا . أين الأصولي الذي اشترع منهاجا . أين الصانع الذي امتاز . أين الكاتب
الذي انفرد بطراز . أين الخطيب الذي استنهض واستفز . أين القائد الذي حمى وأعز .
وارتفع به اللواء واهتر . أين الاسم الذي سجل في التاريخ . اللهم إلا في صحيفة اللوم والتوبيخ .
أين غنى مثر . أطلق يده بالخير . وأرصد ماله للبر . أين شاعر مدح الكرام . وذم اللثام .
وفضح الظلام . ومزق بنور الحقيقة ظلمات الأوهام . وبيننا الشيخ في المقالة . يرميني وقوى

بالجهالة . والحادى فى الضلالة . صرنا رجل كالملك . فى زى الدراويش الأتراك . قد
ضحك برأسه المشيب . فزاد فى منظره المريب . ومظهره الرهيب . فاستوقفه الشيخ فوقف .
ثم بالغ له فى التحية وتلفظ . وقال له بعد ذلك وهو يهدمنى لديه . ويعرض أسمى عليه .
هذا ابن النيل . الشريف النيل . الأخذ بنصيب من مدينة الجبل . المتردد بين القرآن
والإنجيل . المستندى بظل الملكة الطليل . المرحع للاستقلال عما قليل . قد دمانى فى الحجر
حين خاتمه الصبر . فليت نداه . واستجبت دعاه . وحققت رجاءه . لا لأنه قطب وأنا
أكرم فى الله أوليائه . لكنى آفتت له الرغبة فى الصعبة . والاجتهاد فى الاسترشاد .
والوفاء لقومه وبلاده . والإخلاص فى عبة الله وعبادته . أما الآن وقد انقضت المدة . وزالت
الشدّة . وأمسك الفلك مستعدة . لاني أتركك لك يا ابن الم . وأسالك أن تغنى بأمره وتهم .
وأن تكون مرشده الأمين . وصاحبه المعين . وذخره الثمين . وراخته وهناءه فى جوار أمير
المؤمنين . (قل) الدراويش محمداً يا مولاي وطاعة . فلاخدمته الخدمة المستطاعة .
وأنت ألف سلام . يا ضيف الإسلام . وجار النوال والإكرام . وعندئذ التفت الشيخ إلى
وقال هذا يا بنى ملك البرين . وأمير الفارين . وحامى حى الحرمين . ومفتاح الحرب
والسلام . وميزان السياسة فى الأنام . والمسلم الباقى من الأعلام . والملاذ الأوحى للمسلمين
والإسلام (قلت) : لله البوسفور فلقد والله همفت يوسف بجباله . واستندلت على الشهر
بهلاله . وصحقت إلى الموصوف أوصاف كماله . فأهلا بآية الله المشهورة . ونعمته المشكورة .
وعظمته المقدورة . وكلمته المنصورة . ودرجته المعمورة . جعلنى فى ذراها وظلها . وسيوفنى
لأؤدى شكر فضلها .

وما هو إلا أن فرغت من قبولى حتى نظرت حولى . وإذا أنا على البانحة . وهى بى
وبالدرويش مانحة . فى الجملة الزانحة . تؤم بنا الحنة الفانحة . جنة الدنيا والآخرة .
(سائح)

(المؤبد) فى ١٢ أكتوبر سنة ١٨٩٩

١٢

البسفور كأنك تراه^(١)

على أى الجنان بنسا تتر وفى أى الحقائق تستقر

... ..

(١) القصيدة منشورة فى الشوقيات طبعة قديمة ص ٢٢٣ وفى الجزء الثانى من الشوقيات ص ٤٨ .

١٣

وكان الدرويش يرطاني بعين الحكيم . ويراعيني وأنا أهم . علمنا بأن الطبيعة قد شغلت الشاعر . وهيجت وجدا لهذا الخاطر . وأنى إنما أعبد الله . وأجده فيما صورته وجلاه . فتركني في فكري . ولم يخرجني من سكري . حتى أخذت العين قسطها من المشاهدة . وبلى صدى النفس الواجدة . والتفت فالتفت اللحظة باللمظة . وسبق الدرويش باللفظة . فقال كيف ترى هذه المناظر . وما أثرها في الخاطر . إن الطبيعة الكبرى لطلبة ابن النبل . وإن صهدها بها لمهد طويل (قلت) ولكن أريد الإنسان . كيما تجلو آثارها . وأين فكرته كيما تذيب أسرارها . وأين لسانه كيما يحدثنا أخبارها . فإن من حق هذه الجواهر . أن يصنع منها القرط الفاخر . وبصاغ الساج الزاهر . وأن تحمل في النحور والخصائر . لتزداد قيمة على قيمة . وتظهر في الجدة وهي قديمة .

— الدرويش — إن أصحابها أهل أدب ولطافة . فلا تزال أيديهم عليها بالنظافة . وزيادة ما تحمله الطبيعة من الإضافة . انظر إلى البيت الفقير . يجنب قصر الأمير . هل تراهما أختلفا في الرسم . أو تفاوتا إلا في الحجم . ظاهرا هما واحد في البهجة والرواء . وباطنهما في النظافة على حد سواء . على أنهم أصحاب الضفتين . ولهم وحدهم جنى البختين . ولقص في خزانة مصون . خير من عقد مبيع أو تاج مرهون . فلا تخطط أشياءك وأشياءى . وإياك أن تفسد على أبنائى .

(قلت) في نفسي مالى أدخل فيما لا يعنينى . فاسمع مالا يرضينى . وكان المرسى أقرب . ودخلت السفينة في قسور الذهب . فالتفت الدرويش إلى وقال : مالى يا أحمى للبحار . وما تقتضينا من زحام ومعارك . ووقفة بين آخذ وتارك . فإن جثتها بعدى وحدك . ودعيت لبرز ما عندك . فلا تلق القوم مزبها . ولا تكن عدوا وكن حبيبا . فإنك واجد من المجاملة . ومزيد التلطف في المعاملة . ما تذكره في هذا الباب . ولا تنسأ لهذه الرحاب . والآن هل لك في طريق غير طريق الناس . وما عليك من باس . والمروق من حيث لا يمرق الطير . وما عليك ضير . فلم أخل من فرح . عند هذا المقترح . وقلت للدرويش ليك . الأمر لك وإليك . فلم أدو إلا وأنا على جناح ملك . وهو يخف بي في أثير الفلك . حتى أقربنا من بناء عال . بادى العظم والجلال . مشرف على سائر المحال . إشراف النفس على الآمال .

فدنونا من فزوة المفتى . فكأ قاب قوسين أو أدنى . وهناك أحسست بالخانحين يتنافلان .
ثم وجدتهما بضطربان . كأنهما في شرك يتخبطان . ورأيت الدرويش يسبح في العرق .
وينتفض من العرق . فأخذنى القلق . وخشيت أن أسقط منه في مهواة الأفق . فسألته
ما بالك تضطرب اضطرابا . ومالى أراك وجلا هيا . وأنت قد أمتنى من أن أخاف .
وزعمت أنى في جناح الألفاظ .

الدرويش — ما بصاحبك من خوف ولا رهبة . إذ ليس لملك أن يخشى إلا ربه .
ولأنما كنت أصلى لله في حرمة وحماء . وأرجوه في بيته وأخشاه . وأستاذنه فيه هل أغشاه .
ثم أشار فهبطنا من قبة لم يشد مثلها شائده . ولا النهر بمثلها على الناس عائده . وهى تتأوى
بها لها السماء . وتهدد بنجورها لسان الحوزاء . فنظرت أنامل ما فيها . وأقلب الطرف
في نواحيها . فوجدت ريح كتبة قديمة . ورأيت آثار قوش رمية . ثم نظرت دونى
في قضائها الفسيح . وأنا أتوهمه معبد السيد المسيح . فكان لى عجا أن رأيت تحت القبة .
محرابا للصلاة ومنبرا للحظبة . وبساتنا لسجود الموحدين . ومصلى للتحلفاء السلاطين .
ودراویش هنا وهناك . ومجاورين من الأتراك . وأمرأة تصلى في ناحية . وأخرى تقرأ
القرآن في زاوية . وقد سرت جلالة المجد في المهد . فأغنت عن صورة متوشة وتمثال مشيد .
فلم يبق عندى ريب أن المكان مسجد . وكأ قد نزلنا نمشى على الحصير . لاعلى السندس
والحرير . وتلوى على الآيات والسور . لاعلى التماثيل والصور . ونمبل خاشعين حيث تعنو
الوجوه وتدين الجباه . وحيث تضعج الأفواه بأن لا إله إلا الله . فقلت للدرويش أما المسجد
فرفع الديان . مشيد الأركان . ليس له في الإسلام ثان . فهلا ملائمتوه من الزخارف .
وعزتم هذا التالذ من عنكم بطارف . إن عهدى بالمساجد الطاهرة في القاهرة . كأنها
القصور العاصرة . لكثرة ما فيها من الأمتعة الفاخرة . وهى وإن تكن بيوت الملك الديان .
تختلف سعادة وشقاء كبيوت بنى الإنسان . فمنها الواسع اليسار . الكثير العقار . المتقلب
في صنوف النعم . المزدهج بالخدم والحشم . الضافي السجوف والستائر . من خالص الحرائر .
المفروش من المقاصير إلى المنائر . وبعضها عطل فقر . من شدة الفقر . ومساس الضر .
يشهى الحصير فلا يحمده . ويتمس المراج فلا تناله يده . فإن وجده لم يجد من يوقده .
— الدرويش — ثلاثة يا بنى عظمها فيها وجلالها بالذات يكفيا . الموت ومشاهده .
والعلم وموارده . والله ومعاييده . فالموت جد لا لعب فيه . والعلم فرقد نوره الذاتى يحليه .
والعبادة تمجود بأبى الزخرف وينقيه . ولو أن للزخرف موضعا في المساجد . أو للحلى محلا

في المعابد . لكان الأحق بذلك . الأجدد بما هناك . هذا البنيان . الذي شيدت فيه للإسلام أركان . وآل المشرق والمغربان . إلى أعظم سلطان . من آل عثمان . (قلت) أفي أيا صوفيا أنا . لقد توج الإسلام هنا . وشيدت لأول مرة دولته . وامتدت إلى الشرق والغرب صولته . وطلعت وهلال العز على الخافقين رايته . وكأني بالقامح وقد وقف قبلنا هذا الموقف بأخذ الشرق باليمين والغرب بالشمال . وتميل الوجوه خاشعة حيث مال . وأني شاء نصب المنبر ورفع الهلال . فأشرقت هذه الآفاق بعذله . وشهد الأعداء وسيقه على رقابهم بفضله .

وبشر الناقوس بالمسلم الـ عادل من قبل بشير الأذان

— الدرويش —

ما هيج البسفور مثلك شاعرا بين الطبيعة فيه والتاريخ
بفعلت شعرك فيها ولطالما قد كنت عبد المدح والتاريخ

فلما كشفت مراد الدرويش من هذه الإشارة . وعرفت موضع اللوم من هذه العبارة . لم أجد بدا من الامتثال . فأنشدته في الحال . (سائح)

التعليق

البيتان الأخيران (ما هيج البسفور ...) اللذان نظمهما شوقي على لسان محدثه الدرويش لهما دلالة قوية تاريخية وأدبية في حياة شوقي . فقد كان التاريخ والتشطير والتخميس والمديح وما إلى ذلك سائدا في البيئة في أواخر القرن التاسع عشر . وكانت روح التجديد من ناحية أخرى في الجو — جو عصر الانتقال — إذ كتب الشاعر نجيب الحداد أحد محرري (الأهرام) مقالا بتلك الجريدة ، بتاريخ ٢٩ أبريل سنة ١٨٩١ ، تحت عنوان (نظرة في الشعر العربي) جاء فيه : " وبعد فالذي أراه للشعراء ، وأشيره عليهم وأبدأ فيه بنفسى من بينهم ، إن كنت أهلا لأن أمد منهم ، أن يتخلوا عن نظم المدح والثناء إلا في حيث تدعو إليه الضرورة القصوى ويطلقوا شعرهم في الاكتشافات والاختراعات والحكم وتقرير القواعد العلمية أو التاريخية " .

أحسن الحداد في النصيح بالتخلي عن المديح المعجوج الذي لا يتفق مع روح العصر ، ولكن حين أراد تحديد الشعر الجديد الذي يتفق مع روح ذلك العصر لم يحسن القول ووقع في نفس الخطأ الذي وقع فيه كثيرون بعده وهو نظم الشعر في الاختراعات والاكتشافات ظنا منهم

ان هذا هو «الشعر المصري» . ولو قال بنظم الشعر الذي توحى به السليقة والوجدان ومشاهد الكون والطبيعة من مرثيات وحبوبات لا يتصلح الطريق للشعر الصحيح الذي يلائم كل عصر .

وظاهر أن شوقي كان يريد التحرر من اليقظة التي كان يضيق بها والتخليق في آفاق الطبيعة والحياة . وهو القائل في مقدمة قصيدته التي نشرتها (المجلة المصرية) في ١٥ أكتوبر سنة ١٩٠٠ «الشعر ابن أبوين : التاريخ والطبيعة» وقد أخطأ خليل مطران في تعليقه على القصيدة والمقدمة إذ فسر الطبيعة بالسليقة مع أن شوقي يريد (الكون) وهذا ظاهر .

وقد نشر شوقي في أول مارس سنة ١٩٠١ في (المجلة المصرية) نفسها «شيطان بتاور» على أجزاء متتابعة . جاء في حديثه عن الشعراء الذين كثيرا ما يمدحون زيدا . ويعنون عمرا : «ما كانوا لي أصحابا وهم يتزلون الشعر عن رتبته ، ويصلونه حيث لا يرضاه الأدب ، لا يمدحون محمدا ولا يمدحون مذهباً ، ولا ينظمون في الطبيعة والتاريخ الذين هما أم الشعر وأبوه» .

في المقال (١٤) الذي يلي المقال الحالي — موضوع التخليق — نشر شوقي بامضاء «صانع» قصيدة (أيا صوفيا) وهي منشورة في الجزء الأول ، طبعة قديمة ، ص ٢٣٦ والخزائن الثاني من الطبعة ص ٢٣٧ .

كنيسة صارت إلى مسجد هدية السيد السيد

وقصيدة (أيا صوفيا) تدخل في باب التاريخ . أما الطبيعة فتدخل فيها قصيدة (السفرور كاذب تراه) التي نشرت ضمن المقالة (١٣) من «بضعة أيام في عاصمة الإسلام» . على أي الجنان بنا تمر وفي أي الحداثق تستقر

وفي المقال (٩) نشر شوقي قصيدة «القمع على آفاق كلاً زومين ليلة المولد النبوي الأسمى» .

فديناه من زائر مرثقب بدل الوجود بمراى عجب

ويمكن أن يلحق بهذه القصائد قصيدة (كوك صو) وقد نشرتها (المجلة المصرية) في ٣٠ نوفمبر سنة ١٩٠٠ . قال مطران عن (كوك صو) أنه «موقع جميل في الإستانة العلمية تناسب فيه قناة ماء متدفقة في شمس من الحضرة الشائعة» .

نحية شاعر يا مساء جكسو فليس سدواك للأرواح أنس

ومنها :

غشيتك والأصيل يفيض نورا وينسج للربى حللا ويكسو
وتذهب في الخليج له وثاقى أفاضل تنثر العقيان خمس
وقد نظروا البيت الأخير إلى قوله التنبى :
والى الشرق منها فى نياى دافرا تفر من البنان

ومن روائعها :

تلاوت الجبال فضاء سفع يسر الناظرين ونار رأس
وهى منشورة فى الجزء الثانى من الشوقيات ص ٦٢ - ٦٤ .

وفى ٢١ سبتمبر سنة ١٩٠٤ نشرت (اللواء) قصيدة لشوق أرسلت إليها من دار السعادة .
وهى مرفوعة إلى السدة السلطانية . والقصيدة ٧٠ بيتا نشر منها ٢٤ فى الجزء الثانى
(ص ١٥٣) وهى حثين إلى مصر :

بأفقه بانتهات النيل فى السحر هل عندك كن عن الأحباب من خبر

ومنها :

ذكرت مصر ومن أهوى ومجلسنا على الجزيرة بين الجسر والنهر
واليوم أشيب والآفاق مذهبة والشمس مصفرة تجرى لمنحدر
والنخل متشح بالنسيم تحسبه هيف العرائس فى بيض من للأرز
وما شجائى إلا صوت ساقية تستقبل الليل بين النوح والعبر

وقد أشارت (الواعظ) فى عدد ٢١ أكتوبر سنة ١٩٠٤ إلى هذه القصيدة إشارة جائرة
عناسبة الكلام عن قصيدة حافظ إبراهيم :

سكت فأصغروا أدي وقلت فأكبروا أدي

قالت : « وقد رأيتاه (حافظ) عاف الغزل وعف عن التشبيب وورد بنا موارد الاجتماعيات
الصفافية فليت بقية شعرائنا يأتمنوا به فى هذا السبيل ويقتفون فى هذه المأثرة أثره لا أثر
شاعر الأمير الذى كان يتغنى على ضفاف البوسفور فى الإستانة بوصف ناعورة (ساقية)
يجوار الحرم فى مصر ولم تسمعده مناظر ذلك الملك التى تراوحت فيها الأبهة والجلال بحيال
يكون أسنى وأولى من النوح على أنه كرى ليلته قضاها تحت جدران الأهرام مع تلك الغانية
التي لم يرفعير النخل وليفه شبا لقدها وشعرها » .

وقد رأينا أن شوقنا لك يكون شاعر الساريخ وشاعر الطبيعة . ولا شك أن التاريخيات تحتل المكان الأول في شعره . ولما الطبيعة فقد تغزل فيها وهتف بها ولكنه علم الله لم يكن من عشاقها الخالص فلم يحم بها هيان الحب الواقى . ولم يتعبد في محرابها كما يفعل الإفريج . وإن كانت له فيها حسبات ومقانات .

(التوبة) في ١٢/١٠/١٨٩٩

(أيا صوليا)

كنيسة صارت إلى مسجد . هدية السيد للسيد

(التوبة) في ١٤/١٠/١٨٩٩

فلما فرغت من الإنسداد واستعصت الدرويش وأستجاد . وقال ليس بعد الخلفاء الراشدين أفضل من محمد الفاتح وصلاح الدين . فاما الأيوبي فدرع الإسلام ووقاه . وعريته وحماه . وسيفه الذي انتصاه . فنجاه من النعم . وكفاه البلاء ألجم . وجعله مهيبا في ماضيه . رهيبا في نفوس أعدائه . وأما الفاتح بحياته . المنجته ووجدانه المتجدد . وشبابه العائد . ودولته الكبرى ولواؤه الأعلى ستمك بنيانه . وشيد أركانه . وأعلى مكانه . وأظهر عزه وإمكانه . وأبد ملكه وسلطانه . وكلا الملكين أبي همام . كريم في الولاء والخصام . عظيم في الحرب والسلام . رءوف بصنوف الأنام . شريف القناعة عفيف الحسام . وإني أعجب للكتاب الحاضرين . والشعراء المعاصرين . كيف غفلوا عن تجديد ذكرهما . وقعدوا عن تأييد نفرهما . وفي ذلك ما يوقظ راقد الحمم . ويحيي موات هذه الأمم . ويدعو إلى التعاق بكبير الآمال . ويحمل على التدهور الرجال . حين يرى ظلم الملوك الغربيين . وموتى الأقبال الأوربيين . مذكورين بكل لسان . أحياه وإن مضى بهم الزمان . لكثرة ما شحنت بأسمائهم الآنار . ولم تلبث من وقائعهم الأشعار . وصرت بهم الأحاديث وسارت الأخبار . هذا نابليون ملك ملك ثم خاه الفلك . ثم ملك . وفي كره لا يزال يسير مسير الشمس والبذر . وهبوب هبوب الريح في البر والبحر . لها من غربي إلا ويحفظ نادرة عن نادر ذكائه .

بل مامن شرقى إلا وروى شيئا عن مدهش إقدامه وعجيب دهائه . يستوى في ذلك النساء والرجال . ويشترك فيه الشيوخ والأطفال . وتعدو عليه الأعصر وتروح الأجيال . وليس الفضل في بعث هذا المجد حيا . وبقائه بعد الممات مثالا للأمم عاليا . إلا لقومه الفرنسيين . وبني جلدته الشارفين به المتفخرين^(١) . فإنك لا تقرأ لهم جريدة إلا وفيها نادرة عنه جديدة . أو طرفة من غرائب سيرته المحيدة . وكلما نفذ الوطاب . واطمأت الكتابة الكتاب . وضعوا الغريب . وأختلقوا العجيب . وأدخلوا على الناس الأكاذيب . أما نحن معاصر المسلمين فما زال تسعة أعشارنا جاهلين . حتى عرفنا غليوم من صلاح الدين (قلت) لى بامولاي أبيات قليلة أصدرتها لهذه الحادثة الجليلة . فهل لك في أشعارى الضئيلة .

الدرويش — هات عجلا ولو مرتجلا . فواقه ما تجمل تاريخ المسلمين بمنلك باصلاح الدين . فأنشدت في الجلال . وأوردت هذا المقال :

عظيم الناس من يبكى العظاما ويندبهم ولو كانوا عظاما^(٢)

(المؤيد) في ٢٢/١٠/١٨٩٩

١٦

ثم كان منى ألغات إلى النسوة المصليات . والأنحريات التاليات . فرأيت لمن في الإسفار . جمال الأثمار . في جلال الأبرار . أو من الحور العين في هذه الدار . قد أخذن ما أمرت الشريعة الطاهرة . فلم تبدن منهن إلا وجوه ناضرة . إلى ربها ناظرة . ليس بحسنا نظرية . ولا بلونها تظلية . تنبئ عن صحة كاملة . وقوة للجسم شاملة . فلما فرغن من صلاتهن . واتهين من تلاوتهن . خففن للذهاب . وابتدرن الأبواب . فرأيت الرجال ينتحون حتى تعبر النساء . وقد ملثوا وقارا كأنهم جنود والمرأة بينهم لواء . فعلمت حينئذ أن سعة الآداب أغنت المرأة العثمانية عن ضيق الحجاب . وإن إغضاء الرجال قد ناب لمن عن النقاب . فقلت في نفسي يا عجبا خرجت من الصدف الجمانة . إلى أصداف من التكريم والصيانة . وسبحانك ربى جعلت مضار الحجاب في الاستانة . منافع في مصر الكنانة . وكان الدرويش يصنئ لى بفؤاده . وينفذ الضمير على مراده . فالتفت إلى يقول أهكنا عهدت

(١) تضر الرجل : تعظم وتكبر .

(٢) القصيدة منشورة في الجزء الأول ، طبعة قديمة ، ص ٢٤٠ تحت عنوان (تحية غليوم الثاني لصلاح الدين

في القبر) ، وفي الجزء الرابع ص ٤٠

بيوت الله في هذا العصر . وشهدت الكنائس في الغرب والمساجد في مصر . (قلت) كلا بل عادت الأولى في أكثر البلاد . لا يخلو زوارها من غواية وفساد . وإساءة إلى المعبود والعباد . يأوي إليها كل فاسق النظر . ساع لموعده متظر . يرقب من غاب ويقايل من حضر . أما مصر فطالما جئت فيها الموالد . على المساجد . وضائق الزوايا عن الخبايا . وانقلبت الخلوات فصارت للشهوات . وعُصي الله جهرة في الحضرة . وأصبحت الزيارة حيلة مختارة . ورحلة مستعمارة . وآفة البيوت . قوهنا كالعنكبوت . فكم شقاق أوجبت . وطلاق سببت . وفضيحة جلبت . حارة تدفع جارة نحو زار وزيارة . بدع في مصر شتى . ما خلت منهن جارة . صدق القائل مصر السخافات قرارة .

وبينا المرأة تأخذ من قوت الرجال . ما تنقى في القربط والخلخال . وتقصص من نخيس الكُباب . ما تنرم على على الثياب . ترمي الرجل بتمسح بالباب . ويقبل الأعتاب . ويستلم الشباك . ويسكب دمع النساء . ويخضع للولى . لا لله العلى . ويصل لحاجة في النفس . ويترك الصلوات الخمس . ولو كانت العامة هي المخصوصة بهذا البلاء . المنة وحدها بهذا الداء . الخلف يحمل هذه الداعية الدعية . ولعلنا نحن والناس في هذا سواء . لكننا أمور . ينزل إليها من شاهقة القصور . ويستغل بها في رفيفات الدور . وتقتل بسهما الفريق المتوسط من الجمهور . حتى ترى الأفندي الذي يقرأ المؤيد والمقطم . ويستغرب ما ينقل عن القوم ويترجم . ويندهش من أخبار الترفسفال . ويعجب كيف هبت النساء للقتال . ويدافعن عن أوطانهم دفاع الرجال . لا يستحي أن يبعث بطفله المعتل . إلى أفذر محل . ليقرأ الشيخ على رأسه . فيطرد الشيطان ببأسه . أو ليلبس عمودا تتناوب عليه الشفاه . وتردح عليه بلعابها الأفواه . حتى أصبح مركبة القاذورات . ومغرس المكروبات . ومستودع الطل والآفات . - الدرويش - الآن عرفت من أين مأتى الضرر . واستدلت على الحريق بالشرر . فهلا أخذتم من عواقبه الحذر . فسلطتم عليه مطاق الأقدام . قبل أن يكون صرام . ويكون وقوده الخشب والحام . ثم غير الدرويش من كلام إلى كلام . فسألني كيف رأيت رفع الحجاب . وهل تعدّه من الخطأ أم من الصواب . فهالني هذا السؤال وأشفقت منه . وأبيت بادئ بدء أن أجيب عليه . لعلمى بما يكون من عواقب الخوض فيه . والتعرض لانتقاد العالم المتجاهل . وتحامل الجاهل السفیه فأردت أن أخدعه (فقلت) .

(سأل)

١٧

لقد أفادتني تجاربي القلائل . في هذه المسألة التي هي من أكبر المسائل . أن للحجاب المرفوع في الغرب مضار لا تحصى . كما أن له منافع لا تستقصى . فمن فوائده عند القوم نصف السعادة التي هي فيها اليوم فإن التجارة الصغرى وهي أعظم موارد الثراء لا بديردولابها في فرنسا إلا النساء . فالمرأة هي البقال والقطار والحجاز والحزار والفكهاني والزهار والخردجى حين الرجل يشغل بجماعة أخرى . أو يمارس صناعة هي باستعماده أخرى . وبديهي أن ذلك يضاعف للعائلة موارد كسبها . ويزيدها ربا على ربا . ويلقى بالمرأة في الجمعية . ويمر بها على مدرسة الحياة العملية . فتعلم كيف تورده وتصدر . وتقول وتفكر . وتقتصد وتدير . وكيف تتلقى السنوات العجاف . إذا مات الزوج عنها وعن ذرية ضعاف . ولم يترك لهم من بعده الكفاف . ومن الأدلة المحلية . على صحة هذه القضية . ما أثبتته الإحصاء على أثر حادثة بنساما من كون معظم الثروة التي ألقاها الفرنسيون في تلك الهوة إنما هي ثمرات اقتصاد الأرامل . وجنى مناهب هذا العضو الحى العامل . ومنها أنه يوجد بباريز صندوق للتوفير . تشرف عليه الحكومة لتحمل الأهالى على الاقتصاد والتدبير . ولا يودع فيه إلا المبلغ اليسير . ولا يقبل من ذلك إلا ما خرج من جيب الفقير . وهذا الصندوق يستغل الآن أربعة مليارات من الفرنكات . تؤول بأكثر من النصف إلى الفرنسيات الفقيرات . ومنها أن « صناعة الزخرف » التي تكاد تنقردها الأمة الفرنسية . والتي هي أكبر قوى حياتها التجارية ترجع بمظلمها إلى النساء . وتقسم باللذوق الحسن من الحساء . وبالجملة فما أصدق من قال يصف مثلة المرأة من الأمة الفرنسية « فرنسا الاقتصادية كائن كبير الحياة جسمه الفلاح وروحه المرأة » على أننى أنا أتكلم عن بلاد جاورتها . وأمة خالطتها وعاشرتها . ولا أحسب الفرنسيين إلا كغيرهم من الأقوام . ولا أظن القسم إلا كسائر الأقسام . فما أوروبا إلا شمل والحضارة له التنام . ولا ممالكها إلا عقد والمدنية له نظام . ومن فوائد الحجاب المرفوع . عند هذه الجموع . بقاء الصحة على النساء . وتمتعهن بالصحة الكافية للبقاء . المعينة على الدفع والإيجاد والإنماء . إذ لا يخفى أن الحركة تنشط الجسم وتوقظه . وتحد قواه وتحفظه . وتجعل المرأة بحيث إذا حملت حملت مقتدرة . وإذا وضعت وضعت ميسرة . وإذا أرضعت أرضعت مشبعة مرقية . مقومة مقوية . لحياتها إذا حيأتان . والمسئولية اثنتان . ولا يخفى أن مسألة اللسل وتكثيره . وأمر السهر على حفظه وتدبيره . مما عيبت به شريعة الإسلام . واهتم به

صاحبها عليه الصلاة والسلام . والإحصاء في مصر شاهد عدل . ودليل فصل . على أن النسل أبرك في الأرياف ونواحيها . منه في المدائن الكبرى وضواحيها . وأن الموت أشد فتكا بالأطفال في مصر . منه في قرى القطر . ولا يمكن نسبة ذلك إلا لاختلاف حظوظ النساء . فيما يباح لهن من نعمة الحركة ويتاح من تناول الهواء . وأذكر أن حكيمًا من الأطباء النطش الأديك . قال لي أنه ما دعي في مصر لمباشرة ولادة . إلا وجد رجح الخطر وزيادة . وأشفق من النفاس وبلايا المتلدة . وأنه لا ينسب ذلك إلا لحرمان النساء من الحركة وسكونهن إلى الأجواء الراكدة المهلكة . فنشأ عن ذلك ديبب الضعف في الجسم . واستعداده بذلك للسقم . وانتشار أمراض الرحم في المدن المصرية . إلى درجة باندهاش الأطباء حرية . (قال للدرويش) : حسي ما ذكرت من المزايا والفوائد . وبينت من الخصائص الفرائد . فليس يحتاج رفع الحجاب إلى رهان . بعد ما تكفل بسعادة الأمم وصحة الأبدان . والآن ما هي المضار . وماذا يلحق منها بتلك الديار .

(قلت) منها يا مولاي أنه جهنم العائلات . وهادم الذات . والمفتزق بين الجماعات . فكم من نظرة بعثت من الزوج الغيرة . أو خيلت للمرأة أن لها ضرة . ولو كانت المنظورة إليها شريفة حرة . فواها لها يومئذ من حمرة تهدم معالم الراحة البيئية . وتحل نظام السعادة المنزلية . وتخرج الشرف الرفيع بغيرتهم . وتجعل بين المرأة وزوجه مهواة من الوهم . ومن لطيف ما سمعت في هذا المقام . أن أحد كبار الأدباء والحكام . ذكر عنده تحرير المرأة واستئزل رأيه في هذا الشأن . فقال أما أنا فلا أكون زوجا وبوليصا في آن . يريد ما أشرت إليه من دوام المنازعات . وامتداد سبب المشاحنات . ما دامت الغيرة أمرا طبيعيا بين الأزواج والزوجات . ومن مضار رفع الحجاب وقائضه التي هي آية على الإنسانية وعاب . تطاوله على الآداب . وجانيته على الأنساب . وهذه المضرة بل المعزة إنما نشأت عن تجاوز حد الاعتدال وتقلب النساء على حلم الرجال . حتى تكدر صفوه . وغام محوه . وأصبح الرجل عبد زوجته وأسير إشارة امرأته . إذا ارتاب بصاحب طال انتباهه . وكثر جيئه في البيت وزهايه . لم ينفعه ارتياحه . ولم يفلح دون هذا المريب بلبه . وإلا عرض نفسه لتهمة التذف . ووصفه بالحرارات بأقبح الوصف . فيقال عنه أفريقي ويقال شرقي . ومعناه متبر بروحش . فانظر لحال الزوج المسكين . وتأمل في موقفه الحرج المهيمن (قال الدرويش) ألا أدلك على المرأة التي هي في وسط من الأمرين . والتي تقي نفسها وزوجها كلا الخطرين (قلت)

(سألح)

(١٨)

ومن تلك الآخذة بالقصد المعتدلة . التي لا بالمسألة حية ولا بالمبتذلة . أتراها التي
صلت . ثم رملت . ثم تولت . (قال) والآن سترها . وهي تعمل لدينها . فإذا لقيتها
فلا تدن منها . وغض البصر عنها . كذلك تعودت الحياء من الرجال . وعهدت تهوى الله
في الأبطال . ثم مشى الدرويش وأنا على أثره . أنظر ما سيكون من خبره . حتى خرجنا من
باب المسجد . وصدرنا عن ذلك المورد . بفعل ينتقل بي من حارة إلى زقاق . ويحتار
الشوارع ويخترق الأسواق . وينتاب الأحياء شرقها والغربي . ويغشى المواطن أهلها
والأجنبي . فكنت أرى نساء الترك من كثر . وانظر إليهن في المحجب عن شأن محجب .
إذ القيتن جمعاء متجليات . لكن منهن السافرات والمتقبات . فمن سمرت فمثل سفور
الأخوات الراهبات . لا يبدو منها إلا عيها . وإن كان ولا بد فبداها . ومن انتقبت
فبالسواد الشفاف المافي . أو باليباض المسيل الصافي . كما تفعل المتقبات من الأفرنجيات .
لا ليصن الوجوه عن اللحظات . ولكن كي يذن عنها الأتربة والحشرات . فعلمت من
هذا الأخذ والترك . أن النقاب عند نساء الترك . ليس بالضروري اللازم . ولا بالمنبذ
المحتقر . ولا تركه بالقاضي قاسم . ولا استعماله بالقاضي عمر . حتى لقد تتخذ الفتاة الحسنة .
ولا يستحق أن تنبذ القبيحة الشمطاء . إلا أنهن يطولن من الجلباب . بقدر ما يقصرن من
النقاب . ويحتنن مخالطة الرجال التي ينعدم معها المحجب . والتي هي باب للندامة في ذلك
الكتاب . فقد عهدت أن لا يقتصرن في معاملة الرجال . على ترك الخضوع في المقال . لئلا
يصيبهن ما أصاب من قبل الأمثال . فيحسبن فواجر من لين الكلام . ويصدحن عن الحنا
الإسلام . بل هن يسرفن للباعة في النهر . ويبالغن للتجار في الزجر . ولا يتجاوزن في البيع
أو الشراء . حدود الأخذ والعطاء . فلا تقدم لإحداهن القهوة كأنها في قهوة . ولا تتجمد
يداهن على الفئجان . كأنها في مخازن سمعان . ولا تلحق الغداة بالعشية . كأنها
في الجوهرجية .

فكنت أراهن يمررن بالحواريات مرا . يأخذن زادا ويعطين وفرا . محترمات عند الباعة .
وقرات لدى الجماعة . سواء في ذلك حرم الوزير . وامرأة الرجل الفقير . لما دانت النظافة
بين الجميع . وسوى حسن المنظر بين الرفيع والوضع . واحتشمت النساء . فتشابهت الأزياء .

وامتنع بالكلية عن الفخر والفقر ، فبقا كل النقي والفقر . فبما أن طبقات الرجال في الإستانة
أشباه . ولولانا السلطان وحده الذكر والفقر والمظهر والحياء . كذلك النساء لا تفاوت
أقدارهن . اللهم إلا في مقدارهن . بين الخديم والحشم . ولدى معالي النسب والنعيم .
وأما في طرق الإستانة . فلا ينسار إلى رابية أن هذه غلالة . ولو كانت سلطنة . ولما كان
لحو العاصمة بنتات . وكانت شمها شديدة الما حرات . اعتاد النساء حمل المظلات .
ويسميا بعضهم بمصين . اللاتي يتوكلن عليهن ويصرن بجرة الإنباب بهن . وقد رأيت
بعضي شيئا من ذلك . وشهدت ما جرى هنالك . ههنا :

شمس النهار واختها في الأرض منها مستظلة
ههنا لدى أنسق ونسق من أنسق عصمتها مطلة
رام الجهور زوها والجهل يركب ألف زلة
فترمت عنه ولم تنزل عليه سوى المظلة

وكان العرويس قد أمهلى برهة . أن امتنع البصر والابصيرة من هذه التزهة . ولم يسر معي
على نهج الأدلاء . الذين يحدثونك بكاذب الأنباء . ويشغلونك عن مسألة المعالم والأشياء .
بكثرة كلامهم الذي كله تلفيق وافتراء . فحين فرغت من النظر والاختبار . وبلغ بي التأمل
والاعتبار . ابتدر خطابي بقول أرايت ربة السوق كيف تذوق وتدرى . وتساور وتشرى .
وتكشف وتعطي . وتأخذ وتعطي . كيلا تطعم الزوج والأولاد . إلا ما صالح من الغذاء
وجاد . ففى خروجها إلى السوق وتدقيقها الحساب وبحثها عن الحقوق . فوائد اقتصادية جمة .
ومنافع تدبيرية مهمة . يمشى بفضلها القريب الفقراء من الأمة . وتظل الطبقة المتوسطة
راضية المعيشة معتبدة . فإن قليل الفقير . فى القليل كثير . ولا قوام للطبقات الوسطى
إلا بالتدبير . وهذه المرأة إنما تقتصد من الخادم وأجر خدمته . وتأمين الخطرين من غباوته
ومرفقه . وتذيق البيت من ههنا الجملة راحة الخاطر . وسكينة السرائر . وطيب
الرضا بالباطر . ومن جهة أخرى فإنها تهيأ لأولادها الغذاء . كما وجب لا كما جاء .
وتعنى بصحة الجميع من هذا السبب أشد الاعتناء . هذا وإنها تعلم أولادها القراءة والكتابة .
وتلقنهم منذ الصغر الدين وآدابه . فقد علمت أن عائلة مصرية . نزلت فى الإستانة بأخرى
عثمانية ، فكانت الأولى تستعير الثانية طفلة فى الثامنة من العمر . تستعين بها على مراسلة
من لها فى مصر .

وهنا اقتضب الدرويش فسألني : الآن استقل رأيك في كتاب ، وضعه قاض في مصر
 صدق لهجاب . ثم احتجب كالمقصر في الطلاب . أو الغير الراضى لكلمة قالها أن تعاب ،
 مع أن الله سبحانه وتعالى طالما أنكرت كلماته . وجهيت رسالته . ومجّدت من القيام^(٢)
 آياته . وحل الأذى بانيائه ورسله ، وقتل سقراط وألف سقراط من أجله . وإن أحق
 الناس بالصبر على أذى الناس . وأولاهم أن يحاهدوا جهاد أولى العزم والباس . أفراد
 يتدبرون القلم . لتغير ما بنفوس الأمم . ويحاولون الانحراف بالزمر والأخلاق . عن صراط
 في الأخلاق إلى صراط . وإخراجهم من ظلام يزعمونه . إلى نور يشعرونه . إلا من رشد
 من هؤلاء . وكان من الحقيقة تحت اللواء . ثم لم يتفهموا اللواء . فذلك هو الرجل الأحد .
 العظيم على الأمد . الحى إلى الأبد (قلت) إن بعض الظن إثم أو أنت عندك بالسراير علم .
 إذ ما يدريك أن الرجل يستعد ليؤيد كلمة اقترحها . ويسد فتحة قصعها . فكانت حينئذ من
 الدرويش ابتسامة ثم قال أى مصرى فتح ثم سد . وأيمك الذى طلب ثم جد . ومن منكم الذى
 بلغ من عمل . إلى حيث يبلغ بالعاملين الأمل . وهل منكم من صبر على مبادئه ، صبر الحر
 على العيش الكربة . إلى أن تترك تعمل لنفسك . من حيث تمهد عن ابن جنسك . فلا تكثر
 جدالى . وأجبنى عن سابق سؤالى قصد كشفت حالا عن نساء الأقوام . وصرفت اليوم
 ما هى المرأة في طائفة الإسلام . وأصبحت عليك في الحجاب الحكم وليس عليك الأحكام .
 (قلت) إذن فالرأى عندى أن مثل صاحب تحرير المرأة كمثل من سُلط على الحريق المهول .
 نحاطم من غاز البترول . بحسبه ماء . وهولا يريد النار إلا إذكاء . أو هو فيما قصدت نياته
 الحسنة إليه . ولوت سرائره الطاهرة عليه . يريد لأمنه المأخوذة بخناقها . المصابة في أخلاقها .
 أن تكون حالها كحال المرأة التى تقولون عنها معاشر الترك في أمثالكم (أرادت أن تنظف
 دُبُرها فلوثت قبلها) ثم استحوذ على الخجل ، من إيراد هذا المثل . فقلت للدرويش عندا
 يا مولاي إذا قدمت هذا المثل . فإن الحقيقة ظاهرة فيه ظهور الشمس في الوحل . (قال)
 لا لنا ولا علينا . بضاعتنا رقت إلينا . فآتم الآن كلماتك . وفرج عنا غماتك . (قلت) نحن

(١) إشارة إلى قاسم أمين الذى أصدر في سنة ١٨٩٩ كتابه (تحرير المرأة) وكانت له ضجة كبرى .

(٢) القيام (بالتشديد) لغة في القيام من أسماء تعالى . وجهد الآيات : كفرها أو — كتبها .

اليوم غادون على ثلاثة أخطار . أيسرها عاقبة أسوقها إلى الدمار . وكلها آت لا ريب فيه .
أو يتدراك الله هذا الوطن بفتنه بنيه . أو لما انحلال العائلة المصرية . بجميع أحوالها المادية
والأدبية . فإنه لا يمضي يوم إلا ويحدث القوم عن ثروة طائلة أهارها التفرير . أو بيت كريم
هلهه التبذير . أو شرف رفيع آذاه الفساد . أو نسب شريف دنسه الأولاد . فهل على
الرجال من حجاب فتتصرف فيه الأسباب . ويقال هو الجالب لكل مصاب . على أن هذه
الحن تقع وتماد . وتتوالى شذائدها على البلاد . والمرأة لا تزال بين التفتح والسفور . نصفها
في الشوارع ونصف في الخدور . وهي مع ذلك تشارك زوجها في التوقيع على الكيالات .
وقد تجعل إعضاءها بإحدى اللغات . ليعلم المفروضون أنها أشبه شيء بالأوربيات . وتعين
زوجها أو أختها أو أباها على التوقيع في بعض الحالات . فأى يد هنا للجهل . حتى يقال هو
الأصل . والمعلوم أنه ما من مصيبة تضطر لها الأفراد . وتفتت من وقعها الأبد . إلا تأت
من بنات البيوتات . التي تعلمن في المدارس صغيرات . وتهاقن على أسباب التمدين كيرات .
كل هذا وهن لم يترعن بعد الخطاب . ولم يرفن البقية الباقية من الحجاب . فكيف هن إذا
خلعن الصدور . وركبن البسكيت والدوكر . واعتدن القهوة والنادى والبار . أيرجى منهن
يومئذ اعتدال . أم هل يكن أصلح حالا من الرجال . كلا بل تكون البلية ثنتين . وتكون
الفأس المسادمة قاسمين . ويكون البلاء أزل . والخراب أعجل . والفساد أعم وأشمل .
والأمر يومئذ لله .

أما الخطر الثاني فنتيجة الأول . وخلاصته والمحصل . وذلك أن الأهل والأجنبي
في مصر اليوم كلاهما ميسر مستمرين . لا يتجاوز المال بينهما يدين . كلاهما لكنيتهما فرض
عين . فما تفقده إحداها تكسبه الأخرى . وما كان ربحا لهذه كان للثانية خسرا . ثم لا تلبث أن
تفترقا . وقد امتلأت إحداها من حيث تركت الأخرى صفرا .

وإذا كان الواقع المشاهد أن الجلد والجسد كليهما في جانب الأجانب . فقد أصبح من
محتوم العواقب . أن يكون يوم آت . يرث الأجنبي فيه الأحياء والأموات . ويستأثر بأقراض
تلك البيوتات . فيصبح وله النهى والأمر . والجلاء والوفر . والمحاسن الكثر . فإذا عرضت
عليه يومئذ النساء . ورفعت الحجب بين العمى والضياء .

فسيول ثم ويل ثم ويل . لقاضي الأرض من قاضي السماء
وليس الخطر الثالث إلا ثلاثة الأتاق . وهو كسافيقه بالتأمل حرى . وذلك أننا في بلاد
يحكم الأجنبي فيها نفسه بنفسه . ولا يساع أحد القناصل في أحد من بني جنسه . وأن يجنب

هذه الحكومة الدولية حكومة الاحتلال الانكليزية . التي هي أينما حلت . وفي حينها احتلت . تاجر لا يشغله إلا التجارة . ولا يراقب إلا الربح والخسارة . فلا تهمها مسائل الآداب ، ولا تبالي رُفَع الحجاب . أم تمزق النقاب . ثم هي في أخلاقها أن الإنسان على نفسه بصير . وأنه بصير نفسه . فحيث شاء لها كان المصير . فهب أن الحجاب قد ارتفع . وأن الاختلاط قد وقع . وأن ضعف الرجال منا أضاع النساء . وصارت الغلبة في أمرها لمن هو الغالب في سائر الأشياء . فأصبحنا هذا يبكي أخته . وهذا يندب زوجته . وهذا يسأل الناس هل رأوا ابنته . وتوالت المصائب . وانهاالت النوائب . وأصبح قليل ما يقع في أوروبا من الفساد بالعقل . كثيرا في مصر بالغفلة والخور والجهل . فأى باب يومئذ نطرق . وبأى ذيل نتعلق . أبواب القنصل وهو لا تستطيع الحكومة دخوله . أم ذيل الحكومة . وهي بالشركات عنا مشغولة (قال) الدرويش .

(سائح)

(المؤيد) في ٧ نوفمبر سنة ١٨٩٠

٢٠

الآن أسألك عن التعليم . وما أُرصد له في ذلك السفر الكريم . وأستخبرك كيف نزل الجهل بالمرأة في مصر . عن نظائرها المتمذبات من نساء القصر . لعل أخبر زين المؤلف وشينه . وأسبر مهواة ما بينك وبينه (قلت) معاذ الله ما بيننا إلا عهد كريم . وذمام مرعى قديم . إذن ما أثم من اجتهد . ولا ظلم من انتقد . ولا صاحبي بالزرى ولا أنا من يُرى بأحد . لكنني سمعت اقتراح المقترحين في كل حين . وليسوا في كل شيء مغفلين . لتزول أكثرهم عن المركب الوسط . وذهابهم كل مذهب من الشطط . وميلهم في الأقوال . عن سعة الاعتدال . إلى ضيق الصعب والمحال . فإن الرجل الذي يسمر شبابيك الدار . مخافة أن تسمو إليها الأبصار . أو أن تقع عليها عين الجار . ثم يحيى امرأته أن تزور وأن تزار . وأن تخرج في العام إلا نهارا أو بعض نهار . إذا قيل له ماذا عليك إذا اجتمع في المنزل رفقتك . وكانت ربة المجلس امرأتك . لعلها تنتفع بمحادثة هذا العليم . أو تقتبس من أدب ذاك الحكيم ، لاجرم أن الرجل بصاب في قرينه . إن لم أقل يخرج من دينه . بخلاف ما إذا قيل له أنت أيها الرجل قليل الثقة بمن هي أولى الناس بثقتك . كثير المقة لمن تؤذى طول الحياة من مقتك . فهلا أحسنت الظن . وأخرجتها من هذا السجن . وقنعت منها بالحجاب الشرعى . والحال الطبيعي . تحشم في الاتزار . وتختصر من الازديار . ولا يجمعها والرجال قرار . فما هي

بالأمة المدنية . ولا خلقت تموت حياة . بل هي نفس أعز عليك من نفسك . تشاركك في نعيمك وبؤسك . من عرسك إلى ريسك . فما بالها تجرمها نسيم الحياة . وما حرم الله منه الحشرات . ولا حبسه عن السباع في القلوات . فلعل الرجل يقتنع . أو عساه يخضع . لأنه حينئذ يدرج على ترك العادة . حتى يغير اعتقاده . إذ النصيحة المعتدلة تلين الفؤاد . وتملك القياد . وتغلب الطباع الشداد . على التفار والعباد . ومن نظر في كتاب الله المبين . وهو سبحانه وتعالى خير القائلين . وأحكم الحكماء والمؤدبين . وجد من القول الكريم . والتلطف في الارتياح والتعليم . والتدرج في الوصول إلى التحريم . وما يقتدى بمثله الوعاظ والنصاح . وتسرى في ضوء مشكاته القول النصاح .

الدرويش قد وهل في مصر من تسجن العسرة . ومن تموت مئاة من الأيام ثم تبدو مرة في كل عام (قلت) أما الشبابيك المسجورة . كأنها منافذ المقبرة . أو بعض الغرف في طرة فتي . حقيقته بنفسى . وتنهده بعينى وأسى . ولم أسمع بمثل هذه البلية . إلا في بعض المدن الفرنسية . حيث يحرم البرليس بيوت الفساد أن تفتح شبابيكها على رؤوس العباد . مخافة أن تطل منها الجيفة . على الحرة اللعينة . أو أن تسوى الجحرة المدنسة بالجحرة الشريفة . فانظر يا مولاي كيف تفاوت البشر بالفرائز والطباع . وتباينوا في المشارب والشرائع . حتى أصبح ما يعمل هناك تضيقا وعقابا . يسمى هنا حجابا . ويعتبر كالات وآدابا . وأما التضيق في الخروج والدخول . والقضاء على نيم المرأة بالأفول . فبلاء مع الأسف واقع . ماله من دافع . لكن يخفف من وقعه طينا . ويقلل من مصائبه لدينا . كونه أصبح مختصا بفريقين من الناس . محصورا في جنسين من الأجناس . أولاد البله الكبراء . والسادة العلماء الأجلاء . وقد يتعلماهما في الأرياف إلى بيوت العمدة والوجهاء . على أنى لا أنسب ذلك إلى الجهل . ولا أحمله على قلة العقل . ولكنها العادة رجت أقدامها . ونفذت أحكامها . واستبدت بالعقول السليمة زمامها .

ولولا أن الضرورة أشد من العادة حكما . وأن للفقر أصم على ما جيلت أعمى . ما سارت الدهماء في المدن والأرياف . إلا على نهج من ذكرنا من الأعيان والأشراف . ولما بالغوا في الحجاب للنساء . ولو استطاعوا لصعدوا بهم إلى السماء . فإن العامة في مصر أشداء على أزواجهن . من شدة الغيرة طين . وما نراه كل يوم من ضربهم النساء . أو نسمع به من من قننهم في الإيذاء . ليس إلا أثرا من آثار تلك العادة . التي يخفيها عندهم الشقاء . وتظهرها عند الآخرين السعادة .

على أن من تأمل في حديث تاريخ الأمة المصرية . وتنبع مجرى أحوالها الاجتماعية .
حكم لأول وهلة أن مرجع الفضل في ارتفاع المرأة بعض المتلة . وحصولها على الحرية
المتلة . إنما هو للنساء العثمانيات . من تركيات أو بحركسيات . أو كريدات أو أسيويات .
فقد طالما تهافت المصريون عليهن . وثنوا انصباهم إليهن ، فهذهن الأصل . وقومن النسل .
وودن البيت من عماد . وودن العائلة بأوتاد . وبلغن إلى حد تبعاً المرأة عنده أن تسترد . إلا أن
هذا العدد قليل لا يكفي للقدوة . ولا يسير التقليد معه إلا خطوة خطوة . فلبت صاحب
تحرير المرأة لم يخلط العجم والعرب . ولم يلقب الشرق والغرب . بل نظر إلى هذه الأمة عن
حقيقة حالاتها . وهابها في أخلاقها وعاداتها . فسلك سواء الطريق . وأغار فريقاً من الأمة
بفريق . وضرب المضو مثلاً للمضو . ثم دعاه ليحذو الحذو . لعل الساجن لزوجته . الآخذ
بخصاق امرأته . إذا عرف أن نساء غيرها علمن فتملن . وأكرمن فكرمن . وأرضى لمن
الجباب . فما ازداد الإطهارة نيباب . وأصبح رباحين الأزواج . وأسباب الإنشراح
والإنتهاج . عرف كيف يمتنع زوجته ويستمتع بها . ويشق بها ثقة تزيد في عقلها وحبا . فخرج
من هذا إلى أن التلم كذلك مبالغ في أمره . وأن لامة عذرا أن ترى على المؤلف ما ورد
في سفره . إذ من الخطأ التي لا تخيل المرء ، إنه بقدر الرجال يكون النساء . وأن النسبة بين
الرجل والمرأة محفوظة . ودرجة التفاوت بينهما في كل زمان ومكان ملحوظة . فكأن امرأة
المسيوريو ، الذي يقضى نهاره في حمل أعباء الوزارة فإذا جاء الليل رأيته على كرسى التدريس
في " الكوليج دي فرائس " يخلب الأبواب بسحر بيانه . ويفيض على العقول من علوم
زمانه ، لا يمكن أن تزيد معارفها عن قراءة صحيفة . وكتابة فصيحة . والعلم بمبادئ العلوم
الضرورية . ولست وأفر من الآداب الاجتماعية . مما يرجع إلى الزوج أمره . ويتقى إليه
أكثر . كذلك الوزير الشرق النى لا يحسن كتابة كتاب في لغته . ولا يأخذ من لغة الأجنبي
غير ظاهر لبعده . ولا يعرف من العلوم فوق ما حصل منها في شبته . لا يحل مطالبة حرمه
أو بناته . بالتقدم عليه في معارفه ومعلوماته . بل مستكره منهن قراءة القرآن . عن ظهر القلب
أو من طرف اللسان . ومقدار من اللغة الفرنسية يمكن من فهم الرومان . فهم من لا معقول له
ولا بيان .

بقدر الرجال تكون النساء ، ونسلونا معشر المصريين على قسور أبوتن وأخواتن

(سائح)

وبوتن .

(١) الرومان تعريب الكلمة الفرنسية Roman وهي الرواية أو القصة .

فكما أن الأب في البيت شسيع إنسان . وجثمان ولا وجدان . شجر كسلان . يتلهى
بقصص أظافره . ويتشمس في الضجعة الطويلة راحة خاطره . ولا يقرب خزانة كتبه ودقاته .
يفوته المجد والنصر . ولا تفوته نومة الظهر ولا ركمة المصير . وهو واقع لم يعرف التعب . ولم
يذق في نهاره التعب . فإن كان في وظيفة فقد أزاحه المحتلون عنها . وإن كان ذا أملاك
فقد أراحه المستأجرون منها . طومه إلى نسيان . وآذابه في قصصان . وأحاديثه فوضى .
ومبادئه مرتضى . وكتبه التجليد والزينة . وإن كانت ثينة . له في البيت نفخة البس .
وفي النظارة حلاطاة الدلو . يستكبر على صفائه . ويتأى بجانبه عن جاره . ويحتقر الناس
والناس في احتقاره . كذلك تنشأ البنت في عداوة العمل . وعبة الكسل . متقلبة الأهواء .
متكونة الأخلاق تكون الحرياء . إذا تعلمت ذهب التعليم سدى . وإذا ربيت لم تفدها
القرية على الحياة هدى .

وكما أن الأخ مشغول بغيره . مشغوف بغيره . ويبحث عن أحدث الأزياء . ويتعلق
بمظهر الأشياء . ولا تستقر به ^(١) راحة في مدرسة . من السامة والوسوسة . فمن ما رسل إلى
كليب . إلى الخزويت إلى الفرير . ومن الفرنسية وهي لسان الملوك والسلاطين . وانحة
القصر بكل بلاد وفي كل حين . إلى الإنجليزية التي هي المحل الأول . ولها في وظائف
الحكومة الشأن المستقبل . إلى أن تكون النتيجة ضياع اللغتين . كما ضاع من قبل لسان
الوالدين . كذلك البنت تشب على مثال من أخوها يحذيه . وأثر من أحواله وأخلاقه تقتفيه
فإذا تعلمت تعلمت مضطرة . وزار كل مدرسة مرة . تألف العجب والاختيال . وتعناد
الكسل والإهمال . وتعلق بالصغائر الآمال . حتى إذا وجب الزواج وهي لم تستعد له . ولم
يدخل هلالها بعد في هذه المزللة . أقروا بها من عقله كعقلها وأدبه كأدبها . ومن طابقت
حالته منذ النشأة حالها . فلم تك تصلح إلا له ولم يك يصلح إلا لها . أخذها متعلمة قارئة .
كاتبه متكلمة . وأخذته لسانسيه . من أكس أو مونبلييه . تعرف الحساب لكنها لا تحمد
ما تحسبه . لأن رب البيت ينفق ما يكسبه وفوق ما يكسبه . وتتكلم بالفرنسية لكنها

(١) البرهة قطعة من الزمان طويلة . وشوق يرد منه . وقد نهى إليزابي إلى هذا الخطأ في تقدير رواية

لا تجرد من مكله . لأن زوجها المتمدن في مكان لا تعلمه . وقد حوس عنها حقيقة الحب وجلاله . وغادوها تأخذ من الروايات كذبه وخياله . وبالجملة فالمعاملات في مصر يا مولاي كثير . والتعليم فيها للبنين والبنات غزير . والنسبة بين الأزواج موفورة . والمنزلة بين الرجل والمرأة . من كل طبقة مقدورة . فالمتعلم لا يتزوج إلا متعامة . والمظلم لا يتزوج إلا مظلمة . وقُل شاب . نشأ في المعارف والآداب . إلا وامرأته تناسبه حسابا ونسبا . وتدانيه عقلا وأدبا إلا أنها حركة تقطع بالأمة المدى . ثم لا تبلغها إلا المبتدا . مادام البناء على المساء . والتعلق بالهاء . إذ الرجل والمرأة كلاهما في حاجة إلى أساسين عظيمين . وسبيين وثيقين . ليلغا الشاؤ المطلوب . ويحصلان من التعليم على التجاح المرغوب . لغة طلبة يجتمعان في التعلم لديها . وأخلاق قومية يرجعان في التربية إليها . فإذا فاتنا هذا فأت الأمل . من كل سعى وعمل . ولم نكن في نهوضنا المزعوم . ورفيقنا الموهوم . إلا كالطير ارتفع ثم وقع . أو كالدخان تعالى ثم تبدد وانقطع . وقد أوشك إخواننا السوريون يمتازون العقبة الأولى . ويكون لهم في إذلالها اليد الطولى . فان من جاشر شبانهم وخالط فتيانهم . بل إن من حادث أحداثهم وصبيانهم يندعش من تساويهم في قراءة اللغة صحيفة . وكآبتها فصيحة . والعناية بها . والدأب في طلبها والتهاقت على درس قوافيها . والإعجاب بما يغرب المغربون فيها . ولا جرم أن انشغلهم بالعلوم العربية . واجتهادهم في تحصيل الفنون الأدبية . مما يلين لهم أزمة العلوم الأخرى . ويدين أئنة اللغات الكبر . ويشترهم بمستقبل محجل أغر .

(سائح)

(التريد) ن ٩ نوفمبر سنة ١٨٩٩

٢٢

الدرويش — انتهى من هذا إلى أنك معجب بالمرأة العثمانية . وأنت تغبطها بلسان أختها المصرية . وأنت صرفت في مصر آثارها . قبل أن أحدثك أخبارها . وأن ترى وطنها وتزور ديارها . فأى برأت به جازيا . وهل لك أن تقول شيئا فيها . فجعلت أتصل وأعتذر . وأتوارى وأستتر . والدرويش يقترح اقتراحا . ويلح إلحاحا حتى وجد الامتثال . وحق المقال . فقلت في الحال :

يا ملكا تبدا مصليا موحداً^(١)

(١) القصيدة منشورة بعنوان (المرأة العثمانية) في الجزء الأول طبعة قديمة ص ٢٣٨ وفي الجزء الثاني من التوقيات ص ٢٢ فلا داعي لإعادة نشرها هنا .

فلم أرعت من الإثماد . أنشأ الدرويش ما أراد . قال جزيت عن الفناء خير الجزاء
ولا أضاع الله أجر الثناء . فهل من جديد ترناح الآن إليه . وتريد أن تطلع عليه (قلت)
وجدت لو جئت ببعض رجال الأدب . من طائفة القرك . لا من طائفة العرب . فما زالت
الفراسخ عراش الأمم والشعوب . وما كنت أكتب من الأقوام بمقالة التباط من القلوب .

(الدرويش) — إلى جامعك برجل كبير الحياة الأدبية . جليل السيرة السياسية .
مؤلفاته مد غومة لا تحصى . وآثار فضله بينهم لا تحصى . حتى يقولون عنه إنه أول من
علمنا القراءة والكتابة . وبث فيها معرفة ونشر ثقافة . ولكن لا أكتبكم أنهم بعد أن اشتدت
سواعدهم . انسحب من الميدان قائم وأصبحوا يفتقدونه بالحق . ولا يرونه قد بلغ من
الشهرة ما يشقى . الله قد نظم كلامهم . قد يسلمهم التسليمة . وإن كانوا لحولا
جواندة . فلا يبقى إلا فضل العلم . وفق الحرية القديم .

قد ذكرني عبارة الدرويش هذه رجلين عظيمين . عزيزين على المصريين كريمين . ألا وهما
المرحوم رفاعة بك أول من ترجم ومن علم بالقلم . والمنفردة على باشا مبارك روض المعارف
وظلها الوارث . ورائع لؤلئها . وعلى أساس بلانها . وإذا كنت أحب العلماء المجدين .
واختص بالحب العالمون منهم المرتدين . سألت الدرويش .

(مفتح)

لقسم الثاني

(١٩٠٠ - ١٩٠٣)

(المجلد في ٣ رمضان سنة ١٣١٧ الموافق ٤ يناير سنة ١٩٠٠)

(من تهته بإقبال شهر الصوم المبارك)

أق هذا الشباب تعف نفس	ولا يلهى الفنى هذا النعيم
ألا يدعوك للذات صفو	وأكثرنا على كدر يحوم
كان مكارم الأخلاق روض	وأنت الزهر فيه والنسيم
فهلا أختر هذا النهج قوم	خلال الدين بينهم رسوم
وما جهلوا فوائد ما أضاعوا	ولكن ربما نسى العليم ^(١)
تغيرت فلا ظن جميل	بخالفنا ولا قلب سليم ^(٢)
كأنما في التلون قوم موسى	وأنت بنا كما شقى الحكيم
فإن لم نرض أخلاقا ففسدرا	لعل ضلالتنا هذا قديم

(شوقي)

(١) و (٢) في هذين البيتين صور شوقي المجتمع المصرى من الناحية الدينية والاجتماعية والسياسية : الدينية

في قوله (تغيرت فلا ظن جميل بخالفنا) ، إشارة إلى الشك الذى بدأ يغرب إلى بعض النفوس ويحل محل اليقين .

الاجتماعية في قوله (ولا قلب سليم) . والسياسية في قوله (كأنما في التلون قوم موسى) : إشارة إلى تقلب كثيرين من

السياسة المصريين في ذلك العصر بين حادين وقصر الدوابة . والتلون كالتمائم من الكلمات العربية الصميمة التى

لا مقابل لها فى اللغات الأجنبية .

الرد على هانوتو

كان الوزير المؤرخ الفرنسي الشهير جبرائيل هانوتو كتب مقالات طعن فيها في الإسلام فرد عليه الإمام الشيخ محمد عبده بثلاث رسائل نشرها (المؤيد) تباعا في ١٧ و ١٨ و ١٩ أبريل سنة ١٩٠٠ ، وقد جاء في (المؤيد) عدد ٢ مايو سنة ١٩٠٠ ما يأتي : « إن ذلك العالم المفضل^(١) والإمام العظيم الذي رد على مسيو هانوتو قد كتب أعلى ما يكتبه الفيلسوف وأشد ما يحتاج به المنطق وأبلغ ما يسطر البليغ ولذلك أمتدحه شاعر من أبلغ شعراء هذا العصر^(٢) بشق كل الأفعال وأحمل الجواهر قال : »

محمد) ما أخلقتنا ما وعدتنا	جمعت وقال الحق فيك ضمير
فأنت خضم العلم حال مكتوم	وأنت خضم العلم حين تشور
وأنت أمير لفظ والقول والنهن	إذا لم ينل تلك الثلاث أمير
فوق طبع القوم منك معلم	وفوق وزير القوم منك وزير
إذا جهلت يوما طينا خصومنا	فأنت من جهل الخصوم مجير
وإن جرروا الأقدام جرمت إثرها	وأما له في الخافقين صرير
إذا صدق لاقى ضيق القوم شيئا	له في غموس الشائين زئير
وأنت قريب في الولاء مؤمل	وأنت أبق في الخصام كبير
وبعيني منك ألتقي حين لا تقى	وجدك حين المازلون كثير

(١) مقالات محمد عبده في الرد على هانوتو لم تنشر باسمه في (المؤيد) وكان معروفا أنها له . وقد جمعت في كتاب على حدة في سنة ١٩٠٠ ، ونسبت لـ « عظيم من عطاء الإسلام وإمام من أئمة الأعلام » . والعجيب أن ينسب لإمام الأئمة وسيد الشعراء .

(٢) إن شوقي عل الرغم من ولادة الشهداء في مصر التي كان يرى في محمد عبده خصما لدودا له كان أشد ولاسيما الرأي والخطبة . فكانت لا تترك خطبة للشيخ « الزبيدي » من المنابر والمنابر بالحق صراحة أو تلجها وفي هذه الأبيات التي يخاطب بها محمد عبده وضع الشاعر مدحها في مرتبة أعلى من مرتبة الأئمة والعالم والوزير .

مدحة مـنـيـة

بمناسبة سفر الخديوي إلى انكلترا في شهر يونية

ظهرت قصيدة شوقي في المؤيد في حوالى ٣٩ بيتا . وقد أعيد في الجزء الثانى من الشوقيات صفحة ١٥٩ من باب النسب نشر أبيات الغزل (١٦ بيتا) . ولكننا رأينا إعادة نشرها كاملة لأنها من غرر قصائد الشاعر ولأن أبيات المديح فيها قليلة ولأن النسب الذى اختاره الشاعر قد أدخل عليه تعديلا ذهب بروعة أهم أبياته . مثال ذلك :

آفة النصح أن يكون جدالا وأذى النصح أن يكون جهارا

صار هذا البيت في الجزء الثانى من الشوقيات الذى صدر في سنة ١٩٣٠ :

آفة النصح أن يكون (لجاجا) وأذى النصح أن يكون جهارا

وكلمة (لجاجا) تقبلة . مع أن نص الحكمة كما ورد في (المجلة المصرية) عدد غرة يونيو سنة ١٩٠٠ صفحة ٨ هو : « آفة النصح أن يكون جدالا . وأذاه أن يكون جهارا » . وفي (أسواق الذهب) طبعة الملل سنة ١٩٣٢ صفحة ١٣٠ وردت الحكمة بنصها القديم « آفة النصح أن يكون جدالا وأذاه أن يكون جهارا » . وفي صفحة ١١٦ من نفس الكتاب وردت الحكمة في صيغة أخرى لا تختلف في جوهرها عن الصيغة القديمة : « النصح ثقيل فلا تجعله جدلا ، ولا ترسله جبلا » .

ومثال آخر:

لم نفق منك يا زمان فنشكو مدمن الخمر ليس يشكو الخمارا

هذا البيت الرائع طالما أطنب في امتداحه الأديب الفواق المرحوم مصطفى لطفى المنفلوطى وقد هبط به شوقي إلى الحضيض بصياغته الجديدة :

لم نفق منك يا زمان فنشكو مدمن الخمر (لا يحس) الخمارا

ذهبت من البيت طلاوته وموسيقاه وجدة معناه .

هذا فيما يتعلق بالنسب وما إليه . أما فيما يتعلق بالمديح الذى أسقطه الشاعر فأهم أبياته ما قاله عن الملكة فكتوريا والانجليز :

لا يبالون بالحوادث ربحا حملت في بطونها أم خسارا
جمعوا الجهد والفضائل طرا وجمعنا صفائنا وصغارا
إنما يبلغ القدر بالقدر من هذا الحنو واقتنى الآثارا
ومما العمل سمى أبدا بأف الهون منزلا وقوارا

وإذا كان شوق قد لام أنه على قصبتها في طلب العلى وعلى جمع « الصغائر والصغار »
يتأرجح الإيجاز « الجهد والمفاخر طرا » فإن إشارته بالأبى الذى « بأف الهون منزلا وقوارا »
ثم قوله بعد ذلك :

وإذا ما العزير طوى أظفاره علم الجهد أهلها والنفاخا
يتضمن تورية مسترا « سهدا » قد بوى قصه وحنا له على طلب الجهد والرفعة لبلاده
أسوة بالقوم . وذلك لم يتجاوز ما يجهه الصريح قد بوى فى القصيدة أكثر من أبيات
مستوحات .

القصيدة

بدا العليف بالجميل وزانا يا رسول الرضى وقبت العثارا
خذ من الحفن والمؤاد ميلا وتيمم من السويداء دارا
أنت إنبت في الحقون غاملا عادة النور يتزل الأبصارا
زار والحرب بين جفى ونوى قد أمد الدجى لما أوزارا
حسن يا خيال صمك عندي أجل الصنع ما يصيب افتقارا
ما لرّب الجمال جار على القدر حب كأن لم يكن له القلب جارا
وأرى القلب كما ساء يميزه به عن الذنب رقة وأعتذرا
أجرح الفرام يطلب عطفا وجرح الأنام يطلب ثارا
أيا العاذلون نعم ورام السرى عهد من مقلتي أمرا فصارا
أف النصح أن يكون جدالا وأذى النصح أن يكون جهارا
سأنتى عن النهار جفوني رحيم الله يا جفوني النهارا
قلن نيكه قلت على هموما قلن صبرا فقلت هاتى اصطبهارا
يا لبالى لم أجندك طوالا بعد ليلى ولم أجندك قصارا

إن من يحمل الخطوب بكرا
لم تفق منك يا زمان فنشكو
فأصرف الكأس شققاً أو فواصل
لا يسأل بجهل صفارا
مدمن الخمر ليس يشكو الخماراً^(١)
نرج الرشد من أكف السكاري



شعراء الزمان مهلاً رويدا
حاملاً في الصبا لواء القوافي
قد بلغنا (أبا محمد) النجم
نوجي منه للديار اعترازا
ودع الصبر أمة ودعت عبا
بعث لئله القلوب تراعي
فأصدها قسرية بابن توفيق
أنت في نصرة الثلاثين كسرى
لا يزال الوفا في الشيب حتى
تبعثن كالنجوم نراها
أفنى إن شئت بالتواء اللبالي
وجب البروارك البحر واسلم
فلذا جئت ملكة تملك البر
صاغ اليمن والسعادة والتوف
والق ما شئت من حفاوة شمس
كلما ألفت الشعاع بأرض
وأحق الأقوام بالمزقوم
إن في مصر شاعرا لا يحارى
مسترقا لملكه الأشعارا
م كما يبلغ السؤاة المنارا
وجدير بأن يعز الديار
سها المرجى عشية سارا
به وترعى وتأخذ الأخبارا
ق وهي لقومك استبشارا
قاتل الدهر أو أجل وقاراً^(٢)
تردى المشيب ثوبا معارا
جاوزت وهي في الصبا الأعمارا
ولإذا شئت أفنها أسفارا
إن للبدر في السرى أوطارا
ر يميني وباليصار البحاراً^(٣)
يق والحد والحظوظ البكارا
تكمبر الشمس عرشها إكبارا
شاطرتها العباد والأمصاراً^(٤)
يقدرن الأمور والأقداراً^(٥)

(١) الخمر بالضم : صداع الخمر إذاها وبقيّة السكر . وقيل للإخطال « ماذا يعجبك من الخمر فان أولها مراراً آخرها نحر » .
(٢) قاتل الدهر خبرة . وقد تكون قاتل من قتل أى أصاب قتاله (يفتح القاف) .
(٣) الملكة فكسور يا التي حكمت إنجلترا القاية موتها في سنة ١٩٠١ .
(٤) شاطرتها أى ناصفتها أو أخذت شطرا
وأعطت شطرا .
(٥) يقدرن : يقسمون ويدبرون ويقيسون ويهيئون .

ورجاء إذا سحوا للعالم ركبوا في سبيلها الأخطارا
لا يبالون بالحوادث ورجا حملت في بطونها أم خسارا
جسموا المجد والمفاخر طرا وجمعا صفائرا وصفارا
إنما يبلغ الذي بلغوه من هذا الحذو واقتضى الآثارا
وسما للعلى سمو أبي بأنف المهن متزلا وقرارا
وإذا ما العزيز ناسى بلادا علم المجد أهلها والفخارا
كوكب الأملين صبح القسنى كلما همت الخطوب أنارا
نحن رضوان في جوارك يا م ناس لا زلت للعباية جارا

خَلَقَ الْمَرْأَةَ فِي الْهِنْدِ

تقريرا عن فصل ورد في جريدة (الديبا) الفرنسية

لحضرة نايبة العصر أحمد بك شوقي

أروى لكم خرافة في غاية اللطافة
أنت من الهند لنا وترجموها قبلنا
إلى لغات جمه لأن فيها حكمه

♦♦♦
(طوشتري) معبود أمه الهندود
قالوا هو الذي برا هذا الوجود والورى
ومثله (فلكان^(١)) فيما رأى اليونان
كلاما حداد عبده العباد

♦♦♦
فحين صاغ العالم كما يصوغ الخاتما
أنفق ما كان أذخر ولم يدع ولم يسذر
وكل شيء بذلا حتى أتم الرجل
وضاق بالنساء في الخلق والإنشاء
فأر ماذا يجمع ومنه أننى يضع

♦♦♦
وبعد فكر أعمله حتى بدا الصواب له
كونها تكوينا مختلفا تلونا
من استدارة القمر إلى لطافة الزهر

(١) الاسم اللاتينى لإله النار والمعادن عند اليونان . وتروى الميثولوجيا اليونانية أن هفايستوس (أو فلكان)

كان شديد الكتابة لدرجة أن أمه قدفت به من أعلى جبل الأولمب فأصابه العرج . وقد أنشأ في جزيرة صقلية ، تحت

بركان إتنا ، حدادات كان يباعده في معالجة الحديد فيها عملاقة جبارة يحملون عينا واحدة وسط جباههم .

إلى تراوح المشب^(١) إلى رشافة القضب
فلو حظت الريم ففلق النسيم
فهبجة الشراع فقسوة السباع
فقسوة الخناس وماله من باس
فزهوة الطاووس تأخذ بالنفوس
ومن دموع المسحب إلى انكماش الأرنب^(٢)
إلى التواء الأرقم فالزغب المقسم^(٣)
فالحسر من وقود فالبرد من جليد
فالشديد المذاق خففة الأوراق
إلى التالى التبت زاحفه والتبت
فتنعم المدير فبذر المصفور
وكل هذا حياء مكوث منه امرأة
وبعد ما أنهما لبده قدمها
وقال خفعا بأرجل ومن هواها لا تحل
فبعد أسير معى أنى له معترضا
بحول يا الله غلغا كفانى ها
لا صبر لى منها ولا أرى بهالى قبلا

(١) للحيا طراوة المشب . (٢) المقسم : البطل . والواقع أن هذا البيت انتهى قبله .

ومن دموع المسحب إلى انكماش الأرنب

فماضين . . . ويعينى بهله الخامسة ما كان شكيب أرسلان عن القصيدة المنشورة فى الجزء الأول من (الشوقيات)

طبعة سنة ١٩٢٦ ص ٢٩٦

رضى المسلمون والإسلام فرع عمان دم فذاك الدوام

« هذه القصيدة غير خالية من أبحاث فيها غموض وألمح فيها تعقيد ولكنها على كل حال طامرة بشوارد الأبيات وشوقية كمنزلة الشوقيات وفيها دور يعظم وألفاظ كسج الخاتم » (شوقى أروادة أربعين سنة . للأثير شكيب سنة ١٩٢٦) .

على أن معظم الغموض الذى يجرى فى بعض أبيات (خلق المرأة فى المنشد) قد يجلوه ما جاء فى الجزء الأول من (مجموعه وحشوس) - فبراير سنة ١٩٣٢ تحت عنوان (المرأة) - وقال ثنوسترى حكم الهند إن الله لما أراد أن يخلق المرأة أخذ أسنودة القمر . وتزوج الأنثى . وأحياك النبات العرش . واعتزاز المشب . وقوام القصيدة . ولحن الأناجر . وخفة الروقاء . ونظر الشاة . وأجساد أئمة الشمس . ودموع التيوم . وتقلب الرياح . وحيا الأرنب . وكبرياء الطاووس . وقسوة الخناس . وحلاوة الشهد . وظفافة القرم . وخلق من كل هذه الأشياء المرأة .

تظل تشكو الداء	وتخلق الشحاء
مخاللة على الغضب	شاكبة ولا سب
قد ضيقت أوقاتي	وأذهبت لذاتي
فأخذ الإله	ما كان قد أعطاه
فلم يكن بعض زمن	حتى تولاه الحزن
فقال رب ردها	فما نعمت بعدها
بانت فلا أنساها	كانني أراها
مائلة أمامي	مائلة أياي
لطيفة في لميها	خفيفة في وثيها



قال الإله للرجل	حيرت مولاك فقل
ماذا الذي تريد	أحفظ أم أعبد
فأخذ الرفيقة	وقال ذي الحقيقة
لا أعيش لي معها ولا	بغيرها العيش حلا

شعر أجنبي في قالب عربي

للشاعر الفرنسي ألفريد دي موسيه

لا تسرق الشعر واتركه لقائله فارت أفتح شيء مرققة الناس
إني وإن صغرت كلهم أخو أدب أسقى وأسقى أولى الألباب من كأس

ولبعض شعراء الترك

مكن في التواضع كالسدا مة حين تجلى في الكؤوس
مشت اتشادا في الصدور ر فحكوما في الرؤوس
وله أيضا :

علم القواد يشادن ألف للدلال على المدى
أبكي فضحك ثمره والكم يفتح الندى

بعضهم لبعض كالمرآة

رأيت قومي يلطم بعض بعضا إذا غابت الوجوه
وإن تلاقوا ففي تصاف كأن هذا لذا أخوه
كرهم لا يسد سما ووغدهم لا يسد فوه
وكلهم عاقل حكيم وغيره الجاهل السفه
وذا ابن من مات عن كثير وذا ابن من قد سما أبوه
وذا بإسلامه مدل وذا بمصياته يتبه
وكلهم قائم ببدا ومبدأ الكل ضيعوه
فدبدالي أن قد تساوى في ذلك النمر^(٢) والنبيه
وليس من بينهم تزيه ولا أنا الواحد التزيه
جلت هذا حراة هذا أنظر فيها ولا أفوه
(شوقي)

(١) الكم (بكسر الكاف) وماء الطلع و — غطاء النور (فتح النون) و — الغلاف الذي تشق عنه الثمر ويحيط

به يسمى بكالانه يستمر ما تحته . (٢) النمر من لم يحجب الأمور و — الجاهل الأبله .

ما بعد الصين

نشرت (المجلة المصرية) القصيدة الآتية لشوقي . وسنشهد لها مجوز عن حالة الصين وقتئذ . كتب خليل مطران في عدد أول يولية سنة ١٩٠٠ من مجلته تلخيصا لحوادث الصين جاء فيه " وفي سنة ١٨٤٠ حدثت حرب الأفيوم الشهيرة وذلك أن انكلترا أذنت بزراعة هذا المخدر السام في بلاد بنغال (الهند) وكانت تهربه إلى الصين وتستورد منه ستين مليون فرنك دخلا سنويا فاتفق أن عاملا صينيا ظفر باثنين وعشرين ألف صندوق من الأفيوم كان جماعة من تجار الانكليز يدخلونها سرا إلى الصين واشتد على أصحابها فحملت انجلترا بأساطيلها على الصين بدعوى أن بعض رعاياها أهيئوا واحتلت جزيرة شوزان . ثم عرضت على الامبراطور شروط صلح ثقيلة فلم يقبلها فجهزت جيشين وأرسلتهما برا فلما وصلا إلى نانكين عقد الصلح سنة ١٨٤٢ على فتح خمسة من الموانئ الصينية للتجارة الأجنبية وترك جزيرة هونج كونج لانكلترا وغرامة قدرها ١٢٠ مليون فرنك . واتفقت الحكومتان على منع تجارة الأفيوم غير أن إيراد بنغال منه أناف بعد ذلك على مائة مليون فرنك سنويا .

وفي سنة ١٨٤٤ أوفدت فرنسا سفيرا إلى بكين لعقد معاهدة تجارية من مقتضياتها إلغاء كل أمر صدر في حق المرسلين الكاثوليك سنة ١٩٢٨ وإعادة الكنائس التي صودرت إلى أربابها ومنع الأذن بنشر تعاليم الانجيل . وفي سنة ١٩٥٦ قتل بعض دعاة الدين الكاثوليك فانخذت فرنسا وانكلترا ذلك وسيلة لمحاربة الصين معا ودخلتا عاصمتها سنة ١٨٦٠ وكان الأمر يكون قبل ذلك بستين قد دخلوا اليابان عنوة بدعوى أنه لا يجوز إقفال مرافئ وضعها الطبيعة في ذلك المكان لوقاية السفن من أخطار بحر كثير العواصف والأنواء .

"وفي سنة ١٨٥٦ رأت روسيا ما حصل في قلوب الصينيين من رعب لاغارة الفرنسيين والانكليز على وطنهم فاستولت على بلاد منشوريا الواسعة وتم لها ذلك في سنة ١٨٦٠ ثم شفعته بعد ظلها على كورية واكتفت انكلترا بجزيرة هونج كونج ومرسى لمراكبها واتخذت فرنسا في الكوشنشين مستعمرة زاهرة . وليس بخاف على أحد ما جرى بعد حرب اليابان من الحوادث التي وضعت الدول إزاء الصين موضع السباع أمام الفريسة فكأن كلبا أمكنت فرصة واحدة منهن أنشبت ظفرها في جسمها والتمت قطعة مما هو أقرب إليها برغم أنه « في منطقة نفوذها » وأعظم ما مزقت الصين ونهشت في السنة الماضية . ولا ريب

أن هذا من أكبر الأسباب التي تار من أجلها عصابة الملاكين (بوكسر) وهم جماعة رياضة بدنية في الظاهر وأهل مطالب سياسية في الباطن . وقد تفرعوا من جمعية السكين الأكبر وكان حلة تحزيمهم حل هذه الصورة انسلاخ كياوتشيو وميناء آرثر وواي هاى واى عن بلادهم ودخلوها في ولاية الأجانب . ومشهور أن الإمبراطورة كانت المعرضة لهم على هذا العمل المؤيدة لم فيه . وهى عجوز ذات دهاء استبدت بثلاثة ملوك قبل تولي هذا الشاب الذى لا حول ولا طول له بين يديها . وكان سلطانها عليهم كما كان على الصين كلها . وهكذا يسود الفساد فتضيق البلاد وتنشق العباد وكل شئ بمجاد .

هذا ما كتبه مطران ولا شك أن خاتمة مقاله " وهكذا يسود الفساد فتضيق البلاد " لا تستقيم مع الحقائق المينة في حطب المقال . فليكن جاعت قصيدة شوق بعد ذلك مرآة لهذا التناقض بين الوقائع والحكم عليها . ومعلوم أن أوروبا في القرن التاسع عشر قد جرت في الصين على نفس السياسة التي جرت عليها في أفريقيا ومصر وهى سياسة التعصب الإجماعى ونهيت كل مقاومة بالإسلمة الحديثة كالكمس والموزور وفرض غرامات فادحة أو إهارة أحوال بفرالده باعطة لتسيير البلاد عن القروض الاقتصادية وتحقيق مشروعات الإصلاح والتجهيد لاستعمارها بإرسال المبشرين لزلالة العقائد الوطنية . وكانت أوروبا ، كما فعلت في مصر ، تضع يدها على الإدارات والمصالح المختلفة صفانا لأموالها تحت ستار الإصلاح وإفقاذ البلاد من القروض . وأما أنتع مظاهر التعصب والبلشع الأوروبي في القرن التاسع عشر هو تقسيم بولندا وتقسيم الصين ، وتقسيم مصر وإمبراطوريتها الأفريقية ، وما صاحب هذا التقسيم من مجازر وظلمة مهيبة كانت وصمة في تاريخ المدنية و " التضامن الأوروبي " .

وقد فطنت محافلنا الوطنية إلى مغزى ثورة الصين فكتبت (المؤيد) في افتتاحيتها في ٨ يولييه سنة ١٩٠٠ تقول : " تتجاوز الأوروبيون في طمعهم واستهانتهم بالشرقيين وخصوصا بالصينيين ، كل حد فهم قد ذهبوا زرافات ووحلانا وسفارات ومبعوثين إلى الصين ضارين في أرضها من كل حذب متمهين عليها شر الاثماني ، ملتين على رؤوس الاشهاد أن أولئك القوم ليسوا جديرين بأن يكونوا أملا لوطنهم وعلى كادبارهم .

" أطن الأوروبيون مرارا وجهارا أنهم سيخسرون الصين فيما بينهم ولكن ريثما يتفقون .
الناقدون ليس يهوض الصينيين الآن ثورة . ومعلوم أن الحكومة الصينية سرانصار
النوار... الخ " .



لمن المساكن كالقابر ياوى لها حتى كغبار
تجيب الدنيا صدور والأوائل والأواخر
تقف الطبيعة دونه تسمى الميامن والمياسر
وتذود عنه شياخ منها وآونة بزائح
وهو المضلل كاليعا قسر والمشرذ كالصافر^(١)
ديناه دنيا الخامله من ودينه دين الأصاغر
ولناثه لا لنا بر قد خلقن ولا الخاير
وطوبه درست وعفا ها من الأزمان دائر
أوعى صفات الجدو د وأسقط الحكم البواهر
الأمر فيه تكلمن والنهى مرجعه لساير
وإذا بنام نفسه والنفس أعطى الكل صاير
فن الملوك إلى الولا ة إلى الجبلة تراه حائر
هو بينهم ذاك الكبي ر وكلهم للكل جابر
ومن العجائب ما لوى ذنبا ولا رفع العقائر^(٢)
غير المظالم والمفار م ضارح للهون صاير^(٣)
كلب إذا خوضه صقرو إذا أمنت كاسر
جبل تقلقه الربى فيل تطارده الجاذر
بين الساد وبیشه غور من الأحقاد غائر
وقسلام في طبعه كالقار تلقاه السائر^(٤)
لو أقطوه صوفهم عمر من الخناجر في الخاير
وسقى من المهجات أك جادا أحتر من المواير

(١) المصفور على لون الزراب وسد الخشخاش - ولد البقرة الوحشية به بعاير (أو بعاير) . وقيل البعاير

تسمى الطيلاء . والمصافر كصافير . (٢) لوى ذنبه أى حركه والمقبرة الصوت .

(٣) المير الجلود حشيا كان ذرا أهليا . (٤) السور حيران أبيض اللون يأكل القارج به سائر .

تلك النسيم والهاجر كل والهاشد والهاشر
 تلك السواحل والآبار كل والحيال والزواجر
 تلك المسالك والفرج لا تفتني لم يفتني ناصر
 تلك المصادر لا تفر ربه والموارد لا مصادر
 الطير فيها يستلج من الروح والحيوان عائر^(١)
 والجمح حطير في العنا وفيها من الطلائع ماهر
 بأصولة أحداها بصورة منها العاسر^(٢)
 بالوحش في غنى الأنا م عشارا حازت عشار
 أم بكائها كالحق لها بولس لها بكائر
 لا خلفها الخلو لوسم لهم ولا خلاهما نواصر
 مسير الليل والنور عطف والنواجد والضاير
 حبروا في روض حيلة في روضها فيها الضاير^(٣)
 وحشوا بالقدم حيلة في روضها فيها الضاير
 وكان سديمهم المصن أو القمي أو المصنائر
 ولقد يتنونه القدر في لنا علوا والأساور
 وهم قناور السلا مرقع العمام هم المداير^(٤)
 ونرى حراب الردب بهم وبين الجن عامر
 ينصرخونهم إنا نرى على الآس المعاصر

بالقوم هذا موقف ولكن التهور فيه هائر
 لا يلحن نبيد طائر مع ولا من الأرباب ناصر
 كلا ولا يفتق الركا ولا البخور ولا الجاسر

(١) طائر الفرس والكلب في الأرض يترعرعها الخلق وذئب منها وهو من مفرجه أو هام على وجهه لا يتبعه غيره.
 (٢) العنبر (نوع من الحصى) والفرج (نوع من الحصى) والفرج (نوع من الحصى) والفرج (نوع من الحصى) لا يفتني ناصر.
 (٣) المصيرة العنبر (نوع من الحصى) والفرج (نوع من الحصى) والفرج (نوع من الحصى) لا يفتني ناصر.
 (٤) المداير (نوع من الحصى) والفرج (نوع من الحصى) والفرج (نوع من الحصى) لا يفتني ناصر.

والأصم ليس بشافع ولو أنه أدى المناسك^(١)
 إن الكفاية السكا سم والسوايل والسوازل^(٢)
 ولقد تصونكم البرود ع ولا تحبونكم المناسك^(٣)
 فكثروا منا ذكروا ت لأنه خير للشارع
 وتخلصوه وعلموه صفاركم ممن الشعائر
 هيأت قد نفذ القضا وصبرتم في حكم قادر
 مطلب الظنوى إذا أخذ القرينة لم يضاد^(٤)



بأيت شعري من علو ر عليه بعدكم الدوائر
 الوقت أضيق أن نأ لط في الحقائق أو نكار
 لم يسبق إلا كرمه السليلين بغير قاطر^(٥)
 إن نام عنها الحافظو ن فإن جفن الشر ساهو
 من كان يقرب فرمة فليغم القرصن الحواسر
 لا يمشين السلطان وضيء الجسد طائر
 لا يحسن الجسد وال عياه في كذب المظاهر
 حسدا بأقلب يق وذا بأنايب يخامر
 وإلى الأجانب تقبى نعم الصانع والمناسك
 ولؤلؤ حكمل إمارة لم يرعها في القسوم أمر
 إن دام هذا فالسلا م على العلوب والمناسك
 وعلى البرود بلا لعا قل والبحور بلا (محاضر)

(١) إشارة إلى حرب الزكمر - واليونكركة الخيرية معاً ملاكم أو لكام .

(٢) المتكلم جمع تكلم اسم مدح مريج الطلقات - والموازل نوع من النفاق .

(٣) المقروضة يسج من الدروع على قدر الرأس وليس تحت القنطرة .

(٤) الظنوى الاسم من طاروته كدبت ثمره بطواها - وطفى وطفا الوارى كطفى الوالى جاوز القدر والحد .

(٥) الطائر - طر كان الكرم والنخل والزرع طرا وتطارد - تحفظه .

نشيد نوار اليوكسر

وهو معرب عن ترنية لفرنسية للأصل الصيني

وجهة النظر الأولى إلى ثورة اليوكسر (التي كان) : اتهم أعضاء إحدى الجمعيات السرية الحديدية ، ذوات التهمة السياسية والدينية في الصين ، وكانوا يسمون (المصارمين) أو المقاتلين في سبيل العدالة ، وهم قوم من فلاة التعصب ورجيون صاروا الأداة التنفيذية للحركة الثورية المطالبة بالثبات التي أدت إلى تدخل أوروبا الإجماعي في الصين في سنة ١٩٠٠

كتب (اللواء) في عدد ٣٠ من المجلد ١٩٠٠ يقول : " ثورة اليوكسر في الأصقاع الصينية حيان : أولها : أن الصينيين هم من خلقوا متكبرون محبون بأنفسهم ، تعلموا على الأوربيين أنهم يحملون على انتهاج علاج الإصلاح ، والأخذ بالتقذّن الغربي ، والسبب الثاني : أن الفتنة كانت النجسة ، فن الذي حركها (روسيا ؟ ألمانيا ؟ فرنسا ؟) ، إذن لم تبقى سوى انكفائها واليا بان ، وهما حبل الثورة بلا مرء ، لأنها يكرهان روسيا بسبب استفحال أمرها في الصين (احتلال يورت أوغور - من سكك حديد سيبيريا - وامتلاكها بسلام لإقليم منشوريا) - بدأت الثورة بأن طفت في شوارع المملكة الدعوة الآتية :

• إن الآلهة التي تريد اليوكسر - تلك الجمعية المنبعة لأقوم طريق - تريد منكم أن تطردوا من دياركم أولئك الشياطين الأجانب الذين أتوا لإفلاق الراحة وتكدير صفاء العيش في مملكة ابن السماء - ألا فاحرقوا جميعا هؤلاء الشياطين . دمرُوا السكك الحديدية . اهدمُوا أعمدة الأسلاك البرقية . وعلّ الحصى من أعرقوا السفن التجارية . فإن ذلك يهرق قلب فرانسوا الكبيرة الشأن ، ويصعلها مع الروس والإنكليز ترابا تذروه الرياح فتلقيه في بلاد غير بلادنا ، وفي هذا سعادة مملكتنا الجميلة التي ورثناها عن (شنغ) العظيم " .

ونشر (اللواء) في ١٥ يولية سنة ١٩٠٠ تحت عنوان (اليوكسر وأوربا) مقالا جاء فيه : نشرت مجلة (الشرق وبناريا) في بودابست في عددها الصادر في أول يولية الجاري مقالة تحت هذا العنوان بقلم الجنرال الطائر العيب (آتين تيور) رأينا أن نعزينا : " الأنباء الواردة يستفاد منها مبيان أنما أن الصينيين يقاومون الجنود المتحالفة ببسالة

خيرية ما كان أحد يتظرها ، وثانيهما أن الاتحاد الأوربي يشعر من وقت لآخر بانحلال في عمراه وتفكك في أوصاله ، وللوليل لأوربا من هذا الشقاق .

” رغبت أوربا منذ أربعين عاما تقريبا في أن تفسر الوية التمدن برغم أنف الصينيين ، وأرادت أن تعرض عليهم مذ السكك الحديدية ، مع أنهم لم يشكوا إليها تحسر المواصلات ، وكانوا في غنى عنها بقنواتهم التي تفي بحاجتهم ، وكذلك رامت أن تجبرهم على استعمال الآلات الميكانيكية ، ولقد صحت مرة مع أسد للصينيين من نحو خمسين عاما فقال لي بلهجة صادقة واضحة : « نحن لا نريد هذه الزخارف الباطلة والزهو الوهمي لأنها إذا دخلت بلادنا جرت علينا شقاء عظيمة ، وفي سببها من مائة إلى مائتي مليون من الصينيين » .

” هذا الشعب الصيني الذي يشمل نحو ثلث العالم الإنساني لا يشغل سوى جزء من ستة عشر جزءا من مساحة الكرة الأرضية ، وفوق ذلك فإن النصف الشمالي من المملكة يحتوي على صحارى مترامية جدهاء ، وبذلك يكون ثلث الإنسانية قاطبة مجتمعاً في جزء من خمسة وعشرين جزءا من سطح المعمورة . فبماذا تستغل تلك الأمة العظيمة إذا غمرتها أوربا بالآلات الميكانيكية التي تلامي أصحاب الحرف الوضيعة ، وتيسد الفلاحين الأجراء عن بكرة أبيهم ، لكن أوربا لم تتحرك فيها عواطف الحنان رحمة بهؤلاء التعمساء ، وقد نسي الأوربيون أنه الياباني التي حلوا إليها من قبل آلاتهم وصنائعهم ومعداتهم ، قد نافستهم الآن في التجارة وبارتهم في الصناعة .

” تنظاها أوربا بالزحاة ، وترغم أنها إنما تريد نشر تعاليم السيد المسيح ، وما تشر إلا الشر والشقاء . فقد روى عن المبشرين الذين أنهم يستعملون الناس لأعتناق النصرانية بحجة وحيمة ككهنة القرون الوسطى ، وبما أنهم لم ينجوا في إقناعهم بالدليل إلا نادرا جدا فقد لحاوا إلى استعمال القوة والإكراه ونشر الديانة المسيحية بالسيف والدم . من ذلك الحين كره تلامذة كوثريش من المادون الساكنون هذه الديانة المسيحية ونفروا منها ، وقد أراد ربك أن ينقذ من أوربا ما أصبح الصينيون يحاربونها بأسلحتها ، الصين هي عش الأفيون ومنبت قماره ، ولكن سفراء أوربا في بكين هم الذين تسمموا به حيث ألقى على أعينهم فتاوة فلم يروا شيئا من تلك الحركة التي دبرت على مرأى منهم . ظن الناس بعد انتصارات اليابان أن الصين بأكلها أصبحت لقمة سائغة لأوربا فزددوها . إن أوربا تطوح بنفسها في هاوية لا غورها ” .

جمعية العسرة الوثني

الجمعية الإسلامية باسكندرية

من مقال للأستاذ أحمد حافظ عوض مؤرخ المكس في ٣٠ يولية :

"واطلعنا صحت الكثيرين يتفكرون من عدم وجود أناسيد مصرية يتقن بها الصغار ويقدرها الكبار وقد أتاح الله أن يحقق الآمال في هذه المدارس حيث كنت ترى التلاميذ من كل مدرسة عموما يشدون بصوت حريص منظم السلام الحديوي والأناسيد الوطنية التي أعنى شاعر مصري هذا العصر أحمد بك شوقي بتأليفها للشاشة المصرية مثل أنشودة :

يا ربنا يا ذا المنى أكثر مدارس الوطن
وأجزل الأجسر لمن يجري على هذا النهر الخ

(١) في الفصل الثالث من الجزء الأول من (تاريخ آداب اللغة العربية) الذي ظهر في مايو سنة ١٨٩٧ قوله محمد بك هادي خادما ياق : بعد الاسلام لم ترحم أقدام الأمة العربية في الخضارة والعبارة في الأندلس والعراق ولا استعيا أولوا العلوم والفنون والآداب وزككت قلوبهم إلى ما يرضاهم بركها من حجاج أناسيد الشعراء والحنان المبتلى فإن كل أمة توطدت فقامت ملكها وتوفرت مواحي الزمان فكان شعراهم يتلون بعد الشعر ذي الخيالات التي لا تخطر ببالهم البحت فما كانوا سلاهم في ذلك حتى ظنوا الكلام على أوزان غير المألوفة عنهم في أشعارهم وأشعارهم فمروا بسنة أخفها الأدياء بالشعر . أوفى الموضع ما عثره أرباب الأبحاث من أهل الأندلس تطبيقا على أموات الحسنى . وأوله من قاله مقدم بن سلفي . ويحيى الموضع على أوزان وهو من منطقة منها أن تأتي بيت تترجم فيه القافية إلى صدر الشطر الأول وحرره صدر الشطر الثاني وحرره ، ويقسم هذه البيت مدعيا ثم تأتي ثلاثة أشطر أخرى تترجم فيها القافية أيضا لكن على حرف آخر . وتسمى هذه الأشطر دوما ثم تعود وتأتي بيت مقفى كالأول متتدا مع في حرف القافية ويقسم ثلثة . مثال هذا موضح في هذا الملك :

(الذهب)	كلني . يا صاحب تجارة الرقي . يا حلي	وأجعل سلوارها منطوق الخدود	(الذهب)
(دور)	يا صاح . فوك حرف الأرض يهزم وما	كنا أغرت نجما الخريف أنجا	(دور)

* وهي ما : تهطل إلى الظل والهدى *

وقد يكون المذهب يعني معنى عروضاها في قافية يرتقى خرباها في أخرى . ويكون الدور نوعا أبيات ثلاثة منها تنطق بأحرفها في قافية وخرها في أخرى . والبيان الآخر أن يتفق مع الذهب في قافيته فيها بمنزلة القفلة كقول بعض الحارثية :

(الذهب)

قابل الصبح الذي فانهزما	وحما بالسيف أصق النلس
ويصلح التلميم يسرق وقنا	نسوب ديباج به الغسل كنى

(دور)

نسبح الصبح أحاديث الذي	بعد يضاء في ليدج النهار
ولكنه المغرب البسل التي	حين تاهى الفجر في الشرق النادر

ومنها الاشوية الوطنية التي اوتوها

مصر السعيدة موطنى وبها اخضرت على الزمن

وأحسن ما في الاحتفال رواية سموها (مريض الناصب) لما كانت أبلغ تأثيرها
على النفوس وهي تكاد تكون مركز دائرة الاحتفال والدليل على مبادئ التعليم والتربية
في مدارس الجمعية .

يا مريض الناصب طوقك الهاء الفضل
لم ترد بحجر المكسب يا غريها في الضلال
أنت إن عشت نزيها بين عزل واعتزال

وجلا السجج بعينا ألقا فاعطى النجم من نوره وفار
وبكى التمريرة لها ألقا عاطر الزمر بفسر المس
ولقد سجد الزمر بفسر المس

هذه هي الكلمات التي كانت في ذهن الشاعر في تلك الفترة . . . وقد يكون المذهب حينئذ
مريضا عذرا يا مريض الناصب . . . وقد يكون المذهب حينئذ مريضا عذرا يا مريض الناصب . . .
مع المذهب في الدائرة . . . وقد يكون المذهب حينئذ مريضا عذرا يا مريض الناصب . . .
بن جبريل الزميل

يا زينا يا قفا السيف
يا زول الأمل من
ومب لنا غيا نيب
فضل عظم وأدب
أنت السليم لوري
والماء صبرى في التري
من مضايح السقى
من افتاح السقى
يا من هذا أسرا
من تضيق السقى
ما نحن بفتا شكر
عسلرا إذا قصر
أقباسكم الله لنا
سسر قبا بيا سنا

رأيتنا المبرك . . . وقد كان من الزميل . . . وقد كان من الزميل . . .
كان وكان من الزميل . . . وقد كان من الزميل . . .
الموا . . . وقد كان من الزميل . . . وقد كان من الزميل . . .
أهل الأدب ومنه ما بأن طمان العادة . . .

وإذا ما مت لمها	مات بالفقر المبال
فأرئيس فأوكيل	فأعبل الأتبعين عال
أنت العكل ذليل	فأبطل حكم الرجال
إن للسفن لمرزقا	غير محدود المجال
أزرع الأرض وأطلع	تنبت التبر الحبال
أمن الصنعة تطلع	وتوفى العكبال
إن السعد لمراية	ظلمها السواقى ينال
عملت للناس آية	عمل ثم انكبال

« وأخيرا ظهر صبي صغير لا يزيد في العمر عن ست سنوات قال : « إني ولد صغير من المكتب الخاق اسمحوالى حكاية صغيرة » . وأنشد من أقوال شوق بك (أمة الأراب والفيل) هذه الحكاية البليغة التي تشير الى أن الاتحاد بين الصغار الضعفاء يمنع اعتداء الكبار الأقوياء ... منها قوله :

وكانت فيهم أرباب لييب	أنعب جل صوفه التجريب
لدى بهم بامعشر الأراب	من عالم وشاعر وكاتب
اتحدوا ضد العدو الخاق	فالاتحاد قوة الضفاف

وهكذا مثل أمثال هذه النماذج العالية المكسوة بلباب الملح والفكاهات . ثم أنشد التلاميذ الأناشيد، وأعطى صاحب الدولة رياض باشا بيده الكريمة للتليذ مكافأة الجمعية له لمجاده في الشهادة الابدائية .

تعليق

كانت هذه القصة (أمة الأراب والفيل) من قصص شوق الأولى التي جرى بها لاوتنين القرنين شاعر الحكايات على السنة البهائم والطير ، وهي خالية من روح الشعر التي ظهرت فيما بعد في سنة ١٩٢٨ في (الوطن) : « مصفوران في الحجاز ... » لذلك كنت أرى حذفها من شعر شوق لضعتها حتى تبين لي من هذا الفصل المغزى الأدبي والسياسي الرفيع الذي كان يرى إليه شوق في نظم قصص وأناشيد الأطفال ..

وتشر (المؤيد) في ٦ أغسطس، أي بعد اللواء يومين، مقالاً لمراسله في الإسكندرية الأستاذ أحمد حافظ موضح تحت عنوان (احتفال مدارس العسرة الوفني . رواية الصائفة) جاء فيه : " وعدت القراء في رسالة أمس أن أتناول بالبحث موضوع الرواية المهمة . . . وهي الرواية البديعة التي طبعك بردها فلم يجد أفندي عثمان وكان لها تأثير غريب على السامعين . . . "

" الفصل الأول من الرواية — يتدعى المنظر طفلين صغيرين يتكلمان عن الطبيعة ومحالها والأزهار والرياح والمساء والظواهر . ويتقلدان من ذلك إلى الكلام على الحرية بعبارة لطيفة فيقول الزاد الفتاة :

" انظري إلى هذا المصفر كيف هو مسرور مثلنا بالحياة . يردد على الأغصان شجن الألحان . ما أحسن غناء — هو يتناغم الأزهار ويسبح الإله ويحمد على نعمة الوجود . من لي بهذا المصفر الرشيق ، فاجعله في قفص رقيق أطعمه وأسقيه كل ما يشتهي . — هو لا يرضى — لمناقذا ؟

— لأنه يحب الحياة مما سطق السراج بطير ما شاء في متسع الفضاء .
— لكنني أضاف أن يقع في أيدي الوحشين الجناة فيحبونه أو يهدمونه الحياة . فعندى يكون في مكان يمكن آمنة من الأشرار والصيدان .
— نعم إن حياة المصفر محقة بها الأخطار . إن لم تكن من الأشرار والأشرار . فمن جوارح الطيور . ولكنه رغمًا من كل ذلك فن بجايه الفطرية . تفضل التلطف في الحياة مع الحرية . . . "

في هذا الفرع اللطيف . . . ذكرت حكاية هذا المصفر ليستفيد منها الناشئون معنى الحرية . ولا يخفى أن المثال أوضح من النظرية وأشد وقعًا في النفوس . ولهذا كانت القصيدة التي أشدها عن الحرية مقطوعة في شكلها ، غير مستحسنة في وضعها . ولذلك أضرب صفتها عن نشرها . . . "

أعرض حافظ جرض عن نشر قصيدة الحرية لأن اللواء سبقه إليها . . . ومما يعلل من قدر ذلك النشيد أو القصيدة أنه خال من المدح التقليدي . وهو رائع . وأغلب الظن أنه لم يكن يمكن من نظم يليل القريض أن فيه لمسة شوقية تكاد تحسبها حين يقول (غناطيا الاحتلال) :

باسمها غوستا الحسرية يا راجل مراكب الخطية
الله أعطاهم لنا طيريه غريرة في خلقه فطيريه

وعلى أية حال مما لا مرأى فيه أن للمصطفى التي وردت في مشور الرواية ومنظومها عن
المصغور والحسرية والخوف عليه من الخواج^(١) قد طرقتها شوق فنيا بعد في قصيدته الشهيرة
(التي والحسرية) التي نظمها .

سبداح باسمك الكنا روية أمجير البلسل
والتي نظمها سنة ١٩١٠ ، وسحكهم فيها باسم أبيهم في منظومات تلك السنة لأهمية موضوعها .

(١) في هذا إشارة إلى النظرية الانتحارية التي كانت تقول بقاء الخلخل وعدم منح مصر استقلالها حتى لا تقع
فريسة لما كان عليه أخرى عربية ..

(١١) دولسة السوء

كذب وقسود وحيل فاحترف	ثم لبعض الناس فيما قد سلف
بحقنة لها الطريق مريح	وصار ينتدى بها ويربح
وكل شيء بالمكرام يعلم	عليها بالجهد كيف تفهم
تقول قسم يا سيد الكرام	جاءه ليلًا وهو في المنام
وقيل مولا سألتك سؤلنا	ها قد تجلت ليلة القدر لنا
وقال ما ذا طلب الجماعه	نقام يستعد للضراعه
تكون لي وحدي بغير شركه	قال له القسود طلبت الملكه
والصدر في الدوله والمشير	قال الحمار وأذا الوزير
يخفى في ملك هذا قاضيا	والكذب قال قد سألت الباريا
ثم جثا لرأسه وضرمها	فراخ وب الحق ما قد سمعا
سألتك الموت ولا ذى الدوله	وقال يا صاحب هذه الليله

(غزل)

والذنب محمول على الأرداف	تشكو المحصور من الصدر تحاملا
فتضج بين الرفسق والإجماف	عندي تؤازرها وتلك تهنئها

* * *

حوالى الصبا والوجد بالوجد يثنى	أقول لقلبي والمهوى يزحم المهوى
ندمت على ما فات بعد التفريق	إذا أنت لم تعط الشبيهة حقها
وإن حياتي في حياتك فاخضع	وإنك حتى ما خفت مؤقلا

(شوقى)

(١) هذه الحكاية لا وجود لها في الجزء الرابع من (الشوقيات) لافى باب (الحكايات) ولان (ديوان

الأطفال).

ملسح وآداب

لأحباء على القبراء في طلب

(لست حقا لتوق القبراء بك)

أما وزهر الأبرص	وطول ليل القمر
وما نكاح أهل القبر	عن الحزن والسنوم
بل والفساد والفساد	والطبع الأعظم
والمرورين والمسير	وسقى وزمنهم
والشعر الحسود	والبيت الفنى الأكرم
لقد أخذت القبر	ويحيطوا قادم
نعم ركب لنا	من تن ليل آدم
وكم بعثت حسنة	من لذة لم تدم
وكم غدا لنجد	من القبر لم نجد
وكم توسلت من الـ	بجان أبي معصم
مادت غواد أريد	من قبلها لم يكلم
عقبه تمشي بها	من حزة التسم
مدية الدلال والإـ	عجاب والتسم
غداه ذات شعر	مرجل ملسم ^(١)

(٢) هذه القصيدة لأحد اثنين لا ثالث لها راجعة لفرق أو محمد بن أبي بكرى صاحب قصيدة (مصر) التي مطلعها

أدبارى من الشمس

وقد ثبت أن هذه القصيدة نظمها أبو بكرى في باريس لا يقول فيها

أنا شاعر في مجيها

أنا شاعر في مجيها

قال بطران في حبر من كلامه من أبي بكرى (كنت أعلم شعرا) ومن فاحشه أنه رأى يوما حسود من في باريس

وي على ما هو معلوم اسم أعرابية بنت أعرابية إلى بطران الأندلسي كان يذكروا شعراء العرب حقيقيين أو طائفة

ولكننا نرجح أن القصيدة لفرق لأن فيها لغة بارسية ، فلهذا شاعر طائفة واستمع بشاء باريس وتبعها ، وأما

سرج الهوى أسامة "نات" العهد في مدينة القبر

(٣) لم يكلم لم يرج . (٤) الشعر المجلد ، المجلد ، والمجلد في المجموع .

شعر يسألون مني	ألمس حكاياي
ووجه يسألني في	توب حرير أحسن
وأعني نديب قد	حب الفارس المستقيم
ما أحسن الأضداد في	هذا الجمال المحكم
أحضر نحل لبن	عسل ثقل مضم
تقني في الصلاة قد	حب الرابع المضم
ورأيت أن قتيل الح	حب مطبول الدم
لم ترمي صلاة ولا	غولا بقهر مطيلم
ولم تصادف إيسلا	نسف حب الخيخ
لم تنك من ذكرى طلو	ل قد عفت وأرسم
ولسم تصان دينا	يسلو وراء شيم
لم تدرك أنب حبرا	قود أبني محض
وعسرها ما سمحت	القشم بن الأرقم
ولا بمن فرقهم	حادث سيل العرم
ولا يحكم عسر	في لطة ابن الأهم

(١) الأهم : الحرير قيل أن بحره المرد : عرب . (٢) القشم : الصبح . (٣) جمع في السير .
وغيره : طه : شعر حل وأبه به فربض القاسم : يردف كأنه أحم . (٤) جل الدم طلا وطلولا :
عند . (٥) الصلاة : القول . (٦) كان العرب يعقرون الإبل حب الخنم وهو بنت معروف .
(٧) الشيم : ذكر القنطرة - والأهم قيل له الفهد وقيل الضل . (٨) قال عنترة في معلقته :
ولقد عفت إذا أسوت ولم تدرك لحسرب فائرة عسل ابن محض
أما محض ها حرم وحسن الزمان . وكان عنترة قد قتل أباهما يوم الحريق ، في حرب داحس والغبراء ، فكانا
يغيران في الثر .
(٩) القشم بن أخت الأند وكان ربيعة بن زكريا من القشم ، ثم أوفوا القشم على القليلة : والأهم : الأرام
من قوم ربيعة من الأرام تنسب إليهم حيوت الأرام من الحياة . الجوهرى الأرام من عمن طلب .
(١٠) جاء في الجزء الثاني من (العقد الفريد) في باب (وغيره بجيلة بن الأهم على عمر بن الخطاب) : " حدثنا
خفاف بن عمار أن بجيلة بن الأهم بن أبي شمر القسبي لما أراد أن يسلم كتب إلى عمر بن الخطاب من الشام عليه ذلك
رسالة على التقديم عليه . . . فخرج بجيلة في جماعة فارس فلما دنا من المدينة ألبسهم ثياب البرص المنسوج بالذهب
والفضة طيس بذلك بجيلة فاجه . . . فبينا هو بطريق البيت إذ وجىءه من لؤزه رجل من بني غزاة فجلسه . . . فالتفت
إلى بجيلة فبينا عليه ففهم أنه فاستندى عليه القزاري عمر بن الخطاب فبست إليه فقال ما دعاك يا بجيلة إلى أن أظنت أهلك
هذه القزاري فبست أنه : فقال إنه وطني فإني لله : ففلا حربة هذا البيت لأخذت الذي فيه عيانه . فقال له عمر
لما أتت مني إلا أظنت بك . قال أتيتك مني وأظنتك وهو سوفة . قال يا بجيلة قد جئتك وإياه الإسلام فافضله
شيم الإيالة . . . وقد تضرع بجيلة ثم بدم . أجاد شوقي إلى ذلك في مقاله الخامس من (هضبة أيام في ماصحة الإسلام) .

ولا بقسوة الإمام من يد ابن ملجم^(١)
 لم تشرب الضراء في الدباء أو في الحسن^(٢)
 تمزنا بالقانون والط وب وسير الأتيم^(٣)
 وساسة قلوبها وذا ربح الزمان الأقدم^(٤)
 وسيرة القوي وذا عزيمة الأهم^(٥)
 وكل طائر قدم له جسر أو مخضرم^(٦)
 قامت بها سبيلا اليد منها والفم^(٧)
 ونفس مني في وصل أم قنم^(٨)
 والسن القوي نحو والرقب قد عى^(٩)
 والطير مني طلع جبل توتى^(١٠)
 قد نزلت مني كما نزلت مني^(١١)
 فسوخ في أوسطه رجل القوي المحكم^(١٢)
 وتلقى الأبطال وال شيخ عند المقدم^(١٣)
 وحمل مني كل الضلع أو المقدم^(١٤)
 كأنني من القوي نبع مني سلم^(١٥)
 أو عري حاجب أبليس معصم^(١٦)
 قلت لها ولها (كن سقا مثيرا)^(١٧)
 صفا الزمان لحظة نسرم مني^(١٨)

قطعت وصل الثانية ت قطع جبل مبرم
 لأني غفرا عن عي بعد مستجير مجرم

(١) عبد الرحمن بن ملجم قاتل الإمام علي . (٢) الدباء القرع الواحدة دبابة . . والحتم الخوة الضراء .

(٣) الزمان القرنية ككل امرأة سبيكة الحسن والحسين كثيرا يشتركون بلادها والقلم الذي توشح به .

رجل قوي من أيدي أئمة القوي .

(٤) أم قنم الحريد . - الدباء . - الضلع . - المنة ومة قولهم « إلى حيث ألفت رجلا أم قنم » .

وقال من كنه كانه حوت فموت على أن طرية لأرجلت وألفت رجلا في النار وموت في ملوحها فصار ذلك مثلا يشرب

لداية التي يرمى على النار كتابة من الحيا إلى النار .

(٥) مني القوي من أيدي أئمة القوي . - نسرم مني . - كنه كانه حوت فموت على أن طرية لأرجلت وألفت رجلا في النار وموت في ملوحها فصار ذلك مثلا يشرب

(٦) نسرم مني . - كنه كانه حوت فموت على أن طرية لأرجلت وألفت رجلا في النار وموت في ملوحها فصار ذلك مثلا يشرب

(٧) نسرم مني . - كنه كانه حوت فموت على أن طرية لأرجلت وألفت رجلا في النار وموت في ملوحها فصار ذلك مثلا يشرب

(٨) نسرم مني . - كنه كانه حوت فموت على أن طرية لأرجلت وألفت رجلا في النار وموت في ملوحها فصار ذلك مثلا يشرب

(٩) نسرم مني . - كنه كانه حوت فموت على أن طرية لأرجلت وألفت رجلا في النار وموت في ملوحها فصار ذلك مثلا يشرب

(١٠) نسرم مني . - كنه كانه حوت فموت على أن طرية لأرجلت وألفت رجلا في النار وموت في ملوحها فصار ذلك مثلا يشرب

وقال

الحق صعب طعمه	مثر كطعم العلقم
من مات مات واتتهى	ومن يعمى يعمى
ومن يخاف الموت هل	يخو من الحتم
ومن يرد إحياءه	رأت الزمان يسام
المال ظل زائل	والجهل موت الأهم

(١) ظهر أن القصيدة لم تنشر جميعها أطولاً . ولعلها من القصائد التي نقلها شوقي في بادئ أيام الدراسة وقد نظم شعرا كثيرا في هذه الفترة شاع بعضه . جاء في ديوان نجيب الخداة ص ٧٩ " وقال نجيبا صدقه الشاعر المشهور أحمد بك شوقي على أربوزة أرسلها إليه من بادين :

حكمة المسك مع الثياب	أضرب بما صر بهذا الثياب
لذا أقبل المسك مع الثوب القى	وقال لقد جفت بشرى العبق
أحمدك من مرقى الذكى ألوانا	تطير الأذهال والأودانا
وتجندى منى نشرها طيبا	أطرب الناشق من زهر الزرى
لكن هل شرط بكم أمى	كى لا تضيع فى الأثم سرى

إلى آخر الأربوزة . ولم تنشر على أربوزة شوقي ولا شك أن هذه الأربوزة تهنا من ناحية قيمتها «الموضوعية» التي يبدو من رد نجيب الخداة أنها على آخر غير المديح والتهنئة .

(٢) ضرب شوقي على وتر التذيد بالجهل طول حياته . وفي هذا البيت نفس وتر الشاعر . .

ويا زهر لا حسدك القلوب فشمك في العاشقين النظيم
ويا طير يهنيك طيب الكرى وطول العناق وفرط النسيم
سما بك غصن على حكمة وضاق عن آئين قصر عظيم

”بهذه الألفاظ أو بمعانيها كانت الجندی « تيمان » رئيس حامية القصر القديم في ساجيس يستعذب سحر الهوى تحت سماء الليل ويحدث الغصن خاليا في مقصوده من غفر القصر ويناجي كل ما في الدار ويختبئ بسرار غصنه المشوقة وحوائج فؤاده الوطان “ .
هذا ما كتبه شوقي شرحا لموضوع الأبيات الإثني عشر المتقدمة التي قالها على لسان الجندی العاشق في مستهل الرواية . وهي من خير ما نظم شوقي في تصوير موقف معين من مواقف العاشق بمحدوده ومعاله . موقف العاشق المسكين الذي يتاجى بمحبوبته ويضرع إلى الله أن يبيد إليها مفذا من رواء الحواجز المادية والأدبية التي تحيط به وتسجنه . في هذا الشعر جو هادئ هبق ، وضعة عطرة من زمن الشباب ، وإلهام من الغرب ، وهو لا يقل في الحسن عن (خدعوها بقولم حسناء) ، والمعجب أني كلما قرأت هذه القطعة ووصلت إلى آخرها :

يا طير يهنيك طيب الكرى وطسول العناق وفرط النسيم
سما بك غصن على كثرة وضاق عن آئين قصر عظيم
رجعت إلى أولها ، كالساخوة بالسحر (أحوم على حسنكم ما أحوم ..) :

وما بيننا غير هذا الفناء وهذا الجدار وهذا الحرم
وهذي الرىاض وهذي الحياض وهذا التخييل وهذي الكروم
ولحن كمن فرقت بينهم ممالك في الحرب تحمى التخوم

لقد أبدع شوقي في تحديد أماكن الأحباب (هذا الفناء ، وهذا الجدار ، وهذا الحرم ، وهذي الرىاض ، وهذي الحياض ، وهذا التخييل ، وهذي الكروم) فعاد بنا إلى ذكرى حبيب ومثل (يسقط اللوى • بين الدخول • لغومل • فتوخ • فالمقراة ..) . عاد بنا إلى الشاعر الملهم الذي وقف واستوقف على منازل الأحباب .



تكلم شوقي في بداية الفصل ، كما قلنا ، عن تيمان الجندی العاشق . قال : « وكان كلما ضاق به المكان عمد إلى كرسي عال لدى نافذة مفتوحة يجلس ينظر منها إلى معالم القصر وهي محتجة في الظلام مسورة بالدوح . . فيبها هو جالس على هذه الصورة وكان النجم قد طلع

أو كاد بصريشع الإنسان . . . تقدم بستاني القصر والنحن بين يدي تيمان يحمل عودا كما الرياح
في أطرافه زهرتان .

بستاني القصر - إن الزهر يا سيدي تيمان فأكهة الملوك . ونحمة الطبيعة للعاشقين
فول تمن على قبول هذا العود النادر الثمين . تيمان - أقبله شاكرا .

- والآن استعنى نظرك لما قوتك من الزهر . . . ومن غريب أوصافه إنك لا تجده
في أغصانه إلا زوجين زوجين كما تشاهده على هذا العود الآن . ثم هو في اللون الأصفر لون
السقام قصير العمر قليل المقام يفتح قبل الفجر ويموت لأول شعاع يفتش الوجود من
الشمس ولهذا دعه جلالة الملك (بالمشاق) . وليد قال الشاعر اليوناني :

وزهرتين على عود بينهما كعاشقين أطبانا باللقا الهاني
لما رأيتهما في راحتي فوتا من فوق واه من الأعواد خوان
ألفت أن مني المشاق ما بحت إلا إلى مثل خيط العنكب الغاني
وكذلك قال فيه الشاعر المصري لجلالة الملك .

شعاشقان من الزهور تهما يدع مرأى في الغصون عجيب
يتنسمان الحب بينهما لما فتح على قصن النبات وطيب
عجل الردى بهما ولا عجب إذا ما أوديا بين المسوى والطيب

وأحسن من هذا وذلك يا مولاي قول السجينة نصف هذا الزهر وقد حييتها بشيء منه
من مهد غير بعيد . تيمان مقاطعا مضطربا - الأميرة .

ثم اندفع البستاني يشد ما قالته الأميرة (دل) في وصف هذا الزهر :

في زهرتي ذا العود من أهل الهوى جُمعت صفات
كالعاشقين تقابلا لكن على سرر النبات
متأنسين يلاقيان الحب من كل الجهات
هذا على هذا هنا ولذا إلى هذا التفات
لصكن في الفجر الحيا وفي الضحى لهما المات
فما لقد عاشا ولما بأعلا أملا ففات

(١) زوجين زوجين : اثنين اثنين . الزوج كل واحد من اثنين من جنسه . ولا يتكلم العرب بالزوج موحدا في مثل
قولهم زوج جام وأما يقولون زوجان من جام . ولا يقولون الواحد من الطير زوج بل لا ذكر فرد ولا أنثى فردة .

من لى بسوق الحيا ة يقال فيها خذ وهات
فابيع عمرا فى المنو م بساعة فى الطيات

تعليق

وصف شاعرنا مناجاة الماشق فى بداية هذا الفصل الأول وتكلم فى نهايته عن الزهر
بنفس اللغة ، لغة الحب والحنين ، لغة العاطفة والوجدان العميق ، لغة الوجود والفرح والحزن
متعاقبين .. ولممرى أى شئ ألى وأرق من قول شوق فى الزهرتين :
لكن فى الفجر الحيا وفى الضحى لهما الممات

الفصل الخامس عشر

العتاب

”لم تمض هنية على خروج أمازيس من الحجرة وانصرافه حتى شعرت الأميرة بيلدين
تمسكان يديها ولم يقبلها .. فإذا هى بتيان قد جثا لديها ونحبا رأسه فى يديها يبكى ولا يتكلم .
أقبلت عليه تقبله وتملأ بيوته من لؤلؤ دمعها الرطيب . فكان مشهدا تميد له جبال الحديد .
ولا يقوى عليه فؤاد الشهيد .

جثا لديها وأذرى الدمع ناظره	وعاتبته بان قالت محاجره
يادل هذا الهوى إن كان أوله	ما قد رأيت فدللى كيف آخره
ومدت بالقلب ملكا ليس يملكه	وليس تبلغه يوما عسا كره
هيبه قبيل أو قيروش والده	فإن تيمان يوم الروح فاهمه
فاطرقت نرجلا من عتبه وجرى	دمع الندامة لا ترقا بوادره
تقبل الرأس من تيمان تائبة	عن ذنبا وحبيب القلب غافره
كأنما فيها فى شعر عاشقها	(نمر يخامرها مسك تخامره)
تقول تيمان ماذا كنت صانعة	وهل يرد قضاء الله حاذره
لكم لدى هوى والقلب حافظه	والبلاد هوى والقلب ناصره
إن لم يكن وطن لى فى الهوى ولكم	فأى دوح الهوى ناوى طوائره

الفصل التاسع عشر

حادثة على الحدود

« الطريق بين الشام ومصر .. كانت تلك أطراف الطريق قبائل من عرب البادية
 الحافين فرعون وحكومتهم .. وقد طردتهم عن إمارتهم أول حكم الملك أمازيس بشيخ
 العرب متحاب وكان من سلافة ملوك الشام .. جده رسول من الملك قبيز قال إنه بعدك
 ألف قلاية من ذهب وألف حمام مجرم وألف جراد من أكرم الخيل وولاية من ولايات
 الشام ودية قائمى جيوشه المظفر هو أمجدك الأمير الذى الذى هو أسيرنا الآن .. إن الملك
 يملك ما ذكرت لك إذا بذلت له المساعدة فما سمع عليه من مهاجرة وادى النيل .. »

فأتم الرجل مبارته حتى انتهى مع الباب المستل حسامه وصاح بالرجل :

بلى جواب خير فاعلمى طبع	فعل دونه ود لولاك مقنع
عبد يارسول القادرين تحية	فما كل من يدهى إلى التدرج
والبحر عظيم القوس أنى أصبته	وأسمى حل الأيام جارى وأمنع
وما أنا بالباكي على أبى وقبيله	ومرضى إن يسلم قبل مضج
وخير لحادى من حيلة سلة	فما إلى أسى فدى العزيرف
وخير قلب منه إن فاق ناره	وقاه يفود النار عنى ويدفع
أبعد شباب قد تجمل بالمضى	يلج لثبى بالضلال فيتبع
ودرب نفسى في السلافة والبنى	ومضى يتقوى الله حال مرصع
واقبل أن أعطى بذل إمارة	فأبى بها جامى ودنى مضجع
نعم ملك قبيز أن قدوش واسع	ولكنما ملك الفراديس أوسع

الحلة على مصر وقائدها

الحرب لا يشنها	وانبأ بها الأنام
حقيقة وضموها	فليس فيها كلام
مادام شر الحسب	والشر لجسم لازم
في كل يوم دعاوى	لا تنقضى وخصام
إذا استراح حسام	في التمد قام حسام
وإن تصاح حسوم	فما كانت أمسوم
والناس الناس بالمر	ب مسيد وفسلام

الفصل الثاني والثلاثون

الحالة على الحدود

فأبى يمتنع العرب على الحدود ..

الفصل الرابع والثلاثون

القتال

الفصل الخامس والثلاثون

ما سلم حتى ودع

الفرقة الكبرى .. حرب بساططيق ومنه الجند إلى مغيس وتمعوا بها فركب قبيل
لساعة إليها وسامرها وأخذوا غيرة وأمر الملك وكانت الحادثة الشهيرة التي نظمتها في تاريخ
مصر قلت :

لا راحة للتاريخ بأبوم غيس .. ولا طعنت بك الأنبياء



انتهت الرواية . ونظائر أن شوق في آخر حياته عاد إلى موضوع رواية (دل وتيمان)
وبناء من جديد على رواية (قبيل) كما فعل في رواية (غل بك) . وهذا ما دعاه إلى إسقاط
الروايتين القديمتين من آثاره . وقد احتفظنا نحن بما بقي فيها من شعر نضير كالكرم
الأيكار جعلت أول حلقاً .

(١) اهل (منع الماء ونكسر ثم لنهر) ..

وليام جيبب باشا مطران

وهو من أعيان ببلبك وم الشاعر خليل مطران صاحب (الجملة المصرية) وكان موته

في أكتوبر سنة ١٩٠٠

شوق أكبر شعراء العربية على الإطلاق بولائه ولا يذانيه فيها أحد . فإن خيال شوق
ووجدانه وذوقه ، ورقته ، وحسنه أيام إعمار الحياة واختفاء الوجوه السمعة ونضوب
الشباب والحب واللوات ، قد جعلت في الروايات ... وحسنه قوله في هذه القصيدة :

أرى مصر يطمع غريبك .. تحت ذاك الترى وتلك العباد

فقد بآثارها الباطل والظلم .. هل ترى من ممالك وبلاد

أصبح للملك بيوت ودور الم .. لك حديثا فكيف بالأفراد

أذكر بهذه المناسبة أن كنت كنت في (الأهرام) مقالا نشر في عدد ٢٧ يوليو
سنة ١٩٢٢ عنوانه (خطرات في الطريق - بلافة العرب) ، وكنت وقتئذ أصطحب
شوق في سفره إلى أوديا . فطال في هذا المقال : « قلت لأبي الشعر والحديث شجون ، إن
خير ما قرأته في العرب كله أوسه ششرون إلى أحمد أحد قائه يعزبه في فقد ابنته : « خطرت
في فكره وجدت فيها عزاء ولعلها تخفف من لوعته . بلقا كنت أتجه بسيفتي من جزيرة إيجينه
إلى مدينة ميجار حانت مني التفاته إلى البلاد حولي . كانت ميجار أمامي وإيجينه ورأى .
والبيعه على يميني . وفورنته على شمالي . مدائن كانت قديما زاهية زاهرة فعمت ولم يبق
إلا رسمها وأقواس مبعة فصحت حبال هذا المنظر كيف نجحوا ، نحن المالكين الضعفاء ، على
الشكوى كلما انتزع الموت واحدا من أهلنا وذويتنا ، بينما نرى في طرفة عين كبريات المدائن
صرعى هامدة ، وكانت حاضرة أعلة بالسكان ثم أصبحت خلاء . . فتعز عن ابنتك بفقد هاتيك
المدائن والنامس » - أعجب شوق بهذا الخيال الرائع ولكنه قال من فوره إن العرب قالت
أبلغ من ذلك : مال أعرابي أمرايا فقد انه « أكان يئيب كثيرا » ؟ قال : نعم . قال :
« أتوكة قاتبا » . انتهى .

والصعب أن شوق قد صاغ آتت الحياة الثلاثة المتقدمة في ببلبك فيها روعة الصورة
والمعاني التي تضمنها كلب ششرون . وهي أبلغ من قول الإعرابي . في جانب من اللوحة
مدائن عامرة وعصور زاهية قد اندثرت ولم يبق منها إلا رسوم دارسة وأقواس وفي الجانب

الآخر ابن يموت أو هم يهلك . وروعة الصورة هنا في أنها « حبة » كصورة شيشرون
تحدث في النفس أبلغ الأثر . ولو قال شوقي (أى عصب يطبك دفين) تحت ذلك
الثرى) ووقف لم المعنى ولكن قوله بعد ذلك (وتلك العلاء) أبرز المعنى في صورة كاملة
ناطقة الملاحم والحسن .

ولو قال أبو العلاء :

سر إن اسطمت في الهواء رويدا لا اخيالاً على رفات العباد
لم المعنى ولكن قوله بعد ذلك :

خفف الوطء ما أظن آدم الـ أرض إلا من هذه الأجساد
جمل المعنى يرفع بالتصوير الحسى إلى قمة الشعر . ولا يضاهى هذا البيت في قوته
إلا البيت الآخر .

والذى حارت البرية فيه حيوان مستعذت من حماد
ومن أجمل أبيات شوقي قوله في رثاء المنشاوى باشا (والفصيدة في هذا الكتاب) :
أما راعكم نعش حوى ذلك الغنى وما فيه دينار ولا فيه درهم
وقوله في رثاء مصطفى كامل :

يا لله قش عن قوادك فى الثرى هل فيه آمال وفيه أمانى
كل حياة مصطفى كامل مصورة في هذا البيت وهى نابضة فيه .

ومن يعن النظر في شعر شوقي ، وفى مرثيته بوجه خاص ، يجد فيها آيات من التصوير
الحسى لا يحصىها عد .



راية الموت فوق هام العباد	نشرتتها ككتائب الآباد
يشرب العاملون فى السلم منها	ويريقون ظلها فى الجهاد ^(١)
من تماجل يموت ويلس ومن تم	هل يعش تحت خافق متهاد ^(٢)
غاية المسرء عائد وطيب	ومصير الطيب للعواد
وبكاسين من حياة وموت	شرب العاملون من عهد عاد
لم هذه الحياة فن تم	دد له يشقى أو يطب بالرقاد

(١) راف الرجل يريف ريفاً أى الريف . . . (٢) الخالق المتهادى هو الراية أو العلم المتأيل . . .

وقصارى الكرى وإن طال لى
 ذهبت في حساب يوسف سبع
 واستوى الصاحبان هذا إلى الوعد
 فبره الأرض والبرية ميت
 ومهدد الأجساد والأرواح ملك
 أى مصر وطبقت يمين
 قف بأثرها الجلال وانظر
 لنوال أو شفقة لنفاد
 ليلسات في أثر سبع شداد
 يد تولى وذا إلى الإبعاد
 تلك مطبوعة وذى لمعاد
 كسرور الأرواح بالأجساد
 نعمت ذاك الشئ وتلك العباد
 هل ترى من ممالك وبلاد

أصبح الملك سيرة وذور الملك
 سبوا البسل وممر طيتم
 طبقت الحشى ولا إلى
 وإذا جازى السلوك وأسى
 أنله منسالك الصيد منهم
 أنجفادى الصدى وأبلى منسالك
 إن سبها أصعب منك (تحيا)
 وفضاء بعالك هدى ناء ال
 أى حى مساوك يوم تولى
 محبة بالشام بحسبك قاموا
 كلهم حافظ المدين كرم ال
 ذا لحداب وجد إذا ول
 أخذوا السر والوفاء حينما
 آل مطران لو أتيت بوحى
 لكم أنفس تمسرها الأح
 فخذوا بالعزاء فى خطب من با
 برل العيش والمعيشة بحسبك
 وخفوق الفؤاد فى حاعة التكا
 تطلع الشمس بالقضاء طيما
 إذا جندوت قامت وأجت
 لك حديثا فكيف بالأفراد
 ومن صالح وآخر عاد
 طبقت ليل الرماح صوب المعاد
 بين من البسل ومن السواد
 وأجبت مرقد الأنداد
 بالبحر المتون هل لك فاد
 ونعمه فى القلوب والأجساد
 بر ركن العفاة والقصاد
 خدته نجابة الأولاد
 على من اللذات والحساد
 عهد راعى الزمام وأنى الوداد
 لى أسير الآباء والأجداد
 من لب سيد وفى جواد
 لم أزدكم من الحصى والرشاد
 بذات من الرياح بالأطواد
 نه وكونوا عليه غوث العباد
 وتصل الحياة والموت هاد
 وبين داح إلى مكون الفؤاد
 وحلى القصادين بالميلاد
 جادها حينها بلا معاد

قال يصف «ساعته»

لا يفتنها مفتح	في ساعة من ممدن
مثل فؤاد المدين	تسجل دقا وتقي
ن في اختلاف بين	وعقرباها والزما
أو وقفت لم أحزن	إذا مشيت لم أحضل
أو قدست لم أغين	أو أخرت لم تحدي
تفتني في السزمن	أحسها لأنها

(مقطعات من الجزء الثاني من الشوقيات)

وكتب إلى صديقه داود عمون وقد سمح بخسارته في البورصة :

وأدير ما كان إلا الشرف	علت بأنت الحطام انصرف
ت غفلك في ذلك سوق (الصُدف)	وأنك جت المني واشترى
أقبلك من ناله بالسرف	وأسرف تبتني عريض الغنى
رجاء الصيان وخوف التلف	وما هو إلا انقباض اليدين
وحفظك مالك حفظ (التحف)	وحبك ملكك حب الحياة
وكان له عظمة ما ملف	فقلت لعل الأديب انتهى
فديما إلى ضميرها في الحرف	أندركه حرفة جازها
وقد هجر النشر نثر الطرف	وقد هجر النظم نظم الجمان
بيع الجواهر بيع الحزف	ومن كان نروته عقله

نشيد الجمعية الخيرية الإسلامية

« أنشأ حضرة الفاضل الأديب أحمد شوقي بك نشيدا شعريا على لسان الجمعية الخيرية الإسلامية فأنشده جوق التمثيل أمس في الأوبرا الخديوية بعد ختام الرواية بتلحين حضرة الشهير الشيخ سلامة حجازي على أيداع ملحن موسيق » :

لا تبت للبرام القفورا	ليس دوني ملجأ للقاصدين
لا ترى حولى إلا مصرا	حين أعطي بشمال ويمين
لى صفار كلهم فى المكتب	يتلقون به السلم المبين
ورجال كلهم لى كالأب	صادق فى حبه واف أمين
كم بيوت ضاقت الدنيا بها	بعدم اعزّت على طول السنين
جاءها الإسطف من أرواحها	حين واثاها رسول المحسنين
فقل لى حقل جالا واقفى	أعرض الله غياهم المدين
وتصنق لهم حصن القنى	وسلام النفس فى دنيا ودين
كل عام تجلى لى	لبلة الأيتام عين البائسين
أشكى لله فيها عىلى	ورجاء الله رّوح اليأسين ^(١)

(١) البلية: الفقر، والروح (فتح الزاء): الراحة و - النصرة و - العدل الذى يريح المشتكى و -

الرحمة ومنه « لا تياسوا من روح الله » .

من تهنته بعيد الجلوس

أهل القدود التي صالت عواليها الله في مهج طاحت غسواليها
وقد نشرت أبيات الغزل من القصيدة في الجزء الثاني من الديوان ص ١٧٨ مع أنها
من الطراز البدعي القديم :

صنت لنا أصلاً تفرى بنا أسلاً مهزوزة شَكلاً مشروعة يها^(١)
ومن محاسن القصيدة وصف ليلة في حديقة الأزبكية والصورايخ النارية التي كانت
تطلق فيها^(٢) :

والنجم في الأفق كالشاهد يفلها ^(٣)	الأزبكية فيها درة عجب
قلائد الفيد فوضى في تراقيا	تحكى المصاييح حولها وبهرتها ^(٤)
أوجنة الخلد أووشى يحاكيا	أما الجميلة فالدينيا إذا ضحككت
تلك المعنى إذا انسابت أفاعيا	والأفق تمتلئ نورا وأعجبه
إلا تيسمر يبنى الغرب قالها	وما تيامن يبنى الشرق سابقها
منشورة صبا والجو يطويها	مطوية صبا والجو ينشرها
حتى خبت غير ريم في مهاويا	وكم ثريا وكم جلوزاء ما لبثت

(١) أصل جمع أصيل . والأسل الرماح إشارة إلى القدود . والشكل : شكلت المرأة شكلا كانت ذات شكل
أي خرج ردالاً وفزلاً . مهزوزة وصف للأسل . مشروعة : يقال خرج الشيء رفعه جدا . وشرح القوم الرماح
فترجعت هي : أي سدورها كقولها « شمدت » لازم مند .

(٢) جرت العادة في عهد الجلوس أن تقام معالم الرئيسة داخل حديقة الأزبكية وخارجها على النظام الآتي :
داخل الحديقة : أنوار مختلفة الألوان والأشكال — حرائق نافوية — سواريج إلخ . . .

ومن أبداع ما كتب في ليلة الجلوس قول أحمد فؤاد في (الصاعقة) عدد ١٥ سبتمبر سنة ١٩٠٣ : « كانت الحديقة
(في ليلة عهد الجلوس) كالقبة ماخرج فوج منها إلا دخل فوج . . . وبين هذه الجموع الممتدة بدو مطالعة . وأقار
ساعطة . . . ونور على نور . . . وبها تصعد إلى السماء . . . وكأنها دعوة المظلوم في الفضاء ! ! » .

(٣) غل (يفتح اللام) يغلى ، غل الشعر : تديره واستخرج معانيه وغرائبه يقال « أفل هذا البيت فانه صعب »
و — الأمر : تأمل ويوجهه ونظر إلى عاقبه ومن القوم تأملهم . . .

(٤) البهرة (بضم الياء) . والوادي والفرس والحلقة وسطه . . .

مضى على مصر دهر لم يكن وطنا وإن يوم أوطانا أهاليا
ما بين أمله لو يوطنون به وبين آخره ذكر لواعيا
كان ما سله عما سر فيها أهوال علم سرى بالطفل ساريا
بيك ويضلك منها لم تكون أسر مضحكها أم ساء مبكيا

(أبو زيد) - قصيدة - ١٩١٤

من قصيدة تهته

وكان أسى عبد المولى الخديوي وبهلاجه أمر مصر ، فقد حملت الأبناء أسى أن
الخدوي رزق أميرا مباركا

يوم أضر بحبل الأبياء لعلك تهتقي به وهنأ

ولعل أرحم أيتام القصيدة في الأسرة الخديوية قول شوق عاطيا الخديوي :

ظنا البلاد إليك في حلق الخوي ظنا النبات إلى الغمام الثاني

شوقها حتى إذا أطاحتها فام السراب بها مقام المله

عبدان فيها حين تاهت وجهها فالت لسه قلثها بقاء

نقرأ هذه الأبيات لأن فيها لغة من موسيقى شوق ، وهي أشبه بموسيقى البحري
وأبي نواس من شعراء العرب ولا يمين من شعراء الأفرنج .

وتجد هذه العذوبة الموسيقية في شعر شوقي جميعه . وهو القائل من قصيدة من نفس
البحر والروي في رثاء مصطفى باشا فهمي الذي مات في ١٤ سبتمبر سنة ١٩١٤ (لا في أول
سنة ١٩١٤ كما قال شوقي الخمره الثالث من الديوان) :

إن النبات في حلق من وجهه ويصنعون حب صادق ووفاء

الساهرات لعله أو مكبرة والصابرات لشنة وبلاء

والبا يكانك حين ينقطع الكي والزائر لك في العراء الباني

(١) يظهر أن الخديوي كان لا يزال في حبه بالأسيرة .

القائد دي ويت Christiaan De Wet

كتب خليل مطران : « وقال شوقي مزاحا في دي ويت القائد البويري الشهير »
والواقع أنه لا أثر للمزاح في أبيات شوقي لأن ذلك القائد دوخ كتشتر وكان من أبرع القواد
في العالم في الاقضاء المباحي والإنفلات من كل حصار أو تطويق محكم ..

كان له ذكر عظيم في عصره في مصر والمغرب . قال (اللواء) في ٢٠ نوفمبر سنة ١٩٠١
تحت عنوان (حبيب الترنسفال . نشور دي ويت) : « بحث اللورد كتشتر رسالة برقية رسمية
إلى وزارة الحربية الإنكليزية تتضمن حادثا من أهم الحوادث هذا نصها : « سافرت مجلة فرقي
انكليزية لتفريق البوير الذين استجمعهم دي ويت أخيرا في الشمال الشرق لمستعمرة أورانجج .
أما جنوب تلك المستعمرة فيعتبر حاليا من الأعداء » . وأمل القارئ يتسلل عن المهمل الخطير
في تلك الحادثة فعليه أننا نغني بذلك عودة البطل للنفوار دي ويت إلى ساحة الوغى بمسد
أن أضاءت المصادر الإنكليزية خبر وفاته وانقطعت أخباره زمنا لمس بالتقصير . وأي حادث
أهم الذي الانكليز من عودة مدوهم الأكلد وخصمهم العنيد ونشوره من موته المزعوم . ويؤخذ
عننا من تلك الرسالة أنه عند ما أشاع الانكليز خبر موته كان يطوف أنحاء البلاد ليستجمع
الجنود ويحمد الرجال لمجادتهم » .

وقالت مجلة (الهلال) في عدد ١٥ فبراير سنة ١٩٠١ في فصل عن دي ويت : « إنه
اشتهر في أواخر حروب الترنسفال وأبرز شهرة واسعة . ولم يكن في حساب أحد ، بعد أن
فجئت جيوش البوير وأخذت بلادهم ونزبت ديارهم ، أن تبقى منهم هبة تثبت ثبات الجبال
بفضل رسالة دي ويت الذي كان يلاحم الانكليز في حصونهم ويستولى على معسكراتهم فيقتل
ويذهب وينجرب ثم يعود » .

وفي مقال آخر بتاريخ ١٥ يونيو سنة ١٩٠٢ قالت الهلال : « وسنقصي الدول كما انقضت
دولة الرومان وأتحت آثار قرطاجة ويبقى ذكر البوير كما يبقى ذكر القرطاجيين ، وسيدكر
دي ويت كما يذكر هتيال » .

ونشرت « مجلة الجبال العربية » في عدد يناير سنة ١٩٠٢ فصلا عن (كريستيان
دي ويت) بطل الدنيا في هذا العصر بالاعية الحربية ووقائمه المدهشة التي صارت أشبه

بالقصص الخرافية التي تروى عن المغاريت والجنان ، قاهر أمهر قواد الانكليز واحدا
بعد واحد * .

ودى زيت ولا شك أول وأمهر قواد حرب المعاصات أو الكومندوس وأول فدائي تمثل
في قصصه استهسال أمه صغيرة ومثلها في المنافع عن وطنها ،

أفسريت من الجن أم القنالد دى زيت
فلا يباد ولا يخاف ولا من ولا ميت
ولا يمسكه كسر ولا يمسسه بيت
ويوما شاة كيت ويوما أمره كيت
فيا دى زيت يا ليت وحمل ينعمكم ليت
فيا في كسج كسج بر عمل أهوالها زيت

(مقتطفات من الجزء الثانى من الشوقيات)

قل للزمان صبب من أحداه أو لا صبب فابنا إشفاق
عمرت مصائبه فأغمرنا بها والغم فيه تسوى الأعماق^(١)

وقال :

كأنى بالحمام لمصاب وسكنى لعل وأى ركن لا يبيل
وأدركنى ونجم صباى حال نهر للصبم وأزدوج الأنفول
فلا ينسركا ولدى بسدى زها الدنيا ومنظرها الجليل^(٢)

(١) أصل الآيات أربعة ولا يمكن نقل شتى في إحدى النسخ رواية تاريخية لشوقي سنة ١٨٩٩ هذا نصها :

قل للزمان صبب من أحداه أو لا صبب فابنا إشفاق
عمرت مصائبه فأغمرنا بها والغم فيه تسوى الأعماق
لا بد من يوم نحمد لموله ثم الجبال وتطمم الآفاق
فهناك إما طالك الأحقاد ما طالك وإما زالت الأحقاد

وقد كرر شوقي في حكاية النثرية قوله : (الغمر فيه تسوى الأعماق) .

(٢) زها الدنيا : زيتها وزهرتها .

مقتطفات من الجزء الثاني من الشوقيات

« قال على لسان أحد الإخوان وقد شكوا إليه كثرة الأولاد بعبارة استظرفها فضمنها هذه الأبيات » :

شكوت لله من نسل وكثرته وقلت في ذاك والتوحيد معتدى
لا ينقضي سنة إلا ولي ولد وأنت يارب من الفين لم تلده
ولو وهبت ليمى منك ألف أخ ماضت فرطاً ولا ضاقوا إلى الأبد
ولا وجهك لم أكره ثم قدم فأغهم هم هبهم لي بلا عدد
وله في كلاب الاستانة :

قالوا فروق الملك دار مخاوف لا ينقضي لتزيتها وسواس
وكلابهم في مامن فأعجب لها أين الكلاب بها وخاف الناس
وله :

رأيت كلاباً بدار السعادة عداد الأهالي بها أو زيادة
ولكن بينهما فارقا ففيهم حاس وفيهم بلاه^(١)
مقسمة فرقاً في الطريق كما يقسم الجيش جندا وقاده
ومنها السمين بحجم الخروف ومنها الضئيل بحجم الحراده
ويحلوها النوم فوق الشريط وتحلوها في الطريق الولاده
وقد يفسد الجوم من نلتها وعندهم حفظها كالعبادة
وبلغه أن صديق سوء اغتابه في مجلس فقال فيه :

يا أيها الرجل المغتاب صاحبه لم ينس فضلى ولكن قد تناساه
تسبني حسداً والحلم من شمي فلا أسبك لكن سبك الله
ولا أسميك خوفاً من مقالتهم قد ظننه في الورى شيئاً فسماه

(١) الحاس : يريد الحماة . وهذا خطأ شائع .

تقريب ديوان حافظ إبراهيم

(١٩٠١)

(١)	من ذا الذي لم يطر شمر حبيب	قالوا حبيب أنت تطرى شمر
	راح القبول وكأس كل أديب	من كان في رب فناء ديوان
(٢)	شمع المدح ورقة التشيب	أوعى لأحمد والوليد كليهما
(٣)	تسقى كل الدنيا بقاء عيب	كم فيه من مثل بسير وسكة
	وربما يسوم في البلاد عصب	يا حافظ الأديب والطفل الذي
	منشوبة أو غير ذات ثقب	قل للأولى خضروا للآل بالمسوى
(٤)	في هذه الأوراق كل عجب	لا تسألوا الأصداق ماذا أودعت

(١) حبيب هو أبو تمام الطائي الشاعر .

(٢) أحمد هو أبو البلاد المعري (أحمد بن عبد الله بن سليمان التميمي المعري) . والوليد البعري الشاعر الذي

اشتهر برفقة تشيب . وأوعى الشيء والكلام ليد . وحفظه وجه وأوعى الزاد والمتاع : بسطه في الرواء وجمعه فيه .

وأوعى الشيء : أروع . (٣) عصب : اسم جعل لكل امرئ القوس (والى مقم ما أقام عصب) .

(٤) ماذا أودعت (عل ما لم يسم فاعله) : ماذا كتبت (بكتف يد الميم وكسرهما) .

وداع ودعاء

بين سمع الله والبصر
 استمدى في كلامه
 وأضنى البصر وأنسى
 ضاق بحر الروم عن ملك
 يلا الدنيا مدى وندى
 قد أخذنا الدهر منه وضى
 ومشينا في متابعه
 يا هلال الشرق حيث يرى
 وابن محبي الأرض من عدم
 النقي الفضل من ريب
 كلما يمت متلة
 قد رآك الغرب في كبر
 لك بالبلاد من قطن
 قصير رأس التين مزدهم
 لوداع بعده لكما
 أت يوما ودعوك به
 قام دين في صبحته
 واستضاء العالمون هي
 كلمات دونها
 سلم الدنيا وضرتها

أنت يا (محروسة) النفس
 والمحرى في ذمة القدر
 بحجول اليمن والنور
 زاهر في الحل والسفر
 شقيق عثمان أو عمر
 لم يحاربنا ولم يحور
 فسبقنا كل مفتخر
 وسماه البدو والحضر
 ومداوى الأرض من عسر
 السلم الحلم من كدر
 بشرت بالغيث والمطر
 ما رآك الغرب في الصفر
 ما ينال الناس بالعمر
 بوفود الملك والزمر
 خطوات الشمس والقمر
 نبوى الفجر والأثر
 واستبان الرشد للبشر
 بعين الآي والسور
 في ألهي الآيات في النظر
 ونظام الناس والمصر^(١)

(١) السلم (تشديد اللام) المرقاة وهو ما يرتقى عليه فيسلم حتى به لأنه يسلك إلى حيث تريد . و — السبب

إلى الشيء يقال اتخذ منها إلى حاجته أى سببا يتوصل به إليها . والفترة (فترة الدنيا) هي الأثرى .

الآيات الخمسة الأخيرة هي التي جعلت المدح المجلد محضلا إلى حد في هذه القصيدة النواحية الرقيقة .

« اشتد الحر في الأيام الأخيرة اشتداداً عظيماً أودى بحياة المئات من النفوس في أمريكا، وجاء في برقية اليوم من باريس أنه مات خمسة أشخاص . وقرأنا في جريدة الفار السكندري أن القبهوان سورابيش الذي كان ريان البانورة (شرقية) أثناء غرقها في سبتمبر الماضي قد مات بضربة الشمس منذ يومين في سواكن . وقد جادت قريحة حضرة شاعر مصر المفضل (أحمد بك شوقي) بأبيات رشيقة ، بعضها من المعاني المبكرة لمناسبة تلك الحوادث ما نوردته فيكمية القراء »^(١)

(أين من) ^(٢) ماذا ترى في الكهراء	أنت في الأرض فمن ذا في السماء
إن تكن تحم في أوزارها	إنه في يده زر القضاء
كلما حركته في شقه	لجعب العقل وجع العقلاء
فأقل هل ترى من حيلة	في سلوك مرسلات من ذكاء ^(٣)
قد حكيت الشمس حتى غضبت	غضبة برزت على القوم البلاء
وملحكت الريح في (مروحة)	من نحاس تحمل الصيف شتاء
من وأما قال قد حفرها	لك من يحفرها للأنياء
لئبسة (الناظر) في غمرته	ومزيد في نعيم الأغنياء
فانظر اليوم أأعنت أم فبدت	أم أفاد العلم أم أجدى الثراء
يا ملوك المال فبا زعموا	هل ملككم خطرات من هواء
ليت لي الربح فساومتكو	وأخذت الملك بيعا وشراء
أشرك البائس في نعمائه	وأسوى القسم بين الفقراء
صديق الواهم منكم إنما	لحق الدنيا خيال وهباء
كل ما ساء وما ستر بها	ينقضي بين صباح ومساء

(١) أخذ أن هذه تمكة لا تناسب المقام لأن هذه الأبيات الرشيقة « من رائع الشعر في فلسفة الحياة » وهي خليقة بالتفكير العميق . (٢) عالم أمريكي اشتهر باختراع المصباح الكهربائي . (٣) ذكاء (بضم الدال) : الشمس .

رثاء بشاره تقلا

حل بالأتنين خطب جليل
زال عن مسوريا فتاها المرجح
وعن الأهل من يبر ويحنو
وعن الأمر من يغامر فيه
وعن الرأي والسياسة والتعد
يا صديقي وكنت بالأمس حيا
قد شجاني من نأى وجهك عني
يقطر الفضل والمروءة منه
خير ما خلف ابن آدم في الدن
لبت شعري ما فدا لقيت من المو
يلبت الصالحون في الشك إلا
ترجع للنفس للحقيقة فيها
ويلوذ العليل فيها إلى الط
إنما الموت ظلمة تملأ العير
وثوان أخف منها العوالى
يقته العيش عندها حين لا اليا
هذه الأرض والأفام عليها
والذى ينشئ الروايات دهر
أبها الراحل العزيز طينا
إن فضلا خلقت فينا ونبلا

رجل مات والرجال قليل^(١)
ومن النيل جاره المأمول
وعن الأصديق من لا يحول
وعن الحق سيفه المسلول
مرير من رآه السديد الأصيل
عهدك اليوم بالحياة طويل
أن وجه الوداد باقى جميل
ويميل الوفاء حيث يميل
يا خلال يبكى عليها خليل
ت وأخفى لك التراب المهيل
ساعة عندها الشكوك تزول
وترى أن ماضى تضليل
حب وهل ينفع العليل العليل
من وقر على الصدور ثقل
كل عضو بيعضا مقتول
فع سأل ولا الكبير ملول
ملعب نسم ينقضى التمثيل
كم له من قصوفا تخيل
سر برغم القلوب هذا الرحيل
لأمين عليهما جبريل^(٢)

(١) اغتبر الشعر الثانى من هذا البيت .

(٢) جبريل هو جبرائيل تقلا بن بشاره تقلا . كان صاحب الأهرام بسد موت أبيه . وقد تمكن بمساعدة

النصائى الكبير داود بركات من النهوض بالجرادة ورفع مستواها الأدبى والسياسى .

مسألة الأرصفة

أو

فشودة أخرى

في أغسطس سنة ١٩٠١ حدث نزاع بين الجانب العالي وشركة فرنسية حول امتياز بناء رصيفين على ضفاف البوسفور ، وقد تدخلت الحكومة الفرنسية في النزاع ، وهددت تركيا بقطع علاقاتها معها .

نشر (السواء) في ٢٤ أغسطس رسالة لمكتبه بالإسكندرية تحت عنوان (فشودة أخرى) جاء فيها : " كلمة قلها أحد رجال السياسة الأوربيين العارفين بحالة فرنسا الراهنة عندما أطلع على ما نقله البرق إلينا بالأسى وهو أن سفير هذه الدولة قد أئذر حكومة جلالة السلطان بقطع العلاقات بينهما ، وضرورة التسوية إن لم تحب حكومته إلى مطالبتها . . . " .
وقد لا قدر السفير الاشارة في أواخر أغسطس ، وكانت أزمة تحرك لها الرأي العام . كتب (الواء) في ٣١ أغسطس تحت عنوان (أعنفه شهامتكم ؟) " إن المسيو جرانتيه صاحب الامتياز صيغة السفير وغير من نبله . . . وإلى السفير هتد بالوسائل الثلاث : المظاهرة البحرية ، وامتلاك الكوك ، وإرخاء العنان لحزب تركيا الفتاة " .

هنا عينه ما كان يحدث في مصر في عصر إسماعيل : تهديد بالأساطيل ، وتحويل جميع المسائل المالية أو الحقوقية الخاصة التي تختص الحاكم دون سواها بالفصل فيها إلى مسائل سياسية تدور إلى تدخل القناصل وحكومات الدول الأوروبية الكبرى . . .

وقد نشر (المؤيد) بهذه المناسبة في أغسطس سنة ١٩٠١ البيتين الآتيين ونسبهما لأديب فاضل وهما :

قالوا فرنسا أندرت مساطنا قطع العلائق والوعيد مهول

وتساءلوا ماذا يكون فعالها فأجبتهم فاشودة وتزول

تهنئة السلطان عبد الحميد بعيد جلوسه

لك أن تلوم ولي من الإصدار
ما كنت أسلم العيون سلامي
وطر تعلقه الفؤاد وينفضي
يا قلب شاك لا أمذك في الهوى
أمرى وأمرك في الهوى بيد الهوى
جار الشبية وأنتفع بحوارها
مثل الحياة تحب في عهد الصبا
أبدأ "فروق" من البلاد هي المنى
ممسوعة إلا الجمال بأسره
خطواتها التقوى فلا مراهوة
مرت بنا فوق الخليج فأسفرت
في نسوة يوردين من شتى الردى
عارضتهن وبين قلبي والهوى

إن الهوى قدّر من الأقدار
وأيسح حادثة القرام وقارى
والنفس ماضية مع الأوطار
أهدا ولا أدعوك للإقصار
لو أنه بيدي فككت إسرائي
قلل المشيب فإله من جار
مثل الرياض تحب في آذار
ومنأى منها ظلية بسوار
محجوبة إلا عن الأنظار
تمشى الدلال ولا يذات نقار
عن جنة وتلفتت عن نار
نظروا ولا ينظرون في الإصدار
أمر أحاول كتبه وأداري



وسالت ماشغل الملائك بالثرى
صبح الجلوس جلتك أشرف ليلة
الملك بينهما بايمن طالع
تاب الزمان إليه عن أحداثه
«عسر» الأمانة لا تراه غافلا
عش يا أمير المؤمنين لأمة
لو كان مجلس في الجوارح مالك
إن الذي جعل الخلافة هالة
السق أزمتهما إليك وحازها

فاجبت عبد خليفة المختار
وجلوت للدنيا أجل تهار
والدين بينهما بخير منار
بضنى على أحلدائه جبار
عن حرمة أو نائم عن نار
ترضاك في الإعلان والإسرار
جلست في الأشماع والأبصار
قد زائها بالبدن في الأقمار
لك عن خلائف أربعين كبار

تعطى المشارق كل عام عيسدها يجعل الأعصام والأعصار
بأمر ممدود البناء بنى لها ركا وقد كانت بغير جدار
ويهرز عطفه الزمان ويزدهى بأمر فيه عجلى الآثار
جالى الجنود كأنهم شهب الهمى ومنبرهم من كل لبث ضار
ولقد ينال حى الإله ببعضهم مالاتال الأرض بالأسوار
أخليفة الرحمن دعوة مهتد بإمامة فى ضوء " يلدز " سار
لك أن تفر البيض فى أهادها أو تتوك الدنيا بغير قرار
فأختر لياك قزته وأربا به أن يلتقى بسفاسف الأحرار
إن يستعينوا بالسباب فإنه حول الضعيف وحيلة المخوار
مما يلغى رصاصكم ألسنى حسان أبى الله فى أشعارى
ما زلت أهدى كل صالحة لكم حتى وهبت لكم ثواب البارى

التعليق

نشرت أبيات النسيب من هذه القصيدة فى باب النسيب من الجزء الثانى
ص ١٥٩ - ١٥٧ مع تعديل فى البيت الأول من البيتين الآتين :

فى نسوة يورذن من شئن (الهوى) نظروا ولا ينظرون فى الإصدار
عارضتهن وبين قلبى و (الهوى) أمر أحاول كتمه وأدارى

فوضعت كلمة الهوى بدلا من (الردى) . فكرر ذكر الهوى فى البيتين . وهذا التكرار غير
مستحسن لفظا ولا معنى . على أن إبدال الهوى بالردى غير منطوق وبذهب بقوة البيت وجماله .
ودت الفرس رديا : رجعت الأرض بحوافرها و - تهوّر من جبل عال و - فى البئر :
سقط . وردي يردى : هلك فهو ردي . ورداه فى البئر تردية : أسقطه فيها . وأردى زيدا :
أهلكه كقولهم « سادوا فقالوا أردت الخيل نائيا » . وتردى فى الهوة ترديا : سقط فيها .
فيكون المعنى أن النسوة يوقعن من شئن بنظراتهن فى ورطة الحب ولا يفكرن فى تخليصه
منها . فالردى هنا بمعنى الورطة والورطة هى الهوة الطامسة . وهى الملكة والشدة وكل أمر
شاق تعسر النجاة منه : ولو أن شوقى قال فى تعديله ما معناه " يوقعن من شئن فى الهوى "

لاستقام المعنى ولكنه قال "يوردن من شين الهوى" وشستان بين ورود مناهل الحب والوقوع أو التورط فيها . فالأول لا يستعذب الخلاص منه بعكس الثانى . .

أما المديح فأبياته فى مجموعها جيدة وخصوصا قوله :

اللقى أزمتهإ إليك وجازها لك عن خلائف أربعين كبار

والمهم أن هذا المديح كان يجب تسجيله لأنه يتضمن مقامات سياسية تورط فيها شوقى تأييدا للسلطان كقوله :

فاختر لبأسك قرنه وأربأ به أن يلتقى بسفاسف الأحرار

إن يستعينوا بالسباب فإنه حول الضعيف وحيلة المخوار

لم نجد المخوار ولعلها الخوار وهو الجبان . والواقع أن الجبن من صفات الحاكم المستبد الذى لا يحميه سوى إلافى الإرهاب . الجبان هو عبد الحميد لا الأحرار الشجعان الذين ثاروا عليه وثلوا عرشه فى سنة ١٩٠٩ .

الثورة العرابية

كان شوقي شاعر الحرية والمجد ، شاعر الثورات . وقد تنفى بالحرية وتنفى بالثورات جميعا إلا ثورة واحدة ، هي الثورة العرابية . ولا شك أنه كان مخلصا في عقيدته ولعله تأثر بالبيشة التي كان يدين لها بنعمته ، بيشة السراي ورجال السراي الذين كان أكبرهم هم الصاق تهمة الخيانة عرابي وتصوره بأنه كان طارحا على العرش والبلاد لتنفى تهمة الخيانة عن توفيق . ولعله تأثر أيضا بالشركس الذين ينتمى إلى عنصرهم وكانوا ألد أعداء الثورة و « أولاد العرب » في الجيش . ومهما كان من الأمر فقد ساعد فشل الحركة على ترويح هذه التهمة الباطلة خصوصا بعد ما خلا الجو للحدوي وأعوانه .

كان رياض باشا عظم في مدرسة محمد علي الصناعية وأثنى على الاحتلال في ٨ يونية سنة ١٩٠٤ فقال شوقي من قصيدة عنوانها (خاتمة رياض) وهي في الجزء الأول ص ٢٥٩ :

أفي السبعين والثلثا تولت ولا يرجى سوى حسن الختام
تكون وأنت أنت رياض مصر عرابي اليوم في نظير الأنام

وفي رثاء رياض في أول أكتوبر سنة ١٩١١ (الجزء الثالث من الشوقيات صفحة ٤٦ وما بعدها) . قال :

أبا الوطن الأسيف بكك مصر كما بكت الأب الكهف البنات
قضيت لها الحقوق فني وكهلا ويوم كبرت وانحنت الفتاة
ويوم النهى للأمراء فيها ويوم الأمر بها العصاة

وفي قصيدة (الأزهر) التي نشرتها (الأخبار) في ٦ يناير سنة ١٩٢٥ (الجزء الأول صفحة ١٧٥) قال شوقي :

ولدت قضيتها على محرابه وحببت به طفلا وشبت معصرا^(١)
هز والقرى من كهفها وريقها أتم لعمر الله أعصاب القرى
الغافل الأعمى ينطق عنكم كاليفاء مر ددا ومكرا
ذكر الرجال له قاله عصبية منهم وفسق آخرين وكفرا
أباؤكم قرأوا عليه ورتسلوا بالأمس تاريخ الرجال عزورا

حقى لقلت عن محاررومة فرأى عرابى فى المواقب فيصرا
ودعا لمخلوق وأله زائلا وارتد فى ظلم العصور الفهقرى
لغنى على العرش البلاء وما نوى وجنى على الوطن البلاء وما درى
كونوا سباج العرش والتسواله نصرا من الملك الصريز مؤزرا

هذا أهم ما ورد عن عرابى فى ديوان شوق المطبوع قبل موته وبعد (١٩٢٦ - ١٩٤٣) .
وتوجد إشارات كثيرة إلى الثورة العرابية والعرايين فى قصائد (الشوقيات المجهولة) . ولكن
هناك إشارة وزدت فى قصيدة أغفلناها قبلت على أثر رجلة قام بها الخديوى توفيق فى الصعيد
(٤ يناير - ٨ فبراير ١٨٩١) . وكانت أرسلت من باريس مطلعها :

من له فى الملوك ذاك البناء يتهدى على ذراه اللواء

وهى مكونة من اثنين وأربعين بيتا لم ينشر منها إلا ستة وثلاثون فى الجزء الأول من الشوقيات
طبعة قديمة تحت عنوان (تهنئة للرحوم توفيق باشا بقدومه من الوجه القبلى والاحتفال بعيد
ميلاده وهى مما نظم فى أول زمن القول) . وقد نشرتها (الوقائع) كاملة فى ٢٨ فبراير
سنة ١٨٩١ . وكانت الأبيات الستة المحذوفة تشتمل على البيت الذى يشير فيه إلى العرايين
وهو البيت الثالث من الأبيات الآتية :

فت بالأمر والحوادث شتى ولعلبك بالشباب ازدهاء
كنت أشهى وردا من القطر لما أشيرتك القلوب وهى ظماء^(١)
فطننى فى البلاد قوم أزيحوا فازيحجت من جفنها الأقداء

وقد نشرت القصيدة كاملة فى كتاب مطبوع بالمطبعة الأميرية ببولاق عنوانه : (سياحة
الجناب الخديوى المعظم فى أقاليم مصر البحرية والقبيلية سنة ١٣٠٨ ١٨٩١ م) .
ونشرت (الوقائع) فى ٢٠ يولية سنة ١٨٩١ قصيدة مطلعها :

لى الله ما أغرى الفرام بهجنى وأهدى لأقمار المنازل مقلتى
وهى منشورة فى الشوقيات ، طبعة قديمة ، فى صفحة ٦٢ جاء فى هذه القصيدة :
رعى الله يوما أشرفت فيه مصر من مسنا وجه توفيق بأيمن غزة
ويوما أسند الله فيه (عجا) بأشرف نصر غب^(٢) أشرف هجرة

(١) أشرب فلان حب فلان بصفة المجهول : خاطب به قلبه .

(٢) مهدو محمد توفيق الخديوى . وأشرف هجرة إشارة إلى احتفاء توفيق بالأسطول الانجليزى أثناء ضربه

الاسكتلندية بالقنابل .

على قضية عن القلوب موحوا
عن المالك ابن المالكين بسوقه
كشيعه موسى قاب عنها لياليا
فلما تولى رعيها العجل ضلت^(١)



كان واضح هذا الكتاب نشر تباعا بحثا عن البارودي في الصفحة الأدبية من السياسة سنة ١٩٢١ ، ثم جمعه وطبعه على حدة في رسالة ظهرت في يونيو سنة ١٩٢٣ ، فبعث إليه أمير الشعراء بهذه المناسبة كتابا جاء فيه :

« وعلى ذكر الثورة أقول للأستاذ إنه كان له فني عن الإشارة إلى مواقف المرحوم البارودي في الحوادث العربية فإن في ذلك من مسابقة التاريخ ما فيه . ومن سابق التاريخ لم يأمن أن يتصل الأعقاب ويحرف مواضع التبعات من الرقاب » .

والحق يقال إن الانجليز ورجال السراي نجحوا في تشويه حوادث الثورة العربية حتى أن المرحوم أمين الرافعي في مذكرته للوقد المصري في سنة ١٩١٩ عن القضية المصرية قال : « إن حوادث الثورة العربية يحيط بها الغموض وسع أن بلغت وبرودى وسميوركي وروستاي قد كشفوا القناع عن وجوه الحوادث وانفكروا زانقها . وعلى أية حال بدأ المؤرخون المصريون بعد سنة ١٩٢٠ في كتابة تاريخهم الصحيح وبعبارة أخرى أصبح للؤرخين المصريين لأول مرة وجهة نظر مصرية صميمة في كتاباتهم فلا عذر لشوقي إذن فيما قاله عن العربيين في سنتي ١٩٢٣ و ١٩٢٤ . أما ما كتبه في الصحف سنة ١٩٠١ غفلا من الامضاء ولم يفسر في الديوان ، وذلك إبان الضجة الكبرى التي صحبت عودة عرابي من المنفى وتصريحاته » فقد يلتبس له فيه بعض العذر .

في سبتمبر سنة ١٩٠١ كان ولي عهد إنجلترا في جزيرة سيلان فالتبس منه عرابي العفلو فعفا عنه . وقد غادر عرابي سيلان إلى مصر في ١٧ سبتمبر ولكنه قبل قيامه أدلى إلى صحيفة (التيمنس أوف سيلان) بتصريحات أنفي فيها على الاحتلال الانجليزي وكان لهذه التصريحات الصادرة من زعيم الحركة العربية وقع عني في جميع الأوساط خصوصا وأن حركة مصطفى كامل ضد الاحتلال كانت على ساق وقدم . ولما وصل عرابي إلى السويس في ٢٩ سبتمبر أدلى إلى مراسل (التيمنس) اللندنية بتصريح نشر في عدد ١١ أكتوبر قال

(١) العجل يريد عرابي . والواقع أن عرابي كان زعيما وطنيا مخلصا ولكنه لم يكن رجل سياسة ونظم . ومن أكبر أخطائه عدم القبض على توفيق قبل استئصال الحياة وترك الفتاة عروا .

المراسل : « وصرح لى مع السرو و بإعجابه بحكم الانكليز في مصر كما أعجب به في جزيرة سيلان ، ويظهر أن ما حصل له في مدة الثماني عشرة سنة التي أقامها في المنفى بتلك الجزيرة صيره حديفاً جميعاً لانكلترا » .

وبعد وصول عرابي إلى القاهرة في مساء ٣٠ سبتمبر لم يكثف بتصريحاته السابقة التي أثارَت مخط الرأي العام فنشرت له (المقطم) جريدة الاحتلال في ٢ أكتوبر حديثاً جاء فيه : « ولما فرغ من شرح سفرته قلنا له هل وجدتم ما رأيتموه من مصر في هذين اليومين مختلفاً عما كان عليه حين مغادرتكم لها ؟ فقال إن حالتنا كبيرة . . . وقد قابلت أكابرهم الذين جاءوا السويس للتسليم على فسألتهم عن الأحوال بالتفصيل والإجمال فوجدتهم متفقين في الجواب صالتهم أصحح أن السخرة ألغيت فقالوا نعم صحيح . قلت والكرايج ، قالوا بطل من زمان طويل . قلت وكيف تحصل الأموال من الأهالي قالوا بالحق والعدل وكل إنسان يعرف ماله وما عليه . فسألتهم وكيف الاستبداد في الأحكام الآن أجابوا لم يتبق للاستبداد أثر في البلاد فكل شيء مقيد بقانون ونظام . . فشكرت الله حينئذ لأنه حقق منأى وأراني قبل مماتى ما طالما كنت آمناء لبسلاوى . وقلت هذا هو الإصلاح . . ولكن لحكمة له جل ولكن لا يرضى أن لا يتم على يدى بل على يد الذين نازلناهم في ساحة القتال وكانوا لنا أعداء فصاروا لمصر اليوم خير الأصدقاء » .

من الصعب أن نصدق أن مثل هذا الكلام صادر من أحمد عرابي المصرى قائد أول ثورة مصرية في تاريخ مصر الحديث . والظاهر أن شيخوخته وما صحبها من ضعف ووهن في أثناء إقامته الطويلة في المنفى قد أفقدته وعيه وبصره بالأمور . ومهما كان من الأمر فهذه زلة لا تنتفر لمرأى . وقد حملت عليه الصحف الوطنية وفي مقدمتها اللواء حملة شعواء : نشرت اللواء في عدد ٢٨ سبتمبر سنة ١٩٠١ افتتاحية بقلم مصطفى كامل عن (عرابي) جاء فيها : « لم يكفه ما جناه على وطنه حتى سمعناه يفتخر بالاحتلال وآثاره ويراه النعمة الكبرى على هذه الديار الأسيفة . . نسي عرابي أو تنامى أن الانكليز أبوا أن يستلم سيفه قائد منهم أو ضابط صغير إظهاراً لاحترامهم لزعم حركة لم يتصف جيشه وجنوده إلا بالجهن الفاضح والمهزوب السريع » . وفي عدد ٣ أكتوبر ، على أثر نشر حديث (المقطم) ظهرت افتتاحية أخرى في اللواء بدون إمضاء عن عرابي : « مضر اليوم مرشح يمثل فيه آخر فصل من رواية (عاقبة خيانة عرابي) وهو أسوأ فصول هذه الرواية المخزنة » . وفي عدده أكتوبر من اللواء ظهرت افتتاحية (نظرات إلى عرابي) جاء فيها : « عاد محمود سامي إلى مصر

هلمه راحة المصريين . ولم يتخلوا أبداً عنهم عنهم مصافاً وأكبرهم خسارة . أصيب في ثورته الواسعة وجاعة الرقع وأهله الكرام ، وهو وإن لم تصنه أصالة الرأي عن الخطل في السياسة فله من نسبتة إلى الأدب ما يقوم له ببعض عذره . . ومع هذا كله لم يعلم أحد أنه اشتكى الفقر وهو الذي عرفه النبي أو حتى إلى رتبته ونباشته وهو الذي بلغ من المعالي ما تشتهى النفس العالية ولا يزال به حياء وخشية أن يحدته الأصدقاء بأخبار الثورة . وإذا مرض له أحد من سمى النبي ، فما لم يدر كيف يجب . ويمثل هذا الحياء في المقفولة له طلبة باشا المصريين قبل لثاقوبه . ويقال على من يسمي الذي عاد إليها بالأمس أنه كثير الحياء شديد الخجل والندامة .

ومما يؤسف له أن التهمة الحائرة الموجهة إلى عمري شملت الحركة العربية و كبار العربيين جميعاً ، والمثل العامي يقول : « البقرة لها نفع تكثر سكاكينها » . وقد أشار إلى ذلك البارودي في مقام حين قال :

لم أفسدك ذلة تفضي عن حياء أصبحت فيه لماذا الويل والحرب
فصل دفاعي عن ديني وعن وطني ذنب أدان به ظلم وأعترب
فلا يظن بي الحساد حسنة فإني صابر في الله محتسب

فكل ذنب العربيين أنهم دافعوا عن دينهم ووطنهم وأنهم ثاروا ضد التدخل الأجنبي ومطامع الأوروبيين . كتب (اللواء) في ١٠ أكتوبر تحت عنوان (المدافعون عن الخائن) ما يأتي : « كيف لا يتهم عمري بالحيانة بعد تعرضاته الأخيرة وهذا اللورد دوغرين أحد كبار السياسة الانجليز يقول في تقريره عن مصر : « إننا لو أحسننا إلى المصريين ورفعنا عن كواهلهم المظالم كلها ، وجعلنا بلادهم أعظم البلاد وأعظمها لم نجد منهم حياناً ميلاً ولا لتعطافاً إذا دام احتلالنا لبلادهم لأن الاستقلال لا يقدر نحن » .

ويمكن القول إنصافاً للحقيقة والتاريخ أن عمري لم يحن بلاده في ثورته وكان زعيماً مخلصاً ولكنه سقط سقطة في حق بلاده بتصرفاته في سنة ١٩٠١ . وقد أظهر الشعب في أيام الثورة العربية روحاً عالية ووطنية صادقة . فمن الظلم اتهام الكبار بالخطل في السياسة واتهام الشعب بالجهل والفتنة . قال ملتر في كتابه عن مصر : « إن الحركة العربية كانت نهضة عامة نهضها الشعب ضد ظلم لا يتحمل » وقال كرومر : « إن أغلبية الفلاحين كانت تعطف على عمري وتولي وجهها قبله لإعتادها من المرائي والباشا » .

ونعید ونؤكد أن عراقی بریء من الخيانة التي نسبها إليه مصطفى كامل تحت تأثير فورة عاطفية لأن الذين خانوا هم توفيق وفريق من المصريين الموالين له وعلى رأسهم سلطان باشا، وطائفة من الضباط، وعرب الطحاوي. ويمكن أن نضع في عداد الخونة تركيا بإصدارها منشورا بإعلان عصيان عراقی، ودلسيس الذي خدع عراقی وكتب له في إحدى رسائله: «إني لن أسمع للإنكليز بدخول ترعة السويس إلا بعد أن يفصل رأسي عن بدني ويعبر الإنكليز على جثتي». فأمّن عراقی مجيء الإنكليز من ناحية القناة وتركها عوراء بلا تحصين. وقد أشترك شوقي في هذه المعركة بقلمه ونشر قصيدتين (بلا إمضاء) ولكن أسلوبهما ينم عليه. ظهرت الأولى في (الواء) في ٢٩ سبتمبر سنة ١٩٠١ في الافتتاحية تحت عنوان ختم (عراقی وما جنى)، هذا نصها:

أهلاً وسهلاً بحاميها وفاديا	ومرجيا وستلاما بإعرايها
وبالكرامة يامن راح يفضحها	ونقدم الخيل يا من جاء يخرها
وعدها حين لا تقنى مدافعها	عن الزعم ولا تحدى طوايها
وارجع إليها في الله فأنجها	يوم الإياب ويا لله غازيها
وانزل على الطائر الميمون ساحتها	واجلس على تلها وانق بوادها
ويض لها بيضة للنصر كافلة	إن الدجاج عقيم في نواحيها
واظلم صحب البخاري كل آونة	ونم عن الحرب واقرا في لياليها
وانخرج القوم من مصر بخارقة	تفوق "فاشودة" فيها وتنسها
من العجائب صاروا من أحبها	فما زعمت وكانوا من أعاديها
كان ما كان من حرب ومن حرب	عتب المودة لا يودى بصافيها
وضع حمايتك الخضراء من شرف	يعرفك كل جهول من أهاليها
وقص رؤياك مكذوبا بمضحكها	على النبيين مكذوبا بمكيها
فلمست تعمد عينا من أكابرها	ولست تعمد بكما من أعاليها

(١) قال الأستاذ أحمد زكي عبد الحكيم في كتابه (أحمد شوقي شاعر الوطنية) ص ٨٩: غير أن الأستاذ الدكتور أحمد الحوفي يقول إن شوقي قد أنشأ ثلاث قصائد حول عراقی، وإذا كان تاريخ الشعر والمصاحفة لم يثبت ذلك، فإن الدكتور الحوفي يقسم الأدلة على أن هذه القصائد الثلاث إنما هي لشوقي ولا أملك إلا أن أجعل هذه القصائد محلا للدكتور الحوفي التابعة التاريخية لذلك الإثبات والاستنباط.

وقد ذكرنا هذه القصائد وظروفها بالذقة في المحاضرة التي ألقاها في مهرجان شوقي الذي أقامه المجلس الأعلى للفنون والآداب في منتصف أكتوبر سنة ١٩٥٨.

ولست تعلم وقتا من أسافلها
ولست تعلم في الأجواد ذامعه
يزف للأمة البشرى ويهديها
يحصي الديون التي تشكو ويقضيها

* * *

قل للآل (أدور) أصبحت هي
هذا عرابي تمني أن تقابله
فسر بانك ترا ترجمي فالتفتها
ومر بلندرة تبسود بزيتها
فاين "روريس" منه إذ يجمها
هذا الذي يعرف الإفريج صولته
وسيله بالله إن صالحت راحته
وأي أيمانك للآل أن أشادها
وأن يموت عزيزا دون أربها
وقل له بلسان النيل توجهه
ذلك العظام بلا قبر ولا كفن
فاقر السلام عليها حين تندها
وناجها مرة في العمر واحدة
أوردتها الموت لم تبلغ بها شرقا
وما رأيت لك سيفاً تستضيء به
بانت يرى الموت فيها كيف يدركها
فأصبحت غنا من الذناب بها
يا ابن الحسين حسين مات من ظمأ
تلك الأبوة ما هذى شمالكها
وأنت أصغر أن تعطى مفاخرها
لم ينصر الله بالأحلام صاحبها
وبالمواقف يغشاها مؤلّسة
أبوة المصطفى ما زال يلبسها

من المنود وارلندا وما فيها
وأن ينال يداً جلت أبادها
وبالأساطيل تدوى في موانها^(١)
وتجلى للبرايا في مجالها
وأي "سيمور" منه إذ يوافها
والبر يعلمها والبحر يدريها
ما نفسه ما مناهها ما مساعها
أنت لا يحكم فيها غير أهلها
ولا يعيش ذليلاً في مغانيها
والنفس إن صغرت لاشئ يؤذيها
لولاك لم يبل في العشرين بالها
وأمل العفو منها حين تبكيها
لو كان سهلاً عليها أن تاجها
ولا توخيت بالأوطان تنويها
يوم القتال ولا وجهها يحميها
وبت تنظر مصر كيف تأنيها
ونام عنها غداة الروع راعيها
وأنت محتفل بالنفس تروها
للعارفين ولا هذى معانيها
وأنت أسمع أن تكسى معاليها
لكن بكل عوان كان يذكها
والخوض يمنعه والخيل يحميها
حرقشيب شباب الفخر ضافها

حتى تنازعها في مصر حبيتها دعوى وحنى تركتها غوانها
وأصاحت بلجان القوم متعبة وزينة بلهول القوم يديها

* *

هلا سبقت غداة السيل ناعيا إلى المينة سرورا تلاقيا
هلا تكففت في الهيجا برايتها مثل الدراويش خاتها عوالها
ما زال جمعهم في الحرب يشرها حتى ألتها فناء الجمع بطوبها
هلا أبيت على العاقين غنوم لكن يقال أين النفس عالها
زحمت أنك أولى من أعزتها بها وأخى عليها من عوالها
ركنت تطرب إذ تنلى مدايحها فإين دمعك إذ تنلى مرائبها

* * *

في هذه القصيدة تطل روح الشاعر من كل بيت ، فيها تهكم اللاذع :
يا ابن الحسين حسين ملت من ظما وأنت محفل بالنفس ترويا
وفيها حكمه : والنفس إن صغرت لا شيء يؤذيها *
أحد المعنى من قول المتنبي :

من بين سهل المسوان عليه ما لجرح ببيت إسلام
ولكنه وما كان أحق بالمعنى منه . وفيها تصويره :
هلا تكففت في الهيجا برايتها مثل الدراويش خاتها عوالها

* *

وقد نشر المرام في أول أكتوبر سنة ١٩٠١ تحت عنوان (عراي) القصيدة الثانية ومهد لها بقوله : " قام عراي على الطائر الأسود من السويس صباح الأمل ووصل إلى القاهرة في سبات يحفه الصغار ولازمة الاحتقار .. هذا ولقد كان للقصيدة التي نشرناها تحية لهذا القادم المشكور أعظم وقع .. ومنطقها .. وطلب هذا العدد الجلم أن نعيد نشر قصيدة (عادل عراي) وهما هي :

سناو في التعاب وفي الإياب أمدا كل شاك يا عراي
ضنا عك الأبعد والأداني فمن يعض عن الوطن المصاب

(١) نشرت (الجملة المصرية) في عدد ١٥ يونيو سنة ١٩٠١ هذه القصيدة باسماء (تليم) . فهي إذن أقدم من القصيدة السابقة ويظهر أن شرق عليها محمود عذرا الأخر بالإفراج عن عراي وصاحبه .

هذا سألوا بغيره من الغضب
 فحق في عصر من هذه الحيات
 أفسد بين سيلان ومصر
 في كتبها حشر الثياب
 يرب عليك من خطك غيا
 اناس منك اولى بالكتاب
 ولا والله ما لم يحضروا متاما
 ولا ماوروك في يدك الطوايا
 وانما في يدك اسراة العوطل
 واذا ضربوا وسيفك لم يجر
 واذا كنت لك الدنيا كان
 واذا تهيى المال بالحق
 واذا تهيى الاركة في القوافل
 انظر ان يفتت عصر
 وقد سجدت لك في اوتى
 والاعمال قد حلت في يوم
 من يرون الفناء بلا حجاب
 ومن اليوم اولى بالمحباب
 فانما علم الأعداء قبل
 انما ما قبل عاد لها عرابي

تحية الأمير بمناسبة عودته من مصيفه

اختر شوق أبيات النسيب من هذه القصيدة ونشرها في الجزء الثاني (باب النسيب
صفحة ١٧٧) . ونحن نعيد نشر القصيدة هنا كاملة (باحلا أبيات ستة) لأن معظم
أبيات المديح فيها سهلة رفيقة كأنها عتاب أو نسيب ، فخطبها كلها (تسبيا ومديحا) فسمه
من نسبات أحمد .

مقادير من حفيفك حولي خالبا	قدفت الهوى من بعد ما كنت خالبا
نفدن على اللب بالسهم مرصلا	وبالسحر مقضيا وبالشيف قاضيا
والسني يوب الضنى للسنه	فأجيب به ثوبا وإن ضم باليا
وما الحب إلا طامة وتجاوز	وإن أكثروا أوصافه والمعاني
وما هو إلا الثين بالعين تشبى	وإن توعوا أسبابه والدواعي
وعندى الهوى موصوفة لا صفاته	إذا سألوني ما الهوى قلت مايا
وبى ربما قد كان يبالى حاضرا	فغادرنى اشتاقى دنياى نائبا
سمحت روى فى هواه رخصة	ومن يهو لا يؤثر على الحب غالبا
ولم تحجر الفاظ الوشاة بريئة	كهذى التى يجرى بها الدمع وأشيا
أقول لمن ودعت والركب سائر	برغم فؤادى سائر بفؤاديا
أما لقلبي من جفونك فى الهوى	كفى بالهوى كأسا وراحا وساقيا
ولا تجعله بين خديك والنوى	من الظلم أن يغدو لناؤيك صالبا
وبى ملك على الفؤاد محب	جمعت الهوى فى مدسه والقوافيا
وما الشعر إلا خطرة أو سريرة	فصوغها لفظا إلى النفس ساريا
فنى الشرق فت العالين سكاريا	ومن قبل فت التيرات معالبا
ضموت فلم تستبق للجسد غاية	تسوم السها هذى الخطى والمساويا
وأطيب من قرب الحبيب على رضى	مقاطق فى (دار السعادة) راضيا
وما زلت فى ملك الخليفة أولا	وإن كنت فى نادى الخليفة ثانيا
ولو سئل الإسلام ماذا يريد	لما اختار إلا أن نديما التلاقيا

فيتمك في الدين وقد وردت
 والسود دل لا يكدر صفوه
 تقبل عزيز المالكين تحية
 طلعت عليها والضحي في روعها
 عروس سما الشرق أنت عالمها
 أنيب أيتها صليها
 شرت جلال الملك فيها وعزه
 وأقبلت كالدينيا إذا هي أقبلت
 تسير وجه ذي جلال وراحة
 هذا هو البدر استقر في السرى
 وفي الملك عهد الله أن لا تنجافاً^(١)
 ولكن كثيرا ما يفسر الأعادي
 فقد بها مصر وتهدي التهانبا
 فاحسنه يوما بشمسه زاهيا
 إذا زينت كنت الحل والمحاليا
 وقد طلات منها الفداة النواجيا
 وأعلامه موسومة والعواليا
 وكالدهر حال الصفو لو دام صافيا
 فيضان في الناس الهدى والأياديا
 وهذا صحاب الجود ألقى المراسيا

(١) قال تعالى: «ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة» .

(مقتطفات من الجزء الثاني من الشوقيات)

تسامر في الأمور نظن قصدا	وأنت مع الأمور على اضطراب
إذا فانتك قلت اختيار دهرى	وإن هي لم تفت قلت اختياري
وقد تيمرى سعود أو نحوس	وليس سوى قضاء الله جارى
أرى طوقان هذا الدرب يظنى	وأهل الشرق سادتهم نيام
فأنت لم يأتنا نوح بفلسك	على الإسلام والشرق السلام



وقال وهو من مبتكراته :

زعموا اللؤلؤ من طول السوى	يظهر السقم ويبدى الاصفرار
فإذا ودَّ إلى موطنه	في جوار البحر يشفيه الجوار
وترى الأسماك لا تعطفها	فرقة السدار ولا بسد المزار
وكذلك النفس في أحوالها	حسب الجوهر منها والنجار ^(١)
إن تكن من صدق نفس الحمى	أو تكن من أولئك تيك الديار

(١) التجار بالكرم الأجل والمحب والوفى .

صوت العظام أو عمراني أظم قتل التل الكبير

« إذا كان الشعراء هم سادة هذا العالم في قديم الأيام والآن هم في الضمائر وإعلان حقائق التاريخ وعبر الحوادث والأيام بما جعلها خالدة بالية أبد الزمان متناقلة من نسل إلى نسل ومن مصر إلى مصر ومن جبل إلى جبل لأن غيرنا جاديت به قرائح شعراء مصر والعرب والإسلام قصيدة أنشأها الشيخ البغدادى تنشرها اليوم مرة للمعبرين . وعظة صالبة للوطنيين والمساكين . وبما نكتفى عن نشر ما كتبه الشيخ مصطفى أبو القاطر عن موسى الذين يريدون رد رب عمراني وبناشيتهم إليه ورجوعهم إليه فليكون ما ذكرنا من بلية فوق بلاياها الكبار » .

عمراني كيف أوفيك الملا	جئت على ملامتك الأنا
فكف " التل " واستمع العظام	لقد لما كما لمحو كلاما
جئت من الوري هذا وهو لا	تأمنت إذ تقول القول فصلا
كانك قائل والحكم يفسد	عيسك وأنت تنظر الجاسا
ولا تأمل من الإغواءات ففسدوا	وإن كان الحسين أبك دعوى
أرقت دماءهم لعبا ولمسوا	ولم تحسب لثالبها مقاما
فما قد فدتك ولم تحسبها	تضيت يديك يوم التل منها
فكيف تنام عين الله ضبا	إذا نفل الملا عنها وانا
لقد سفتك بجهلك شرسك	لنير شهادة أو رفع ملك ^(١)
وأنت على تسديم العسر بي	وتتلب وتب لك أو وساما
تقول لك النظام مقال صدق	ورب مقالة من غير نطق
قلت المسلمين بشيخ من	وظيقت الأمانة والذما
قول لقد بقيت وما بقينا	تبنا للمدا حتى فبنا
لما حكم الديال في بيننا	وما صنع الأراذل واليتامى
تقول ويسوتها رعد تسلي	ونصل في الضمير لها دوى

(١) لير شهادة أو رفع ملك . يقول إنهم التلب سفتك بجهلك غير الموت والاستشهاد في سبيل الله ورفع الملك أي توبيخه وإصلاح حاله .

قسده مات الكرام وأنت حي
 قبول وجوتها ملا الشهورا
 عرابي هل تركت لسان قهورا
 قبول وجوتها بلسع السماء
 إله المسلمين أجود دماء
 تقول جبلت حين الظلم بغير
 وفرك من أي العيان حلم
 وقت له وما ظلم الأسير
 ظل الخطب واضطربت أبود
 قبول مقلدة فيها أعيان
 أموت لا عرابي لم عار
 زمان الجبانة كل شعب
 لأهلك حين لم تخرج لحرب
 وقيل زعيمهم ولي القسرا
 وظل عيشه فرمى عرابي
 نسائل من عرابي لا زاه
 ركبنا الموت لم نركب سواه
 وريثا يا شعوب الأرض مهلا
 أو أكرم واحد جنا وعهلا
 ملوا تلويحنا وسقوا "عليه"
 لقد عانى الأمير بنا قويا
 بزمنا ويظهر من إنشاء
 لنا في ظلها وله عسلا
 ألم تكف الجحاز عوان حرب
 حياة تنقضي عارا وذاما
 وأنت أعم من حجر شعورا
 يقبول الطائفون بها سلا
 وأسمع غير من صبح النداء
 تصيح الانتقام الانتقاما
 وثرث ولم يكن في مصر ظلم
 ولما يكتمل في الحكم ماما
 ولم يكن أطمأن به السرير
 عيت بأن تكون لها نظاما
 عشية حال بينك الفسار
 بلازمتنا هالكتنا لزاما
 وسهنا الملاقى أي سب
 ولا جودت في الهيجا حماما
 وفي "بليس" قد ساق القطارا
 وقد بلغ العبدى فيهم مراما
 ونشد حاميا على حماه
 وأنت ركب العار الفللاما
 أما كما لهذا اليوم أهلا
 فاننا كم مواقفنا المظلاما
 ألم يسل بنا للدينا دوا
 وعشنا تحت رايته حكراما
 كأننا تحت رايته القضاء
 ومجد بلا الدينا ابتساما
 وأخذناه من حرب وركب

(١) أول أغراض الزاين كان إنشاء حكومة دستور ورجع في القضاء على استبداد الحاكم — وقد كان
 يترقب مقلدا — والحمد لله الذي كان به استغلال البلاد ويجرد دون تقديمها السياسي
 والاقتصادي والأجتماعي

فكان الحسين بن علي حبيباً ١ أجراً السدين واليت الحرما
 سطوراً طيبة لأم تاريا ٢ الم تحض طيبه وهو نار
 وكان الحسين بن علي حبيباً ٣ حبيباً يومئذ دعا
 أم لك حبيب إبراهيم لما ٤ ذي بحواده الأبراج شما
 وكبيرهم "مسودة" ثم ٥ فكا المصا إذ مكان الإماما
 زاناً في العوالم ٦ كما جمع الأب الوافي بيه
 وليس الجيش إلا ٧ إنا ما قوموا الجيش استقاما
 ليس أن السنين ٨ إلى حين فيسبقتا إليه
 كان حبيباً ٩ من النار في الهيجا سلاما
 وفي السواد للعتة ١٠ وصل المسلمون بنا السواء
 ولعلها بوارجنا ١١ على الأمواج تضطرم اضطراما
 من (الغار) ملنا ١٢ وطاولنا الجبال بها فطنا
 وأما السواد ١٣ وكما السواقي الشم هاما
 ومن من أسنا سواد مصر ١٤ فسد الله والمهدى أدري
 لنا الأسد إنداما وأجرا ١٥ إذا اصطدم الفريقان اصطداما
 وفي (السكوف) ١٦ على يقتل بها منا وأسبري
 ملنا نحن والأترك حذرا ١٧ وأرضينا المهين و «الإماما»
 وكان لنا بلاه في (كريد) ١٨ بيوم تاتر الهيجا شديد
 لعلنا وكنته من حديه ١٩ وأطفا لنا لسورتها ضراما
 وقصنا الملك بالمهج التوال ٢٠ تسيل على القواضب والموالي
 وما أذكرك لم غي البالي ٢١ ولا بننا على ضم نياما
 يقول لك النظام مع الإمامي ٢٢ ولا تحفل بسيف غير قاني
 وليس بذى التفار ولا الهامي ٢٣ ولا للتهور دفعا واستلاما^(١)
 أراج الله منك عبيدك ٢٤ وأنى الناس ما طموا طيبه
 وأنت عبيد ٢٥ فمنا تذكر العار الجساما

(١) من القوافي (الإمام) أي غالب يوسف العامل بومته كل يوم بدو - وإيماني نسبة إلى الجين
 والسوق الجانية مشهورة

نحن له كأنك لم تضعه
 ودعه في ظلام القصد دعه
 أما والله ما أحب الصغار
 ولا الأوتار في أيدي الجوارى
 وهذا الصدر أضيق أن يحل
 فسلم بك القنا يوما محلا
 لقد ضاع القطار على "الحفير"
 أمن تحت السلاح إلى ودير
 عني في الشرق كان ولا يزال
 ويبلغ شأوها الأفعى رجال
 فحذرتب المال أو قدعها
 لأنك إن سلها لا تضنها
 تقول لك العظام وأنت لاه
 وتكذب بالصلاة على إله
 فتأخذ منك يوما بالحقاق
 فتلاقي يسوم ذلك ما تلاق
 نجيبك يوم يحضرك الحسام
 وتسبق منه متاعهم
 عيبك يوم تحضرك الموت
 تقول لنا على الحائى ديون
 وأسأل ما جنى ماذا أساء
 قرفها إلى البلى فساء
 تقول جنى ومن بما جناه
 وضيق أنفاس ذهبت فساء
 هناك ترى جهنم وهي تحترق
 فتشرق بالدم المسفوك ظلمنا
 فسمع بجيبك المسطور معه
 لعل مع الظلام له احترام
 ولا خشب يقلدن (الجوارى)^(١)
 بأحسن منه في المبدأ قبا
 وأن يسترجع الشأن الأجل
 ولا لقي الرصاص ولا البها
 وضاعت عنه نعم الأمير
 يسمى السيد البطل الهمام
 فما برحت معاليه تنال
 لهم في الجهل قلدر لا يساى
 وإن شئت أشيرها أو شئت بها
 وحاشا ترفع الرتب الطفما
 تمنى النفس من مال وجاء
 يرالك أضل من صلى وصاما
 ولما تبلىح الروح السراق
 دماء الخساق والموت الزؤاما
 يسيل حسامه ولنا حسام
 لها بالحسق رام لا يراى
 وبأق العقل إذ يحضى الحنون
 فيارب الدم أحتكم احتكاما
 ليطلق عن جنايته الجزاء
 وتعرضها له جثا وهاما
 وحاول أن تُسرد له علاه
 وأنت الله فانتقم انتقاما
 وتذكر ما مضى حوما بفرما
 وبالوطن العنور ولا قبا

هذه القصيدة من الناحية الأدبية أشبه بقطعة محكمة البناء سلسلة اللفظ والأسلوب تكلم شوق لها على لسان العظام مخاطب حرامي في سكر لاذع وتفرج مرة . تقول تلك العظام :

تقول وجوتها ملاءة حورا وأنت أصم من حجو شعورا
حرامي على تركت لنا حورا يقول الطائفون بها سلاما

يكتب نوح حرامي ويصفه بسبب عظمته في الحروب والوفاء بوفيق من الضباط ، بهجوم الأتراك ليلة ١٢ من شهر ربيع الثاني ١٢٠٠ هـ . فحرب ليدلا على جواده إلى بليس حيث ركب القطار إلى القاهرة . وإلى تلك تتبع شوق بقوله وهو قول عظام الموق :

لسألي عن حرامي لا زله ونشد ساميا حتى حماء
ركبا الموت لم ركب سوام وأنت دكت للمار الظلاما

عظمة راتمة بين ركوب الموت والحرب على سالي ، وركوب الظلام للهرب . ومن أبلغ إغالة شوق قوله في عظمته : عظام العظام

فجربك يوم تمطره القذرة ليراقى القتل إذ يفيض الجنون
تقول لنا على الحياي ديون فارب الدم أحسبكم احتكاما
وسأل ما جنى ماذا أساء ليل من جنائنه الجزاء
فرفدا إلى البارئ بمساء وأبرضا له جثنا وهاما

وسوله :

هناك ترى جهنم وهي تحي وتذكر ما مضى جرما بحرما
فتشرق بالدم المسفوك ظلما وبالوطن المشرد ولا قياما

موقف « داما طين » مؤثر في تمام تأمل حياة . وفي يوم حسابها الرهيب . وقد صور شوق تصويرا شكريا في الأبيات الست الأخيرة التي هي أشبه بقطعة من هابلت أوسكيت من الواقع الذي كان في ذلك الحين . فكلهم ساء واحدة ولا يلائمهم أحد في صناديقهم وهم البيان .

مقطعات من الجزء الثاني من الشوقيات أذن الظالم

كان في الزوم عظم	يتهى الجود إليه
جاءه يوما حاكم	يشكى بين يديه
قبل النعل وأبدي	أعظم اللذل لديه
فراى ذلك فحسوم	أنكروا الأمر عليه
قال ما قبلت وجه	ليه ولكن أذنيه
إك من كان كهذا	أذنه في قلبه



الشيء بالشئ يذكر

دام (ديويت) فائما	سالم من محاربة
ملك شيرانه السقي	هى إحدى عجائبه
يشتري انكاسها	بمرابى وصاحبه

الشرح

مرابى وصاحبه : صاحبه هو على فسمى الذى عاد منه من المنى . وقد أطلق مرارهما
في وقت واحد بحسوم من الخديوى . وكلاهما كان عظيم الجنان . كتب (المؤيد)
في ٢٥ مايو سنة ١٩٠١ في افتتاحية تحت عنوان (المرابيون) يقول : « وما قد صدر الأمر
الكريم الخديوى بمودة ذيك الاثنين وما أحد مرابى وعلى فسمى . . وإن هذين الزعيمين
انتهزا فرصة زبارة سوزولى عهد المملكة الانكليزية لكونومو ورفعا له عرضة تضرعا لـ » .
أما (ديويت) وشيرانه . فقد اشتهرت بلاد البوير بشيرانها الضخمة التى كانت تستعمل
لجوعرات القوين في الحروب وما إليها .

جاءنى (الهلال) عند أول مارس سنة ١٩٠٢ في مقال عن (كريستيان دي ويت) :
« في حملة الاحتياطات التى اتخذها اللورد كينشولر لهدم البيرو وحماية السكك الحديدية

وملوك الحماوات إنشاء أسوار من الحصون المنيعة التي يسميها الإنكليز Blockhouses . وقد بلغ طول هذه الأسوار إلى الآن نحو ٣٥٠٠ ميل ، وعدد ما فيها من الحصون نحو عشرة آلاف حصن . وفي بعض المصانع أسوار أشبه بفخ إذا دخله البوير أصبحوا في نطاق حديدى لا نجاة لهم منه .

وأشهر واقعة لها منها هذا القائد العظيم حدثت منذ عشرين يوما . وذلك أنه نزل جماعة من رجاله بالقرب من حصن ، فلبسوا ملابسهم إلى اللورد كتشير وسائر القواد فصدت الأوامر بالمهجوم على الحصن ، فهاجموا وطأوا حصنهم ، وكان عددهم يزيد على ثلاثين ألفا ، فأخذوا به وسهم المصلح من جهة ، والأسلاك والحصون من الجهة الأخرى فأصبح كانه في قفص من حديد ، وإلى كذا أنتهت تلك ناحية البوير وأذلهم .

أما (دى ويت) فلما تحقق وقوعه في ذلك الخطر ، وأنه صائر إلى الأسر أو القتل ، فضل السأى وعمل عملا لم يسبق له ذكر في التاريخ القديم ولا الحديث . ذلك أنه أمر رجاله أن يتزلفوا لفرقة معينة ، وأمر أن يترفعوا في طلبها هربا ، عند منح الفرصة . . وجمع ما كان معهم من الثيران وسائر الماشية ، وأمر بها في قفر قليل من رجاله ، والإنكليز يراقبون حركاته لأنه خائفهم المقتودة . . فلما رأهم يطلبونه أمر رجاله أن يستحثوا الثيران بهمايز حادة ، وكانت الثيران كبيرة بلغت قوة القرون ، فلما أصابها المهايمز هاجت وفقرت لا تلوى على شيء ، ولو كان في طريقها أسوار من الحجر لم تبال بها . ومما زاد هياجها إطلاق بنادق الإنكليز ومدافعهم . فلماالت الثيران على تلك الأسلاك وقطعتها بفرونها . واخترفت مسكر الإنكليز وقصفت في طريقها انطلق فيه (دى ويت) ورجالها بين تلك الثيران ولم يمسهم ضرر .

من قصيدة في ميلاد ولي العهد

حذفنا النصف الثاني من هذه القصيدة ، واكتفينا بنشر النصف الأول ، لأنه قطعة مستقلة من المديح التقليدية الجيدة . ولا شك أن المديح عمومها ، وخصوصا مديحه للعباس ، قل أن يكون صادرا عن عقيدة . فالمديح هنا من حيث الموضوع لا قيمة له ، ولكنه من الناحية الفنية باعتباره مجازاة لفحول القسماء في باب من أبوابهم المطروقة ، خلق بالدرس والنظر . وحسب شوق فيه قوله :

أبدا عباس يبنى رصبتها لبنيه وبنينا باليمين
وأسمى في غدا ساعده ومن الأشبال ليلث معين
يشرق الكرسي من نورها كلما لاحا ، جبينه بلجين

في البيت الأخير صورة شعرية نعمة ، أقل ما قل عليه أن شوق بهوة شخصيته مجتهد ولو كان الموضوع مطروقا ، وهذا يذكرنا بما قاله مطران في (الجواب المصرية) عدد ٢١ مارس سنة ١٩٠٣ تطبيقا على قصيدة لشوق « تهته خديوية » مطلعها :

من صور السحر المئين حيونا وأحله حنقا لها وجفونا

وقد نشرت الأبيات التالية من هذه القصيدة في الجزء الثاني من الشوقيات ص ١٧١ . قال مطران : " هذا عنوان القصيدة الشائقة التي رقعها طائر مصر المحكي ، وشادى النيل الذي لا يحاكي إلى سدة الجبابر الخديوي . وهي عصرية بمكانها القشبية ، خالصة النسب إلى أقدم عصر الشعر العربي بجمال أسلوبها وفصاحتها ثرائها . ورب شاعر من أهل الشعراء المتقدمين حسد شاعرنا على بيت له فيها من مبتكرات الفريض معنى ، ومن أطايبه لفظا وهو قوله :

وقف الحباب من دونها مستأذنا ومشى النسيم بسوحها مأذونا

يصف شوق الغبلة (وهي الشجر المثقف) فيقول إن المطر لا يمر منها بسهولة ، ولكنه أبدع في التعبير كما بين ذلك مطران . والشطر الثاني من البيت في رواية الديوان (ومشى النسيم ظلها مأذونا) . ولكنها أفضل (بسوحها) موح جمع ساحة ، وهي الناحية أو الفضاء الذي بين دور الحى أو بين الشجر . ومن روائع المديح في تلك القصيدة قوله :

والتقى من الغمام عيونهم
 وتبدلوا بادل القناد سرارا
 فكلما التقى عيونهم تبدلوا عذوبة شوق ووطن سعيد

القصيدة

يا كريم العهد يا ابن الأكرمين	كل جسد لك عبيد للبين
مصر تزعمهم وروى حوثم لمصر	في فزا الميامين خير المال كين
وتنوى شائك فيها غلظتهم	أصلح الله شؤون الناشئين
ورعاهم الله واستغفرهم	بك سامرة على العهد أمين
الدفق بهمد المسال حولها	حسب الطفل عليها والجنيين
أبدا حيا من ربي ركنها	ليبه وبنينا باليمين
وأنه من غنى عظمته	ومن الأسماء الليث معين
بشرى الكون من رزقها	كما لا ياء جينا لجين

الترشيح للاختبارات

في مجلس النواب^(١)

منذ لكم متعب فرحسوه وانكبوا
هوا لسه امواتكم وعبره لا تهبوا
في مجلس النورى له الف حساب بحسب
والاحتلال يتفق آراءه ويسوم
وتفضل (التيمن) ما يقسوه ويطلب



فالك لان ليس مني بهسرا ولا من يكذب
لا عظم يملأها طبا ولا مجرب
وليس بالخطيب ان قام الملا خطبوا
مبدؤه لا مبدأ مشرب لا مشرب
عند الامو يستقاي عند الوزر يكذب
وان تكن رعاية فالمستشار اقرب
عجبة اموره والصحف منه اعجب
قالوا لسه فيها الما م الفاضل المطلب
ولقسوه بالسريه التهم فيما تهبوا
ابن النهى يا امة بضعك منها الاجب^(٢)

(خير)

(١) مجلس النواب هو مجلس النورى كما جاء في البيت الثالث .

(٢) الاجب كالتعجب والتعجب .

الشوقيات

لما سمعت نقطة في انكف صارت شهوة
عقبتها فوجدتها من البسوة والبسوة
عزمت وفتحت ^(١) كنت لمعني منه غفوة
ومعني من غفوة ان يهوى صدوقه
لم يمسك بكمه وعدا ولم يسلوا علقه
اراد كلف يمسكهم ان يخلوا الدنيا بقوة

لما رايت جبهة قوم في كبرى
وجعت في طرفة عينا في كبرى
واقيت في المعنى من كبرى
وشهدت في رومة كعبة طرس
وطئت آلا من القصور مؤمنا
أهنت ان انطلق ملوا ربه

(١) الغفوة الغفلة قوله « في جبهة غفوة » أي في « والفتنة بالضم والكسر : أتم بمعنى الغفلة » يقال « له غفلة » أي استغفلة . ولعل « كلف » (كانت لمعني منه غفوة) لا « كلف » .

نحت خروفان (أي التلويح) نشر اللواء القصيلة الآتية التي بدأها الشاعر على العبر
الطليحة بالنسب والحكمة . وقد لا نجد في هذا الشعر معنى جديدا ، ولكنك تجد فيه
طعنة صالحة ، مذكورة النجى الصافي . قال :

وإن لم تأت الدنيا بكل غلوزها إلى دنيا تظل

ومن بعد الحكمة قوله : (وليس لأمة في الجهول شغل) . ولا يقل حقا روعة عن (ويحل
عانت والرمال قليل) ومن (وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت) . ولعل شوق هو الشاعر الوحيد
الذي ربط بين مقبرة العرب في المعاليمة والإسلام ، ومقبرتهم في العصر الحديث برابط
الحكمة . ذلك لأن الحكمة من خصائص مقبرة العرب التي تخرجها عن الشعر الغربي .
فليس عند شعراء العرب أبسأت في الحكمة غير أمثالها كما عند العرب . الحكمة باب من
أبواب الشعر ، ولكن من أحب الأبواب إلى كل نفس وإلى كل عصر . وإذا كانت
أبواب النسب والقبيلة والفخر قد نعت مفرطة فإن عصر الحكمة والحماسة والوصف
(لوصف الذي لا يكلف فيه) هو كل عصر .

من رائج النسب الذي رفع من شأن الملح ، ويكفي أن تشوق لم يكن مجرد ملح
لونه يطالب الرجال :

حز في الشرق حل لشرق ذكر
ومل إليه من سبائك دكن
مع الأيام أم طوى السجل ؟
فرسختهم ضعيف مضطرب

الفرج مرة في كذب سم شعرك في روح الزمن وأحزانه ، وفقدت من بناء الاستعداد الضلوع
بحرارة في أرض الوطن ، وحشد لهم على النهوض واستئناف صفحة جديدة في سجل الجهد .

القصيدة

حيبك من حب ومن نجل	ومن أحببت لخالين أصل
ومن يحزبك عن ودة بسود	ومالك مهجني معج وحسد
إنما ما الحب لم يكسبك هذا	فكل مودة في الناس ختل
وفضل منك أن ترعى وفادا	وليس لمن نود عليك فضل
لويت الناس سدة جد خدن	لما السر ذير النفس خذل
ومالت الأموة فكل صعب	إذا لزم الرجال الصبر سهل

أبدل على الخطوب إذا أدلت وأزكها تهوت ولا أدل
والتي النازلات بمحمد مزم بغسل النازلات ولا بغسل
وأعز كل كتاب المعالي ولوليت السالك له محل
وأعظم في الحسن الجمال ولولا الحسنة ينهض أو يزل
وأنت النفس للإنسان كل لانا بقيت عليه وزال كل

مرفت حبة الدنيا قد صفا تفرق على عبيتها وتصلو
وإن لم تكن الدنيا بطل فلو رزعا إلى دنيا تظلل
ولا بأس ولا لا بأس رحت الحسن والأيام محل

ممن الشرق على الشدة كز مع الأيام أم طوى السجل
وعلى ليد من مسلك ركن فركنهم ضعيف مضمحل
أبدل ليد النواج بعد ذم ومما يوسع الأوطان عطل
وإن كان حال مع السالك ولا كثرت على البلدان قلوا
ولا كالم يجمع كل شمل وليس لأمة في الجهل شمل
ولا كالم يسور الرسا لتب فيه إقدام وعقل

(شوق)

الحكاظمي

في هذه الأيام التي يقد فيها على مصر الكبراء والعظماء من أهل الذكر السائر، والصيت الطائرين العربيين يحمل في أن أجند على صفحات المؤيد ذكر ضيف عظيم، ونزيل كريم، يجاورنا منذ عامين وتجمعه بنا جامعتان تقتصر دونهما جامعة الأوطان : الشرق والإسلام .

قدم علينا القاضى مصر وكأته ابن هاني جاء من بغداد ، إلى البلاد ، بفتحها موضع الإقصاد ، وملاها أدباً ثم عاد .

تخبر الله من المؤيد راوية ، لم يسخر لشاعر في العصور الخالية ، ما ألقى عصاه حتى أخذت هذه الصحيفة تجلونا شعره ، مديحه ونفحة سلافة ومحر فاذا نحن بحكمة أبى الطيب ، والويلد ينسب ، وابن أبى ربيعة يشب ، وابن زريق يشتاق إلى الأهل والبلاد ، ويحن إلى حراره في بلاد ، لفظ سهل ومعنى مبتكر وصوغ كما تصاغ الدرر ، وقصائد لا يمل منها طول ولا ينفر لفظها قصر ، وارتجال في بعض الأحيان يدنى الشاعر إلى جيد الشعر ولا يزل به إلى رديئه ، وبالجملة فقد طلبنا سمعت " الشاعر المطبوع " فلما قرأت شعر هذا الأديب انطبعت صورته فينا بعينى ، وتمثلت في خاطرى . عرفت الرجل فيمن عرفه فوجدته شاعراً أدبياً ، بفيض شعره رقة وتهذبا ، وصديقا تدوم مودته ، وجليسا لا يمل حديثه ، وراوية لم أر أحسن منه اختيارا ، ولا أشد منه خيرة على أشياء الغير ، ورجلا كثير التجارب طويل الأمصار ، إذا وصف لك البلدان ورد بك مصرا وصدر عن مصر .

أما مثل سلطان الشعر على هذا الشاعر فإني ما سمعت ولا رأيت فهو كما يمثل أصدقاؤه من قراء هذه السطور نظره شعر ، ومنطقه شعر ، وجلسته شعر ، وصحته شعر ، ومشيته شعر ، وهو في كل ذلك يحسب إلى النفس الشعراء وناهيك بروح الشاعر إذا لطفيت ، ونفس الأديب إذا خفت تدفعه إلى الإنشاء فيمضى حيا ويسكن في ثيابه حتى إذا اندفع تقى على طريقة أهل تلك البلاد في الإنشاء لكل وزن عنده مقام ، ولكل باب من أبواب الشعر شعبة ، ولكل قافية رنة ، إذا ذكر الحبيب والمقتل والسنين الخوالى كان قيس عامر رقة ونحوها ، وهجلا ونحوها ، وأنيبا طويلا حتى إذا جلد نرج إلى الفجر ودخل في نمر من الحلاسة ، فإذا أنت بعترة ، بين عسلة وأهل عسلة ، يصف أياحه المشهورة ويذكر مواقف

واقفين وقفة الإجماع ، من صلاة الخديوي عباس . ثم صاق الشيخ عبد الحسن بالأمر
 قوماً ، فكفى إذ أخذ من الشيخ علي وهذا بالجملة المسألة مع الخديوي ، إما سلباً يرجح
 النفس ، أو إيجاباً يرجح العلة ، تركت الشيخ عبد الحسن في حرفة التحرير ، ودخلت على
 الشيخ علي ، وطلبته الرسالة ، وكان يصحح رسالة الطبع ، فترك القلم من يده ، وتنفس
 الصعداء ، ثم قال : ماذا أصبح يا أستاذ ؟ أتيت القضية أمس مع الخديوي ، ووعد وهذا
 أكذا بإصدار أمره بتعيين الراتب ، وقد شكرت له وخرجت من عنده ، لكنني لم أكد أخرج
 الباب حتى دخل عليه بعض الناس (ولم يسم لي) فقال للخديوي : رأيت فلانا خارجاً من
 عنده ، ألسنا بيني ؟ قال : قوماً رأيتنا للشيخ عبد الحسن الكاظمي . قال : أنسيت أنه
 شاعر المتقي ، وقد قال فيه من الشعر كذا وعمر من فبك بكذا وكذا ؟ قال الشيخ علي :
 قساً كان من الخديوي إلا الشيخ بالله ، والكقول من وعده فلاناً وصيت هذا رجعت إلى
 الشيخ الكاظمي ، فاستبهره العبارة فأنزله الأثر وقال أعرف من هو بعض الناس ؟ قلت :
 لا فقال : هو أحمد شوقي .

وخطبت لي ما حكمت أنه يبدو من مقال شوقي أن الكاظمي كان يفكر في الرحيل عن
 مصر في سنة ١٩٠٢ بعد إقامة طاعت حوال السنين ، وأكمل الشيخ محمد عبده مفتي الديار
 المصرية بدأ من تلك السنة بمصرف له راتبه الشهري حتى موته في سنة ١٩٠٥ . روى
 (الملاحظ) في عدد مجلة الرسالة الصادر في ١٣ أكتوبر سنة ١٩٤٧ : وقص علينا حافظ
 إبراهيم كيف جاءه المرحوم الشيخ عبد الحسن الكاظمي إلى مصر عريضاً طريداً لحب أن
 يكون له في رجايب الخديوي منسباً ، ولكن شوقي غشي منافسة الشاعر العراقي فسأله عليه
 الباب وفتح عليه كل رجاء ، ووجد السيد عبد الحسن في الأستاذ الإمام حي ولكن الحسام
 لم يهل الأستاذ الإمام ، وهنا تلج موت حافظ ، وبعثت عباده ولم يشطع أن يتم الحديث .
 وقد نشرت للكاظمي قصيدة غير مؤرقة (المجموعة الثانية من ١٢٢) كان بعث بها
 إل شوقي ، جاءها :

بحال الله ما صورك الله	وكم مسود
لهنك بك من هاج	غواه الدهر فاستكبر
وأواه لمن أسلم	ثم أرنس فاستنصر
لقد كنت أرويه	ليوم في الودى يذكر
وكنت أحال زيد الخيل	لي في الغايات لا يقر
إذا بالسابق الكرا	وما إن كرهني فسور

عام الكف

نوفمبر سنة ١٩٠٢

في ١٥ ديسمبر سنة ١٩٠٢ نشرت مجلة (مصر الحديثة المصورة) قصدا لأديب كبير
عاصر مؤسس جمعية الأدبية تحت عنوان (من لطائف الماضي الدفينة - صفة بصاب
بها المولى حتى تشعل الشعراء عاما كاملا حتى عام الكف) جاء فيه :

"كان طرأ جانبا كبيرا والصغير في طيبة كتاب المصير... حتى لقد سمعت شيخنا
الاستاذ الإمام الشيخ محمد عبده وملازمه جالسا على « فروته » أمام باب الرواق العباسي
كعادته يجلس ضرب كل يوم استمعوا لذلك اليوم من القيمة التي كان يلقيها علينا يقول إن
الإمام المولى هو جليظ المصير وأديب مصر الأربعة . وكان المولى الكبير - يظهره
للمولى الصغير - يخرج صحيفة أسبوعية من صحيفة « مصباح الشرق » وكانت تطلع علينا
كل يوم حين وكنت أقوم أنا والمصير السيد مصطفى لطفى المتقلاطى في بيت (هم أسعد)
بكتف الزقازيق القريب من « هذا الحسين » وفي عصر كل خميس كنا نذهب إلى العتبة لشترى
مصباح الشرق "

"وفي عام ١٩٠٢ في ذلك المقياس الخان الخليل جاءنا إمام العبد كعادته وقص علينا حادث
« هذا كنوس »... وقد رأينا بعد رواية إمام العهد يومين في محليات المؤيد نبذة تناول فيها
هذا الحادث والسر والزور... ثم ما سمع شيخ المؤيد أن تقع هذا الباب « عام الكف » حتى
انتهى عليه بدائع القرائح فرائح الكتاب والشعراء الذين اغتروا في هذا المعنى افتتاحا ، وقاصوا
على كل معنى بدع حتى استخرجوا لنا من در الشعر ألوانا ، وأفسونا بذلك ما قيل في طيلسان
ابن حرب ومداين ابن القاسم وما إليها ونحن هنا لا نستطيع إثبات جميع ما قيل وإنما نثبت
ما جع عليه الاختيار : قال شاعر من الصعيد... وقال غيره... وقال شاعر على لسان المصنف
وقال شاعر آخر يسطر... وقال الكاظمي (١)... ونكتفي بهذا "

وتعجب من أديب كبير عاصر مؤسس جمعية الأدبية وصديق المتقلاطى أن ينشر
مقطوعات الشعراء التي اختارها بأسمائها المتعارفة دون أن يحاول الكشف عن أسماء أولئك
الذين « قاصوا على كل معنى بدع حتى استخرجوا لنا من در الشعر ألوانا » . ويظهر من

(١) إنها تشعل الشعراء إلا غير واحد آخر غير نوفمبر . ولكن الحاجة لأسمائها هي العام بها .

قوله « وقال الكاظمي » أنه لم يفهم أن هذا اسم مستعار نسبة إلى « كاظم فاضل » أحد الذين اعتدوا بالسب على محمد المويلحي بعد الصفة التي نالها على يد ابن أحمد باشا نشأت . وليس المقصود الكاظمي الشاعر .

ونشر الأستاذ محمد حيد بكلافي في مجلة الرسالة عدد ١٨ سبتمبر سنة ١٩٥٠ فصلا جاء فيه : « حانة (دراكتوس) كانت مجما للادباء والوجهاء في كل مساء . وكانت بين محمد بك المويلحي صاحب (مصباح الشرق) وبين الشيخ علي يوسف صاحب (المؤيد) عداوة شديدة . حدث ذات ليلة من ليالي أكتوبر سنة ١٩٠٢ بينما كان المويلحي جالسا أن دخل شاب من أبناء الأغنياء اسمه محمد نشأت فداعبه المويلحي كعادته لما كان من هذا الشاب إلا أن رفع يده وهوى بها على خد المويلحي . فاتهز صاحب (المؤيد) هذه الفرصة ورفع يدا في جريدته سماه « عام الكف » فتسابق الشعراء في نظم المقطوعات التي تفيض بالسخرية على أن أبلغ ما قيل في الموضوع تلك المقطوعات التي نشرها تباعا في (المؤيد) الشاعر الكبير إسماعيل صبري مثال ذلك قوله . . الخ »

والواقع أن إسماعيل صبري نشر مقطوعاته كغيره من الشعراء بإمضاءات مستعارة متقنة ، فلما صدر ديوانه في سنة ١٩٣٨ كان من حسنات ناشره أن أبان لنا عن مقطوعات إسماعيل صبري ونسبها الصحيح . وكان يجب على الأستاذ بكلافي أن يذكر المصدر الذي نقل عنه خصوصا وأن إسماعيل صبري من بين شعراء عام الكف ، هو الشاعر الوحيد الذي عرفت شخصيته .

وقد أشار الأستاذ عبد العزيز البشري إلى هذا الحادث في فصل كتبه عن محمد المويلحي في الجزء الأول من كتاب (المختار ١٩٣٥) جاء فيه : « تناهت السنون وخلص (المصباح) إلى محمد ، ثم امتحنه القدر بحادث اعتداء من بعض أبناء الذوات في إحدى القهوات ، واتهم الخبر إلى المرحوم الشيخ علي يوسف وكان في صدره موجدة شديدة على محمد وعلى أبيه فاتهز الفرصة وروى الحادثة في صورة مهولة . واستدرج الكتاب والشعراء للقول فيها وفسح لهمنا في المؤيد مكانا عريضا . ومن ذا الذي لم يكن موتورا من المويلحي ؟ وتثور العاصفة ، ويشتد البأس ، وأذن التفير العام ، وشدة الجميع على قلب رجل واحد . وهل كان من المستطاع أن يصعد لهذا الجيش اللجب رجل واحد ؟ لم يستطع المويلحي أن يثبت في الميدان ، فاطفا

المكف فقلت أزالا أضرب ولا أضرب . ثم أنصرف المتنون جدكك إلى سيلهم . هذه
حقيقة الخاتمة ذكرناها لمن يطلع عليها لسألا بسبب العائون عليها . ثم روى المولى
بعض الطوائف المسألة قال : " كان المفسر له إسماعيل باشا الخديوي الأسبق سائرا
في ساحة (بالية رويال) في باريس فاصطدمه دويبيكو الإيطالي وضربه بالكف على وجهه
فوسعه عليه وجمع بين كان معه أن يصرخوا له بسوء " انتهى .



كانت المقطوعات التي نشرها المولى في آتني عشر عددا كلها بأسماء مستعارة . ولئن
كتب الكثيرون من (عام الكف) ولكن أحدا ، كما قلنا ، لم يكن معرفة أسماء الشعراء
الذين نظموا هذه المقطوعات .

قال أحمد الزين ، صفحة ٩٤ من ديوان إسماعيل صبرى الذي نشر سنة ١٩٣٧ ،
تحت عنوان (الحكايات . عام الكف) : " نشرت هذه المقطوعات الأتية مشرة بأسماء
مستعارة في المجلد سنة ١٩٠٢ ثم رخصا بالطلبة التي حدث لحمد المولى بك "

وبالرجوع إلى المجلد وجدنا مقطوعات صبرى التي كشف عنها الديوان بوقعة بثلاثة
أسماء مستعارة هي (صبحي ، وإسحاق ، وإسحاق صبحي) . وفي اعتقادنا أن (دراكتوس)
هو الاسم المستعار الأول الذي اتخذ شوق لنفسه . لأن شوق وصبرى فرسا زمان في ذلك
الزمان ، ومن غير منقول أن يترك شوق صبرى يحل وحده فيه ، خصوصا وأنه كان ينفذ
على حمد المولى ويترصد فرصة الإيحاء به بنسب نفسه (الشوقيات) في (مصباح الشرق)
بعد ظهورها في سنة ١٩٠٠ . ومعروف أن شوق كان يتألم كثيرا من النقد . روى لي أحمد
محفوظ أنه كان يكو إبراهيم الباربي ويقول إنه متعصب ومنشأ هذه الكراهية في اعتقادنا
هو بلا شك هذه رواية هؤلاء المند في مجلة (البيان) ، في سنة ١٨٩٧ . كان عام (الكف)
فرصة جيدة لشوق لطفه عليه من خصمه ، ويلاحظ أن إسماعيل صبرى (الصبحي)
لم يشترك في الحملة إلا ابتداء من الحلقة (٤) لذلك نرجح أن شوق هو الذي بدأ الحملة ونشأ
أمرها بغيره في الحلقات الثلاث الأولى .

لذلك سنعيد نشر معظم شعر صبرى مع الشعر الذي نعتقد أنه لشوق بنفس الترتيب
الذي أتبعه المولى : —

عام الحصف

دعونا بهذا العام عام الحصف كما قال مجاز مصباح الشرق (عام عمر) و (علم الخفين)
لما دار بين أهل العلم والأدب في صرف وعلم صرف ، وفي وصف الخفين اللذين كان
يلبسهما النبي صلى الله عليه وسلم وطالت المناقشة فيما
قال أحد الثمراء في وصف تلك الحصف وقد أحسن ما شاء :

رنة الحصف قول من يصفه
إن كفا كفت إلك من إكفا
عند قومي من رنة الأوتار
من لكف خليفة بالفخار

(١) نشرت مجلة (مهر المديسة المصورة) في عدد ٩ يناير ١٩٢٠ لذلك "الأديب الكبير الذي ماض مؤسس
هذه الأديبة" طبعاً آخر تحت عنوان (الصفحة) عام عمر وعلم الخفف) جاء فيه : كان الشنيطي رجلاً فادراً
في الخطب والاستظهار . وكان آية في الفقه والفكر والأخلاق والخصب وعلم الأنساب ... لما قدم القاهرة وتزلزل على
السنة الكبرى انقلب ذلك يوم عيد . طاع إلى العهد بخاصة من العلماء يعرف عليه وفيهم الشيخ سليم البشري شيخ الجامع
الأزهر إذ طالع والشيخ عبد القادر الزنكي الذي كان يلقب بذلك . فلما طلع بهم المجلس أراد الشيخ الرافعي
أن يذهب إلى المسجد ويصلي مع الشيخ سليم ، فكان يركب من قبل . فقال : قد تغيرت بهذا إذ ليس الخلف الأسود
فظهر الشيخ البشري لقد أجمع على كراهة لبس الخلف الأسود . فقال الشنيطي : ثبت في الصحيح أن النجاشي أهدى
رسول الله صلى الله عليه وسلم خفين فلبسهما وصبغ عليهما فلبسهما ؟ فقال البشري : لا أدري . فقال الشنيطي :
هنا لك كلام الإجماع ثم يقول لا أعرف ؟ فيسكت الجميع وكان في المجلس أحد الأفندية قال للشنيطي : أفذا إذن
يا مولاي عن قول القاصي المذكورين فقال سأله العوام فلقوه من هناك ... وعلى ذلك أقص المجلس ثم أراهم بعد
ذلك كتاب الشائل : وأن الخفين كانا أسودين ، فلما بلغ ذلك الشيخ البشري قال إن في روايته ضعفين فهو غير
مقبول ووضح في ذلك رسالة . فلما اتصل ذلك بالشنيطي قال ما معناه : إن الضعيف لا يرد إلا بما هو أصح منه والشيخ
البشري أخطأ مناه . فما كان صدق ذلك إلا أن قصصه (مصباح الشرق) بين محلاتها باباً اسمه «عام الخفف»
وكان في عام الخفف مباركة بين الأديب كما كان في عام الكف .

"وإما مسألة عمر وعلمها فذلك أن النواة أجمعوا على أن عمر ممنوع من الصرف فجاء الشنيطي وأثارها هذه
المسألة من جديد وعلل جميع النواة في ذلك إلى منع صرفه وعلمه من باب النواة وقال هو : إن عمر
ممنوع لما وردت في الشعر مجزأ من الصرف فاما ذلك الضرورة ... فالتبري له علماء الأزهر يسبقونه ... وأخذ
هو الآخر يرد عليهم ويؤيد نظريته بكل وجه وقال الأمر به وبين العلماء وضع لها (مصباح الشرق) باباً سماه
«عام عمر» فكان لهذه المسألة حجة أن كلمة ومباركة إذ ذلك سائر الأمثال ."

المؤيد في ١٨ نوفمبر سنة ١٩٠٢

عام الكف

٢

عرض محرر الصباح في عدده الأخير بذكر المرحوم والد الصانع فرأينا أن نعرض اليوم
بذكر المرحوم والد المصفوع . قال أحد الشعراء يخاطب المصفوع :

ورثت الحلم عن نخل كريم فبك الحلم عند الصقع حادة
وشائت بيتنا في أرض مصر كشأن أبيتك في دار السعادة

وقد أشار الشاعر بذلك إلى ما كان من أمر والده بالإسكندرية وما لحق به من الإهانة ^(١) .

المؤيد في ١٩ نوفمبر سنة ١٩٠٢

عام الكف

٣

قال أحد الشعراء وقد ضمن لنفسه بحرف (ن) يخاطب المصفوع :

أحمد فسرغت حبيبك التي أخرجت منها قول كل حكيم
فإذا طبت بألف كف لم تجد للفخر قسولا يا ابن إبراهيم

وقال أحد الشعراء على لسان المصفوع :

لقد نقل الرايون عنى حكاية وقالوا كلاما ما أشبه وأشاما
أبضع مثلي ناشئ ويراعنى أسالت دعوى القوم في مصر عندما
الاحتدروا لى عنده فانا الذى صفعت بصدغى كفه فتأما

وقال شاعر عصره واعظا :

لا تدخل الحسانات مستهترا فالصنع في الحانات ساق يطوف
فرب كفف خلقت أسطرا في الوجه لا تعنى بعذر الحروف

(١) حسب التذكرة في سيرة في سفره إلى الإسكندرية في صيف سنة ٩٣٠ قمر من كبار المصريين الطالعة بتأييد السلطان
لأمان المصريين الخاضعة بأنهاء الاحتلال . وكان إبراهيم المولى في الإسكندرية فأرسل إلى القبط رسالة يكشف
فيها عن مطالب المصريين . فكانت هذه الرسالة في جرادة الاحتلال سببا في حق المصريين على المولى .

من العلف المنوم قد زاد حبه
 فلهذا لم يدرى من كان
 فلهذا لم يدرى من كان
 (١٢٢-)

أنا هم قسما من قسما
 على دارهم من قسما
 على دارهم من قسما
 على دارهم من قسما
 على دارهم من قسما
 على دارهم من قسما
 على دارهم من قسما
 على دارهم من قسما

(المراد) ٢٢٥ و٢٢٦ ١٨٠٢

عام الكف

الآن نأخذ الاستكشافية وقد جاء منها نصا في المصنوع في البارغم يتردد :
 في حقه في حقه في حقه
 أصبحت أن كثرهم

(١) كل من هذا المصنوع في حقه في حقه في حقه :
 لا يطور في حقه في حقه في حقه :
 في حقه في حقه في حقه :
 في حقه في حقه في حقه :

وقال القاسم (الصبي) :

الحباسة العسرية

يقول (الأب) :

حبا وحالك لي أترحمك
تشت لئاس أعرافنا ولا
ولم يصح الحزن - أدم دمي
أترك لك الفسق اعطانا
يترقسي لنا أنا ما التفت
ولدت من البرية ما التفت
فاخفت الموان وما أرحمت
والهوا وفي الصباح زيت

يحييه (الابن) :

أنا لاج الأول رفوا بناء
أرشد برأى بمسلك حيث
وإن أمد تمضي لي بسره
يرى للنسر فوق ظله بيت
وأن لاج لي خلف وميت
وقفت مواضعي واخفيت

(٢٨٥) ٢٢٤ ٢٢٥ ٢٢٦ ٢٢٧ ٢٢٨ ٢٢٩ ٢٣٠ ٢٣١ ٢٣٢ ٢٣٣ ٢٣٤ ٢٣٥ ٢٣٦ ٢٣٧ ٢٣٨ ٢٣٩ ٢٤٠ ٢٤١ ٢٤٢ ٢٤٣ ٢٤٤ ٢٤٥ ٢٤٦ ٢٤٧ ٢٤٨ ٢٤٩ ٢٥٠ ٢٥١ ٢٥٢ ٢٥٣ ٢٥٤ ٢٥٥ ٢٥٦ ٢٥٧ ٢٥٨ ٢٥٩ ٢٦٠ ٢٦١ ٢٦٢ ٢٦٣ ٢٦٤ ٢٦٥ ٢٦٦ ٢٦٧ ٢٦٨ ٢٦٩ ٢٧٠ ٢٧١ ٢٧٢ ٢٧٣ ٢٧٤ ٢٧٥ ٢٧٦ ٢٧٧ ٢٧٨ ٢٧٩ ٢٨٠ ٢٨١ ٢٨٢ ٢٨٣ ٢٨٤ ٢٨٥ ٢٨٦ ٢٨٧ ٢٨٨ ٢٨٩ ٢٩٠ ٢٩١ ٢٩٢ ٢٩٣ ٢٩٤ ٢٩٥ ٢٩٦ ٢٩٧ ٢٩٨ ٢٩٩ ٣٠٠ ٣٠١ ٣٠٢ ٣٠٣ ٣٠٤ ٣٠٥ ٣٠٦ ٣٠٧ ٣٠٨ ٣٠٩ ٣١٠ ٣١١ ٣١٢ ٣١٣ ٣١٤ ٣١٥ ٣١٦ ٣١٧ ٣١٨ ٣١٩ ٣٢٠ ٣٢١ ٣٢٢ ٣٢٣ ٣٢٤ ٣٢٥ ٣٢٦ ٣٢٧ ٣٢٨ ٣٢٩ ٣٣٠ ٣٣١ ٣٣٢ ٣٣٣ ٣٣٤ ٣٣٥ ٣٣٦ ٣٣٧ ٣٣٨ ٣٣٩ ٣٤٠ ٣٤١ ٣٤٢ ٣٤٣ ٣٤٤ ٣٤٥ ٣٤٦ ٣٤٧ ٣٤٨ ٣٤٩ ٣٥٠ ٣٥١ ٣٥٢ ٣٥٣ ٣٥٤ ٣٥٥ ٣٥٦ ٣٥٧ ٣٥٨ ٣٥٩ ٣٦٠ ٣٦١ ٣٦٢ ٣٦٣ ٣٦٤ ٣٦٥ ٣٦٦ ٣٦٧ ٣٦٨ ٣٦٩ ٣٧٠ ٣٧١ ٣٧٢ ٣٧٣ ٣٧٤ ٣٧٥ ٣٧٦ ٣٧٧ ٣٧٨ ٣٧٩ ٣٨٠ ٣٨١ ٣٨٢ ٣٨٣ ٣٨٤ ٣٨٥ ٣٨٦ ٣٨٧ ٣٨٨ ٣٨٩ ٣٩٠ ٣٩١ ٣٩٢ ٣٩٣ ٣٩٤ ٣٩٥ ٣٩٦ ٣٩٧ ٣٩٨ ٣٩٩ ٤٠٠ ٤٠١ ٤٠٢ ٤٠٣ ٤٠٤ ٤٠٥ ٤٠٦ ٤٠٧ ٤٠٨ ٤٠٩ ٤١٠ ٤١١ ٤١٢ ٤١٣ ٤١٤ ٤١٥ ٤١٦ ٤١٧ ٤١٨ ٤١٩ ٤٢٠ ٤٢١ ٤٢٢ ٤٢٣ ٤٢٤ ٤٢٥ ٤٢٦ ٤٢٧ ٤٢٨ ٤٢٩ ٤٣٠ ٤٣١ ٤٣٢ ٤٣٣ ٤٣٤ ٤٣٥ ٤٣٦ ٤٣٧ ٤٣٨ ٤٣٩ ٤٤٠ ٤٤١ ٤٤٢ ٤٤٣ ٤٤٤ ٤٤٥ ٤٤٦ ٤٤٧ ٤٤٨ ٤٤٩ ٤٥٠ ٤٥١ ٤٥٢ ٤٥٣ ٤٥٤ ٤٥٥ ٤٥٦ ٤٥٧ ٤٥٨ ٤٥٩ ٤٦٠ ٤٦١ ٤٦٢ ٤٦٣ ٤٦٤ ٤٦٥ ٤٦٦ ٤٦٧ ٤٦٨ ٤٦٩ ٤٧٠ ٤٧١ ٤٧٢ ٤٧٣ ٤٧٤ ٤٧٥ ٤٧٦ ٤٧٧ ٤٧٨ ٤٧٩ ٤٨٠ ٤٨١ ٤٨٢ ٤٨٣ ٤٨٤ ٤٨٥ ٤٨٦ ٤٨٧ ٤٨٨ ٤٨٩ ٤٩٠ ٤٩١ ٤٩٢ ٤٩٣ ٤٩٤ ٤٩٥ ٤٩٦ ٤٩٧ ٤٩٨ ٤٩٩ ٥٠٠ ٥٠١ ٥٠٢ ٥٠٣ ٥٠٤ ٥٠٥ ٥٠٦ ٥٠٧ ٥٠٨ ٥٠٩ ٥١٠ ٥١١ ٥١٢ ٥١٣ ٥١٤ ٥١٥ ٥١٦ ٥١٧ ٥١٨ ٥١٩ ٥٢٠ ٥٢١ ٥٢٢ ٥٢٣ ٥٢٤ ٥٢٥ ٥٢٦ ٥٢٧ ٥٢٨ ٥٢٩ ٥٣٠ ٥٣١ ٥٣٢ ٥٣٣ ٥٣٤ ٥٣٥ ٥٣٦ ٥٣٧ ٥٣٨ ٥٣٩ ٥٤٠ ٥٤١ ٥٤٢ ٥٤٣ ٥٤٤ ٥٤٥ ٥٤٦ ٥٤٧ ٥٤٨ ٥٤٩ ٥٥٠ ٥٥١ ٥٥٢ ٥٥٣ ٥٥٤ ٥٥٥ ٥٥٦ ٥٥٧ ٥٥٨ ٥٥٩ ٥٦٠ ٥٦١ ٥٦٢ ٥٦٣ ٥٦٤ ٥٦٥ ٥٦٦ ٥٦٧ ٥٦٨ ٥٦٩ ٥٧٠ ٥٧١ ٥٧٢ ٥٧٣ ٥٧٤ ٥٧٥ ٥٧٦ ٥٧٧ ٥٧٨ ٥٧٩ ٥٨٠ ٥٨١ ٥٨٢ ٥٨٣ ٥٨٤ ٥٨٥ ٥٨٦ ٥٨٧ ٥٨٨ ٥٨٩ ٥٩٠ ٥٩١ ٥٩٢ ٥٩٣ ٥٩٤ ٥٩٥ ٥٩٦ ٥٩٧ ٥٩٨ ٥٩٩ ٦٠٠ ٦٠١ ٦٠٢ ٦٠٣ ٦٠٤ ٦٠٥ ٦٠٦ ٦٠٧ ٦٠٨ ٦٠٩ ٦١٠ ٦١١ ٦١٢ ٦١٣ ٦١٤ ٦١٥ ٦١٦ ٦١٧ ٦١٨ ٦١٩ ٦٢٠ ٦٢١ ٦٢٢ ٦٢٣ ٦٢٤ ٦٢٥ ٦٢٦ ٦٢٧ ٦٢٨ ٦٢٩ ٦٣٠ ٦٣١ ٦٣٢ ٦٣٣ ٦٣٤ ٦٣٥ ٦٣٦ ٦٣٧ ٦٣٨ ٦٣٩ ٦٤٠ ٦٤١ ٦٤٢ ٦٤٣ ٦٤٤ ٦٤٥ ٦٤٦ ٦٤٧ ٦٤٨ ٦٤٩ ٦٥٠ ٦٥١ ٦٥٢ ٦٥٣ ٦٥٤ ٦٥٥ ٦٥٦ ٦٥٧ ٦٥٨ ٦٥٩ ٦٦٠ ٦٦١ ٦٦٢ ٦٦٣ ٦٦٤ ٦٦٥ ٦٦٦ ٦٦٧ ٦٦٨ ٦٦٩ ٦٧٠ ٦٧١ ٦٧٢ ٦٧٣ ٦٧٤ ٦٧٥ ٦٧٦ ٦٧٧ ٦٧٨ ٦٧٩ ٦٨٠ ٦٨١ ٦٨٢ ٦٨٣ ٦٨٤ ٦٨٥ ٦٨٦ ٦٨٧ ٦٨٨ ٦٨٩ ٦٩٠ ٦٩١ ٦٩٢ ٦٩٣ ٦٩٤ ٦٩٥ ٦٩٦ ٦٩٧ ٦٩٨ ٦٩٩ ٧٠٠ ٧٠١ ٧٠٢ ٧٠٣ ٧٠٤ ٧٠٥ ٧٠٦ ٧٠٧ ٧٠٨ ٧٠٩ ٧١٠ ٧١١ ٧١٢ ٧١٣ ٧١٤ ٧١٥ ٧١٦ ٧١٧ ٧١٨ ٧١٩ ٧٢٠ ٧٢١ ٧٢٢ ٧٢٣ ٧٢٤ ٧٢٥ ٧٢٦ ٧٢٧ ٧٢٨ ٧٢٩ ٧٣٠ ٧٣١ ٧٣٢ ٧٣٣ ٧٣٤ ٧٣٥ ٧٣٦ ٧٣٧ ٧٣٨ ٧٣٩ ٧٤٠ ٧٤١ ٧٤٢ ٧٤٣ ٧٤٤ ٧٤٥ ٧٤٦ ٧٤٧ ٧٤٨ ٧٤٩ ٧٥٠ ٧٥١ ٧٥٢ ٧٥٣ ٧٥٤ ٧٥٥ ٧٥٦ ٧٥٧ ٧٥٨ ٧٥٩ ٧٦٠ ٧٦١ ٧٦٢ ٧٦٣ ٧٦٤ ٧٦٥ ٧٦٦ ٧٦٧ ٧٦٨ ٧٦٩ ٧٧٠ ٧٧١ ٧٧٢ ٧٧٣ ٧٧٤ ٧٧٥ ٧٧٦ ٧٧٧ ٧٧٨ ٧٧٩ ٧٨٠ ٧٨١ ٧٨٢ ٧٨٣ ٧٨٤ ٧٨٥ ٧٨٦ ٧٨٧ ٧٨٨ ٧٨٩ ٧٩٠ ٧٩١ ٧٩٢ ٧٩٣ ٧٩٤ ٧٩٥ ٧٩٦ ٧٩٧ ٧٩٨ ٧٩٩ ٨٠٠ ٨٠١ ٨٠٢ ٨٠٣ ٨٠٤ ٨٠٥ ٨٠٦ ٨٠٧ ٨٠٨ ٨٠٩ ٨١٠ ٨١١ ٨١٢ ٨١٣ ٨١٤ ٨١٥ ٨١٦ ٨١٧ ٨١٨ ٨١٩ ٨٢٠ ٨٢١ ٨٢٢ ٨٢٣ ٨٢٤ ٨٢٥ ٨٢٦ ٨٢٧ ٨٢٨ ٨٢٩ ٨٣٠ ٨٣١ ٨٣٢ ٨٣٣ ٨٣٤ ٨٣٥ ٨٣٦ ٨٣٧ ٨٣٨ ٨٣٩ ٨٤٠ ٨٤١ ٨٤٢ ٨٤٣ ٨٤٤ ٨٤٥ ٨٤٦ ٨٤٧ ٨٤٨ ٨٤٩ ٨٥٠ ٨٥١ ٨٥٢ ٨٥٣ ٨٥٤ ٨٥٥ ٨٥٦ ٨٥٧ ٨٥٨ ٨٥٩ ٨٦٠ ٨٦١ ٨٦٢ ٨٦٣ ٨٦٤ ٨٦٥ ٨٦٦ ٨٦٧ ٨٦٨ ٨٦٩ ٨٧٠ ٨٧١ ٨٧٢ ٨٧٣ ٨٧٤ ٨٧٥ ٨٧٦ ٨٧٧ ٨٧٨ ٨٧٩ ٨٨٠ ٨٨١ ٨٨٢ ٨٨٣ ٨٨٤ ٨٨٥ ٨٨٦ ٨٨٧ ٨٨٨ ٨٨٩ ٨٩٠ ٨٩١ ٨٩٢ ٨٩٣ ٨٩٤ ٨٩٥ ٨٩٦ ٨٩٧ ٨٩٨ ٨٩٩ ٩٠٠ ٩٠١ ٩٠٢ ٩٠٣ ٩٠٤ ٩٠٥ ٩٠٦ ٩٠٧ ٩٠٨ ٩٠٩ ٩١٠ ٩١١ ٩١٢ ٩١٣ ٩١٤ ٩١٥ ٩١٦ ٩١٧ ٩١٨ ٩١٩ ٩٢٠ ٩٢١ ٩٢٢ ٩٢٣ ٩٢٤ ٩٢٥ ٩٢٦ ٩٢٧ ٩٢٨ ٩٢٩ ٩٣٠ ٩٣١ ٩٣٢ ٩٣٣ ٩٣٤ ٩٣٥ ٩٣٦ ٩٣٧ ٩٣٨ ٩٣٩ ٩٤٠ ٩٤١ ٩٤٢ ٩٤٣ ٩٤٤ ٩٤٥ ٩٤٦ ٩٤٧ ٩٤٨ ٩٤٩ ٩٥٠ ٩٥١ ٩٥٢ ٩٥٣ ٩٥٤ ٩٥٥ ٩٥٦ ٩٥٧ ٩٥٨ ٩٥٩ ٩٦٠ ٩٦١ ٩٦٢ ٩٦٣ ٩٦٤ ٩٦٥ ٩٦٦ ٩٦٧ ٩٦٨ ٩٦٩ ٩٧٠ ٩٧١ ٩٧٢ ٩٧٣ ٩٧٤ ٩٧٥ ٩٧٦ ٩٧٧ ٩٧٨ ٩٧٩ ٩٨٠ ٩٨١ ٩٨٢ ٩٨٣ ٩٨٤ ٩٨٥ ٩٨٦ ٩٨٧ ٩٨٨ ٩٨٩ ٩٩٠ ٩٩١ ٩٩٢ ٩٩٣ ٩٩٤ ٩٩٥ ٩٩٦ ٩٩٧ ٩٩٨ ٩٩٩ ١٠٠٠

عام الكف

الفسادة . يقول الأب مطرقا :

لي خلال عسلا
رب عبي عبيس ما
بأحمادي وحيدتي
بالمسروحات والوقا
بان مني وما اختي
يوم لا ينفع القفا

يقول (الابن) واقفا وجهه إلى السماء :

أني لقي من ذنوبي ثاب
فلا تهل التوسم مدعي حيفي
ومن فعل الحقوت بأرب خائف
إذا شئت يوم الحساب الصائف

(صبي)

وقال صديق المصطفى يثوره على أجهته :

هيرا من المصنوع كيف التفت
لا تسبوا المصنوع وجهه
جمع المودة والبرودة حسنة
كل البلاة عند شخص واحد
من جلد أو من فلاد جامد
قالسان تضرب في حذره بارد

(أ) صبي كصبي كاذب من إسماعيل صبي

عام الكف

الأمثلة الجديدة

قلت ليل المسامحة لخصي
من صدغ إبراهيم يوم الكفاح
ولا تفرح به زلات الجبل
على صدغ لا يحب المزاح
لناله ذلك كذا في
لمعت حبال أهاب السلاح
(إسحاق)

أمرج الأنكف من العيون
عقلًا مثل طيسان ابن حرب
أنت في المكان في أمان وسلم
وهو في حضان حرب وضرب
(صبي)

أعزاهم في
مستوحش من
على تلك الحقيقة
(أ. م.)

يا نادلا وجنيه
إن كنت للفظ كاظم
بنك حكمة لظنات
لقد نجد (لكاظم)
(الكاظمي)

أرفصوه هو لم فيلسوف
حين غنت على قفاه الكفوف
كتب الشرق ماله من جوارم
غير منع السقاء حين تطوف
وله السبك حين ينشئ وما
يك مما يحط إلا الحروف
كنت في بيانه كل دعوى
هو في الناس سارق معروف
(البدیع)

ما هذه الكف التي قد كفت
ولمنا من نال بالراحه
كانت بيضاء لكنها
فقد أفقدت مصفوعها الزاحه
سودت منها بيضاء
أولئك التي يحرق مصباحه



لك خلد كأنه قطعة الجسد عند قفلا فن تراه استخفه
كفوا صافعا به وهو لا يد رى لنا راح صافعا كف
(فراكتوس)
قل الأولى حملوا القريض وسيلة يتناظرون به مع المصباح
لا تهبوا من راحة صنعت قى مثل فنل مغرم بالراح
(عدو الولد لا الولد)
كتاب مصر اثنان فى آرائنا وعند حسن الرأى تجلى المعنه
فكتاب يقام إجلالا وكاتب لا تستحى أن نصفه
(العلم)

(الترجمة) ٢١١٠ م ١٩٠٢

عام الكف

٩

فذاك عهد نعم السلاح إذا التف بالسكر السكر
ومدتك إن تفر الناقرون عليه يرت ولا بكر
(صبحى)

النصيحة

يا ابن الأولى رحت أعلامهم وروى إذ الأكف مجانين مهاووس
لا تدخل الحان والصقاع تارة حتى قام حوالبك المناريس
وقل لصدك يستقبل وفودهم بالباب : إنهم قوم مناحيس
(إسحاق)

وقال شاعر أزهري على لسان المصفوع يواسيه ويسليه :

فد صفناك صفة ليس يحى لها أثر
هذه الكف مبدا ولدى غيرنا الحبر

1991

سید محمد قاسم

THE

الحمد لله رب العالمين

مفتي مصر والوالد

53

1950

(23)

مجلس

لکھا فی یہاں کتاب

من صفحة ١٠١

المسألة بين الماء والراح

وكانت هذه هي الحالة التي كانت عليها الأمور في ذلك الوقت.

[illegible]

1990

100-443887-100

[illegible]

1950年(1950年)1月1日

رأى وجهه باردا جامدا فراح يسرّ عليه الجلم^(١)
ولو كان صامه منصفا بصيرا لقط عليه (القلم)

رأك تحب السجع حتى نظنته هو الحسن لا ما جاء من جودة الطبع
فتقل من صفع بسجع وما درى بأن أجل السجع ما خف في السمع

رأى قفاك الذي رآه سهلا وما كان بالمنع
فبات (ينثى) وبت تمل وهو (يفنى) وأنت تسجع

لقد صفعوه صفة جل شأنها وأعيا على حلق الطيب علاجها
ولو أتبعوا صفعا بصفع لأحسنوا (وزان اللآلى في النحور ازدواجاها)
(دواكتوس)

(المؤيد) في ١٩ رجب سنة ١٩٠٢

عام الكف

١١

هي صفة سر الصعافة وقها ورجا بيان مثلها وبديع
كانت تؤملها البلاد ليرعوى غير ويعرف قدره المخدوع
عظمت على من نالها فسكانه من كف كل أمي هي مصفوع

هي صفة لمح الأنام بذكرها ودرى البعيد بها ومن لم يعلم
قد بالغ الأدباء في أوصافها ما بين منشور وبين منظم
فندا قفاك يقول منذ هلالهم^(٢) (هل غادر الشعراء من متردّم)

(١) الجلم : المقرض . (٢) لعلها : منه خلا لم .

قد كنت لاشيء في الأنام لكي تصفع من صانع وإن عدلا
فذلك ما كان ضاربا رجلا لكنه راح ضاربا مثلا^(١)

توليت المصافة فاستكانت لما أرخصتها بيعا وسوما
وقد أبصكتها دهرها طويلا فلا تحزن إذا أبكتك يوما
(دراكتوس)

يرى كاتب الصباح في الصنع لذة وليس سواه من يرى صفعه نقما
أدب له حسن الجنس طيبة يزيدك صفعا كلما زدته صفعا
(صباح لا صافع)

(الترجمة) في ٣٠ نوفمبر ١٩٠٢

عام الكف

١٢

قال شاعر مجيد في الصعيد :

لى سؤال يا أهل مصر فرتوا بحواب عن السؤال مفيد
أى كف قد باشرت صفع خذ فسمعتا دويها في الصعيد

وقال أيضا :

بين أهل الصعيد شاع حديث وهو أن المويلحى صفعوه
ليت شعري وليتني كنت أدري ساعة الصفع أين كان أبوه

وقال مؤرخا :

أحمد لا تحسبن ال صفع لم يصغ إليه
فلقد أتى التاريخ خذ لك فرغ الكف عليه

وقال أيضا :

ولقد ظننتك يا أحمد في فن الكتابة حاذقا فهما
ومطقت أسأل كل ذي قنة حتى نظرت بصدغك (القبلى)

(١) لشوق طمات خاطفة ولكنها نافذة .

وقال صاحب الإمضاء :

رأى خلك الفنان أشهى من المنى قال إليه ميل صب مولىع
وما كان ممن يصفع الخلد كفه ولكن من ينظر حدودك يصفع
(دراكتوس)

سموه عام الكف وهو الذى يؤخذ من معناه أن قد كفى
ما هو عام الكف لو أنصفوا لكنه بالحق عام القفا
(مصحح)

رأيت جمادات الترى ونباته وكل خسيس دب فوق أديم
فلم أر أصلا للهانة والأذى كصدغ لئيم الدهر وابن لئيم
الطامة :

صرت أرجو بأن تكون المبرجى وابن يبدل المعجا لك مدحا
تلك كف قد اكتفت واكتفينى فرائنا أن نعقب الصفع صفحا
(دراكتوس)

وقال أديب فاضل :

صفعنا روحه بيد المعاني فالفينا لها صبرا جميلا
ومن طلب الإقالة من شجاع وأشفق من مضاربه أقيلا

وقال شفيع شمين :

- * أقسم بعد اليوم أن يتوبا *
- * فأذن لعام الكف أن يغيا *
- * فلن تراه بعدها لغوبا *
- * ولا أخا حجرا ولا كذوبا *
- * وارحم فنى أو شك أن يذوبا *
- * أمسى حزيننا حائرا مضروبا *
- * فإنه إن عاود الذنوبا *
- * أنخلق بهذا العام أن تزوبا *

امترحام (لصاحب المؤيد) :

يقول المصنفون واقفا :

أيها المولى الذى عودنا
إن شهر الصوم قد حل ففز
لقد كفنا كل ما عدل به
فأعف عني يا أبا القادرين
حكمة الرفق بحال البائسين
فيه بالأجر وشكر الشاكرين

ورحله (عالم مصر الأول) :

أين إبراهيم طيب إذا وإن
لكرام الله غنينا وكفا
إن هذا الشهر شهر عيسى
قد حسونا آية الكفروها
فأكرم المسكين في ظلنا
واسكتب الخير وقلة رزنا
لقد أنفناك جزاء الظالمين
من أذى منك طبع الكاظمين
لله أملاك منفع الصالحين
نحن نملأ اليوم آى الزاحمين
في منادى الكائين المسكين
واسكنم رضى إله العالمين
(إحقاق صبحي)

(١) عبد صاحب القلوب

من «تمشة بعيد الجلول»

وجئت بالشعور والأحداق	وقسمن الخطوط في العشاق
جبتا القسم في المعين قسمي	لويلاقون في الهوى ما ألاق
حلتني في الهوى وما آمنني	حيلة الأذكياء في الأرزاق ^(١)
لويمازى الحب من فرط شوق	لحزيت الكثير عن أشواق
وقفا ما زادها في غريب ال	حسن إلا غرائب الأخلاق
ذقت منها حلوا ومررا وكانت	لذة العشق في اختلاف المذاق
ضربت موعدا فلها التقينا	جانبتني تقول فيم التلاق
قلت ما هكذا الموائيق قالت	ليس للغانيات من ميثاق ^(٢)
عطفها لحماقتي وشعها	شافع بادر من الآفاق

(١) في هذا البيت معنى جليل وحكمة من روائع القول .

(٢) نظر شوقي في هذا البيت إلى قول من قال :

وإن حلفت لا ينقض الأي مهادها

فليس تخضوب البناث بمن

احتفال الخزان

أو عهد أسوان

نشرت (الرواء) قصيدة «شاعر النيل» في حفلة الخزان التي كانت «أكبر الحفلات التي شاهدها المصريون في هذا العصر على ضفاف النيل» . ونشرت (مجلة المجلات العربية) القصيدة في عدد نوفمبر وديسمبر سنة ١٩٠٢ . ووعظت الاحتفال الذي جرى في العاشر من ديسمبر قالت : «جاء إلى مصر جيش على دعوة الخديوي سمو الدوق دى كونوت شقيق جلالة الملك إدوارد السابع والدوقة فريته وحضرا الاحتفال مع الغازي مختار باشا والقناصل والظلمة» . ونشرت (الملايد) القصيدة في يوم ١٨ ديسمبر ١٩٠٢ تحت عنوان (آية الخزان) ومهدت للقصيدة بقولها :

«أنشأ أبنة الأديب في مصر قصيدة غراء يصف بها حفلة الخزان وما لها من جمال . والبناء وما له من عظمة وجلال . والنيل وكيف كان طليقا ثم أسر . ومجد مصر كيف كان شاعرا ثم دثر . واختصها بهذين البيتين غاها رفات المصريين القدماء :

يا أمة بلغت في المجد غاية
فهموا النداء انظروا هدى ما نركم
وقصر الناس فيه عن مساعيها
على في ما نركم نبي بضاهاها

فكانت قصيدته . بل آية الخزان اللطيفة التي قد تحل محل جلوده وربما كانت الأثر بعد العين على منزلة الأحقاب الطوال . وفناء الأجيال بعد الأجيال :

أعياد عزك للذنيا مجالها	وللأحاديث غاليها وغاليها
وللسيرة منها ما تسر به	وللوعبة ما يرضى أمانها
وللسعود غنى في صبايحها	وللباس مسرى في لياليها
وللمالك حظ في مفاتيحها	وللبوك نصيب من معانيها
لعز (غليوم) فيها من يمشه	وفات (إدورد) فيها من يحاكيها
ما للمالك لا يأتي أكابرها	لصاحب النيل أو يسعى أهاليها
المس من جمل الدنيا أبوه	وقصرت عن معاليهم موالها
المصر يعلم والأجيال ما بلغت	بمصر إيام (إسماعيل) تنويها

ضافته بلقيس حين الدهر خادمها
وجاءه المالكون الصيّد في سفن
تُقل كل كبير الملك مقتدر
منى كبار وآمال محببة
والناس من تقعد الدنيا به قعدوا
في ملكها والليل من جواربها^(١)
ألفت على الساحة الكبرى مراسيها
تمزّ آتسه الدنيا وتعليها
خابت ولم يلق غير اللوم راجيها
سجدة المرء في الدنيا يجاريها



بنيت فوق عريض اليم قنطرة
شماء قاهرة فوق المياه فلا
طلعت والشمس في أبهى مواكبها
كما تطلع يوما في وكائبه
أجل رجا من الأقمار كافلة
لا تنثنى عن محباك القلوب هوى
وقفت والنيل خلف السد منتظر
فأعملت يدك المفتاح فأنفجرت
لما جريت لغايات الندى وجرى
تالله ما جرت الأرزاق يومئذ
مفاعس لك يجتال الزمان بها
من (لأبن جعفر) إن يحصى عليك ثنا
لودام يهدى لك الأشعار حافلة

ما كان فرعون ذو الأوتاد ينيها
تجسرى وتذهب إلا ما توليها
وموكب الملك ذو الأنوار يزريها
رمسيس تدفعه الأيدي وترجيها
تبدو النجوم خوالها تساريها^(٢)
إن عارض الذهب الأبصار ينثنها
إشارة من بنان الخير يَمْضِيها
في مصر عشر عيون من أياديها
عجبت كيف حوى البحرين واديها
إلا وكنت بإذن الله مجريها
قام الخطيب وزير الرى يطريها
وللبلاغة في عليك ما فيها^(٣)
ما ضقت جاها ولا ضاقت قوافيها



يا نيل مصر وفي الأيام موعظة
ليت البرية ما دامتك أرجلها
قصد تفلوك بنير من جلامد لا
ومملوك حصورا فوق ما حملت

ماذا لقيت من الدنيا وأهلها
بعد المشيب ولا غلتك أيديها
تعدده الأرض إلا من رواسيها
منها أنا في دهور عز خالها

(١) ضافته بلقيس أى نزلت به ضيفا . وبلقيس كناية عن الإمبراطورة أوجيني التي وفدت مع مملوك أوروبا إلى مصر للاشتراك في مهرجان افتتاح القناة في سنة ١٨٦٩ .
(٢) لعلها من الأقمار حافلة : أى مجتعدة
(٣) حسين باشا نخري « ناظر » الأشغال العمومية وابن جعفر باشا صادق . ومجتمعة .

أجيت في مصر موقوتاً إلى أجل وكنت وحدك حسراً في نواحيها
فذهبت الصخر أخلد وحيي هيب الشرحم منك حين الخبير تجزيها
ضاماً بمالك أن يسقى الصبيبه ورب مصر على الأشياء يؤذيها

ومركب من غار قد جرى وحييت من تحت الأرض تطويه ويطويها^(١)
كان أشباحه والنبل يأخذها سواثر الأرض تبديها وتحفيها^(٢)
كأنا وبياض الصبح فيها وسجل النهار إلى الدنيا تنهيا^(٣)
تبرأه في عرض الشاب منها على ما نلر كالفرديوس ضاحيا^(٤)
عقل الطليعة غموس في ملاعبها من الوجود وترى في مغائيا^(٥)
كفانة لمعان الحسن جامسة تمام الحسن عاريا وكاسيا
ولك الصبا وهي يد المحروبه ولا تزال لمصوبا في تصايها^(٦)
مثل الملاحة في الدنيا مداولا ثماني الحسان ولا حستاء تفنيها

يا ابن البحار فهل في الصبيبه بنا تر البسيطة في مشهور ماضيها
وقف تشاهد طول الأقدسين به تحير الدهر فيها كيف يلبيا
هيا كل كالجبال النمل سافلها وفوق هام النجوم الزهر عاليها
إذا أتتها الليل من نواحيها تاملها بالبل قامت أثارها
بغنى الزمان ولا تبلى زخارفها ولا يحول من الألوان زاهيا
إذا وقفت (بابواب الملوك) حني أيقنت أن قد بنى للخلد بانيها
رأيت فرعون موسى عند سفره لا يطلب اليوم من دنياه ناليها

(١) مركب من بخار القاهرة أو القطار أو ما يسمى العانة بالواو . وهنا الاسم الأخير مأخوذ من الهمز
vapeur أي البخار . (٢) الأشباح من الأشخاص والشخص سواد الإنسان وغيره تراه من بعد .

(٣) وياض الصبح فيها . مأخوذ من قول المتن
أزورهم وبنواد البسل جفع في وأشي وياض الصبح يفسرى في

(٤) أجل أقل فضيل يعني أجمع . قوله بسد ذلك (في شرح الشباب بنا) غير مستساغ ولو كان المقصود
منه مرة القطار وانقطاعه بغير رفق بصفوان الشباب . ولعل صفة الشطر الأول (تبرأه من شرح الشباب بنا) .

(٥) الطليعة تظهر في ملاعبها وترى أي تراه . والمخاطف المائل . (٦) جد الدهور أي مجلتها . التصان :
الميل إلى الصبيبه واللو والحب .

بين الحياة وبين الموت من جزع يخشى القيامة فيها أن يلاقيها
عجائب الطب لا لفنان يعرفها في الطيرين ولا (بستور) يدرها
يا أمة بلغت في المجد غايته وقصر الناس فيه عن مساعيها
قوموا النداء انظروا هذى ما نركم هل في ما نركم شيء يضاهيها
(شوق)

التعليق

تنقسم قصيدة شوقي إلى خمسة أقسام : القسم الأول والثاني منها يتضمنان وصف
المرحان من (أعياد عزك . .) إلى (لو دام يهدى لك الأشعار . .) وهذا الوصف
وما يحمله من مدح حديث معاد . والقسم الثالث عن النيل الذي بنى الخزان عليه :
يا نيل مصر وفي الأيام موعظة ما ذا لقيت من الدنيا وأهلها
ليت البرية ما داسك أرجلها بعد المشيب ولا ظنك أيديها
والآيات الخمسة الباقية على نمط هذين البيتين وموضوعها واحد : وهو أن النيل في الأسر
والمناصفة طيبة ولكن لا أحب من شوقي قوله (بعد المشيب) بعد قوله (ليت البرية
ما داسك أرجلها) . . كما لا أحب منه قوله إن السد والصخور إن هي إلا نير وأغلال
وأقال تمنع النيل أن يجري حراً وأن يسقى الصعيد بمائه . فهذا خيال لا سند له من الحقيقة .
وقد يستحب الخيال إذا بالغ في تمثيل الحقيقة لا في مجافاتها . .

وفي القسم الرابع وصف شوقي القطار والمناظر التي يمر بها . فأخذ يلو نفسه وبانت
له خلجات ووثبات : أجاد شاعرنا وصف سرعة القطار في البيت الأول حيث يقول
(وجرت . . من تحت الأرض تطويه ويطويها) . وهذا الوصف الحسى للسرعة أروع من
الوصف المعنوي الذي ورد في البيت التالي (تمر أعجل من شرخ الشباب بنا) . وقد استهل
حافظ إبراهيم قصيدة (رعاية الأطفال) التي نشرت في أول فبراير سنة ١٩١١ بوصف
القطار . وكان كله وصفاً معنوياً ركيكاً لا تصوير فيه ولا إبداع . قال :

صفحة البرق أومضت في الغمام أم شهاب يشق جوف الظلام
أم سليل البخار طار إلى القص يد فأعيا سبواب الأوهام
مر كالبحر لم تمكث تقف العبد ن على ظل حرمه المتراى
أو كشرخ الشباب لم يدر كليب ه تولى في يقظة أو منام
لا يبالي السرى إذا احتكر اللب عل وخانت مواقع الأقدام

يقطع اليد والفيافي وحيدا لم تضعضه وحشة الإطلام
 بين جنبيه ما يجني لكن ما يجني مستديم الضرام
 إلى آخره . . من الخيال العقيم . وكان البارودي نظم حوالى سنة ١٨٨١ قصيدة يصف
 فيها القطار الذى امتقله مسافرا إلى ضيقته باحبة (قرقرة) بالدفهية . والواقع أن البارودي
 لم يتخلف خياله فلم يصور القطار ولا مناظر الريف المصرى ولكنه فعل ما فعله حافظ
 فيما بعد وأشرنا إليه كشفا قصيدته باستعارات وتشبيهات مبتذلة لا تمثل القوى التى تنخر
 بها الطبيعة والحياة ، فقل في القطار :

ولقد علوت مرة أديم لو جرى فى شأوه برق تمر أو كبا
 يجرى على عجل فلا يشكو الوجى مدّ النهار ولا يمل من السرى
 دباب ملء ضلوعه لكه يشكو بزفرته لهيبا فى الحشا
 وشوق بلا شك أرق خبالا من البارودى وحافظ ، وحسب قوله فى القطار من هذه القصيدة
 وهو آية من الصور المعنوية .

كأن أشباحه والليل يأخذها سوازل الأرض تبديها وتخفيها
 كأنها وبياض الصبح تم بها رحل النهار إلى الدنيا تنهيا
 ليس أدل على قوة الملاحظة عند شاعرنا من أنه فتح عينيه على منظر من أدق وأروع مناظر
 الطبيعة والحياة ، منظر سواد القطار وهو ينساب فى ضمير الليل والبلاد . أما البيت الثانى
 (كأنها وبياض الصبح تم بها) فلا يدرك جماله إلا من سافر وجرب ورأى ببنيه بهجة
 الحياة وفوحها عند مرور القطار فى أول النهار ببلد من البلاد . . إن مجرد سماع اسم المحطة
 أو البلد الذى يقف فيه القطار أو يمر به صبعا يحرك القلوب كما تحركها الذكرى والحنين .

وقد أجاد شوق بعد ذلك فى وصف الطبيعة التى يمر عليها القطار :

على الطبيعة تلهو فى ملاعبها من الوجود وتزهى فى مغانيها
 كغادة لمعان الحسن جامدة قاسم الحسن عاريا وكاسيا
 ول الصبا ومضى جد الهوى به ولا تزال لموبا فى تصايها
 هذا شعر شوق يذكرنا بقصيدة البحترى فى وصف بركة التوكل :

ميسلوا إلى الدار من ليل نجيبا نعم ونسألها عن بعض أهلها
 ولا يغوتنا أن نذكر أن شوق رأى جمال القطار وهو ينساب فى حشا الليل والطبيعة ،
 بمكس شعراء الإفرنج فى أوائل انتشار السكة الحديدية فى أوروبا حوالى سنة ١٨٤٠ فلأنهم

لم يرحبوا بها لأنها حلت محل عربات السفر التي تجرها الخيول وكان للسفر فيها مهلة واسعة للتعارف والتلاقى والاستمتاع بالحقول والغابات التي كانت تحترقها طرق الريف على مراحل مختلفة. والغريب أن الشاعر الفرنسي الكبير ألفرد ديفيني وصف القاطرة البخارية في قصيدة (بيت الراعي) كما يصفها حافظ والبارودي وصفًا لا يدل على إلهام. قال عنها إنها السهم الذي يطير في الفضاء. والأيل الذي يثب. وإمها ثور من حديد. وجنّ مزيج.

وفي القسم الخامس والأخير استعرض شوقي آثار مصر التي يخترق القطار طريقها. وقد استوفيت كلمة في أحد الأبيات :

إذا وقفت بأبواب الملوك مخفي أيقنت أن قد بنى لتخلد بانيها
رأيت فرعون موسى عند حفرة لا يطلب اليوم من دنياه تأليها
كلمة (حفرة) كلمة جامعة وصورة شعرية عظيمة. . إنها مقابلة مؤثرة بين مهانة الفاني في نهايته عند خروجه صاغرا من مهرجان الحياة وبين كبرياء العاني الذي له الملك والأهله تجري . .)

ولشوقي مقابلات كثيرة لا يحصيها العد صادرة عن بلاغة سليقة وطبيعة جبارة. قال :

عباد الله أكرمهم عليه كرام في بريته أساة
كأئدة المسيح يقوم يؤس حوالياً وتقعد بأئسات

لا يفهم جمال البيت الثاني إلا من يعلم أن كبار مصوّري الإنفرج قد رسموا صورة مائدة المسيح وحواليها الثابتات والزاهدات قائمات وقاعدات. ولو قال شوقي (تقوم بأئسات حوالياً وتقعد بأئسات) لذهب من البيت نصف جماله وروعته. في البيت مقابلة بين القيام والقعود. بين التذكير والتأنيث. بين الفرد والجمع (يقوم يؤس) وتقعد بأئسات . وحواليها كحواليها بمعنى الجهات المحيطة كلمة متخيرة مصورة.

وقد علا نفس شوقي وبلغ بيانه القمة في البيتين الأخيرين من قصيدة الخزان لأن في هذين البيتين نوعاً من المقابلة أو المقارنة أو التمثيل الحمسي لشئيين متقابلين :

يا أمة بلغت في الجسد غايته وقصر الناس فيه عن مساعيا
قوموا الغداة انظروا هذى مأثركم هل في مأثرهم شيء يضاهيها

بيتان جليان من شعر الفخر يلتقي جلالهما بجلال الموقف في أسوان حيث يقاخر الإنجليز « بنجرانهم » ويستعلون علينا . . وفيهما تنبيه للهمم النائمة للاقتداء بالسلف المسألة آثاره الخالدة في أنحاء الوادي .

(تحية لضيف عظيم)

وأنا لنبضة المعبر في مصر أحد شرق هذه التحية الحليمة لصاحب السمو ولي عهد

ألمانيا . نحن تحية الأديب المشرق لثمن مصر وضيف أميرها .

مرحبا بالتي العظيم الشرف	سيد الكل من بني الألمان
وأولت مصر للسلام جناحا	والحرب ذاتك المختار ^(١)
جنتك مصر في يوم السرايا	وأهدا في غنائم العقاب ^(٢)
مصر من نوركم ونور أخيك	قد مشى فوق أرضها الفرقدان
أنت في حقل لذة الجبل	وأولك العظيم ملء الزمان
ظهور الشمس في الوجوه طوا	ونشاط الأفلاك في الدوران
طام تاجر حاكم بحلب	عالمه فوق منبر المعمر ثاني
ما نسيط وقوله بمسبح الم	بدين والعالمون في نسيان ^(٣)
كلت قد وأنت المصور طوا	فوق طيب النظام والأكفان

(١) الخطب ظهر كل سبع من الماشي والغاز .

(٢) القرية غلة من الجوش . والذي يخطف مصر هو العقاب لا النسر . والعقاب هو الذي يزهد في غنائم

المصر ويهاجمها

(٣) كانت ألمانيا من أوائل القوم التي أصبحت مشركا في الحرب العظمى ثمردت إلى تركيا والشعوب الإسلامية . ومن مظاهر هذا التمرد تحية عظيم الثاني لصالح الدين في قبره . وكان تيار الوطنية المصرية تنجها إلى تركيا وألمانيا لتخلص من الاحتلال . ثم مصطفى كامل في جريدة (التوحيد) في ١٥ فبراير سنة ١٨٩٧ مقالا افتتاحيا تحت عنوان (استعادة الأمة الألمانية) . وفي شهر مايو من نفس السنة (١٨٩٧) حوكم سليم مركيس صاحب (المشير) وهو من أصادق (العظيم) بتهمة الظن في اسر الطور ألمانيا وحكم عليه بالسجن . وكان شوقي قد نشر في (التوحيد) بتاريخ ١٤ أكتوبر سنة ١٨٩٩ قصيدته الشهيرة (تحية عظيم الثاني لصالح الدين في القبر) .

عظيم الناس من بينكم النظاما . ويدهم ولو سكتاوا عظاما .

وهي مشهورة في الجزء الرابع من (التوقيعات) ص ٤٠

وفي ٦ نوفمبر سنة ١٩١٤ نشرت (الأحرار) قصيدة للشوقي يخاطب بها عظيم الثاني حاهل ألمانيا ويتدد فيها بطامه وأعلامه المرفعة . انتمادرا للجلاء في الحرب العظمى .

ياوب ما حركك ماذا ترى في ذلك الحلم الطويل العريض

قد قام عظيمهم عظميا لما أحاطك من ملكك إلا القليل

وهي نشرت هذه القصيدة في الجزء الرابع من (التوقيعات) . جاء في خديها : « وخطب عظيم خطبة في سنة ١٩٠٦ (كما) كان لما رجع عظيم وأحدث أزمة أوشكت أن تنهي إلى الحرب الأوروبية طاعة (!!) » .

وإذا القلب كان ممجاً كريماً ظهرت طيباته في اللسان
والسرورات عند أربابها فو ق اختلاف الآراء والأديان



قف برئيس إنه كصلاح ال مدين أهل لنك الإحسان
قل له يا أبا الملوكة هل العبد ش وإن طال غير يضع توان
فم فبظن فهذه هامة أين ال شمس أين النحاس والتاجان
ونعم هذه يمينك لكن جبل بين اليمن والصويلحان
وتأمل على الصميد بشايا دولة فوق دولة الرومان
فهرت أربعين شعباً إلى أن قبرتها طوارق الحدائن



يا ابن ظيوم يوم ترجع بر لين وبصني لقولك الوالدان
قل لمولوك يا أبي ومليك مصر أم الشعوب ذات الحنان
منهل الصالحين من كل جنس وخوان لكل قاص داني

(١) هذا البيت والبيتان التاليان أجل أبيات القصيدة وفيها تمثيل رائع لدول تدرك ونعم يزول وعيش يحول .

قال شوقي مخاطباً رئيس باشا دول العهد ، وما أجل قوله :

ونعم هذه يمينك لكن جبل بين اليمن والصويلحان

ولعله مريها الخطاب لولي العهد :

وتأمل على الصميد بشايا دولة فوق دولة الرومان

فهرت أربعين شعباً إلى أن قبرتها طوارق الحدائن

(١)
وداع

لقد حلق السرى لك والمسير	تنقل أيها القمر المنير
فما تجدى منازلك الكثير	إذا لم تطو مستلة لأخري
وأنت يجفها بصر ونور	تظن العين أن قد غبت عنها
فتهدبها لموضعها الصدور	وتلقت القلوب إليك شوقاً
ويحمله على السعة الضمير	ومثلك من يضيق الرجب منه
وللدنيا قيامك والسفور	هيناً للسراة واللبال
وبشرك وهو للقاضي بشير	وتورك وهو للداني سبيل
وماد لها الناس والجبور ^(٢)	أرى دار السعادة قد تهللت
فعدوا إن تيسمت الثغور	تهللت القلوب وأنت فيها
وإن جلت وجل بها المزور	ألمدى قدر زائرها المفسدى
عظيم في خلافته كبير ^(٣)	يضيق خليفة الرحمن فيها
كما نزلت من الطغرى السطور	إذا اجتمع الصدور به تحسوا

(١) شرباً بغير هذه القصيدة لأنها رقيقة حسنة البك . ومن رائع المديح فيها قوله :
إذا اجتمع الصدور به تحسوا

(٢) آس لنا جوارنا ، وآس عند فرجنا .

(٣) ضاع يضيق ، نزل به ضيقاً .

رثاء

”فقلت مصر يوم الخميس الماضي رجلا كبيرا الهمة ... السيد علي باشا رفاة وكيل
نظارة المعارف سابقا. وقد قال حضرة صديقه الحميم أحمد شوقي بك يرثيه بهذه القصيدة“.

فيم ابتسامك للدينيا وعائتها	ترد كل محب عنك منتحبا
وما اتساعك منها بعد ما حسبت	عليك ضيقة الأجداث منقلبا
كم صاحب لبدور الأرض فارقهم	لم يحص من حشرات الأرض ما حبا
وناعم كان يؤذى من غلاته	تألف الدود والأكفان والتربا ^(١)
لا يعرف العيش حتى ينقضى قترى	صدق الحياة بعين الموت والكذبا
كل الحقائق فيها الشك محتمل	إلا المنية تأتي الشك والريب
وما رأيت حل على ونجس ربي	كالسوت جدا ولا ما قبله لعبا
ما مات من أودع الدنيا عظيم نبا	ولا قضى من قضى للجد ما وجبا
وما استوى المرء يطوى ذكره معه	وزاهب فضله في الناس ما ذهبا
فإن مررت على الدنيا فرقتي	ولا تمرن مثل الأكثرين هبا
فأنلخد صفتان خلد الناس بعدهم	بالذكر والخلد عند الله مرتقبا
أبكي رفاة أبكي العلم والأدبا	أبكي المروءة والفضل الذي احتجا
أبكي ابن أعظمها نفعا وأرفعها	ذكرنا وأشرفها بالمصطفى نسبا
أبكي القوافي كضوء الشمس سائرة	أبكي المحابر والأنفلام والكتبا
أبكي الأحاديث تجري كلها أدبا	أبكي البلاغة أبكي بعدك العربا
يا ابن الذي بعثت مصر معارفه	أبوك كان لأبناء البلاد أبا
أيتنا وظلام الجهل يملؤها	كالشمس والبدر لا أدعوكا الشها
تربيت لها الأبناء صالحة	وتخرجان حماة الدولة النخب ^(٢)
والشكر أولى وأحرى في الشعوب به	من يطر العلم ممن يطر الذهب
قال النعامة قضى خير الكرام أبا	فقلت إن شاء ربى خيرهم عقب ^(٣)
لا يهدم الله بيتا أسسه شرف	مدت له يده من فضله طنبا

(١) الغلاة شعار يلبس تحت الثوب وتألفه : تكلف ألفته وداراه . (٢) الضعة المختار من كل شيء .

ج نخب . يقال ”جاء في نخب أصحابه“ أي في خيارهم . (٣) المقب : المولد .

كان صاحب المصاحف أحمد بن محمد بن علي بن حافظ إبراهيم الشاعر وفي شيخ المؤيد
 على يوسف ورسالة من أوروبا . ولكنه كان قاطنا هجاء كثير القلب يهجو الكلب
 والشمره ليحسبهم على مرضاته بالمال ثم يمدحهم ثم يهجوهم ... وما هو ذا يصفى شوق
 وشره الأبيات الآتية :
 وبطله في عدد ٢٣ نوفمبر سنة ١٩٠٢ من المصاحف الجديدة التي مظهرها :

شرف المصاحف الكبرى في مصر

في عدد ٢٤ أغسطس سنة ١٩٠٢ عاد إلى استدراج صاحب (المؤيد) وحافظ بمناسبة
 قضية الزوجية الشهيرة . ومن أمثلة هجوه القديم في كل يوسف ما كتبه في عدد ٢١ أغسطس
 سنة ١٩٠٢ أي بعد أسبوع من نشر أبيات شوق :
 " كان الشيخ بالأمس وطنيا أيام كان
 ونظامه رجلا . وطلعه بريدته . وطلعه جفته . فأيقن منها لما انتقل من الحصيد إلى السرير
 ومن القتل إلى الحريق . ومن القبر إلى الصدور . ومن ذات المروج . إلى ذات البروج
 ومن القبل إلى القلم . ومن حمل القلمة . إلى حمل الهامة . ومن احتذاء الديما . إلى محازاة
 العلى . من شرب القراح . إلى شطف الإصباح . ومن جمع الجريد . إلى سياسة كريد .
 ومن استنجد الحسين . إلى ذكر الصبح . "

من شاعر صالح

إلى

شيخ صالح

ماذا رجوت من الحفاوة عنده يا بائع القرآن بالإنجيل
 دع ملك (إدورد) وعلى بلاده يكفيك حسكره بوادي النيل
 خلقان فيك تخالفا وتباعدا حب الجميل وكفر كل جميل

عيد الخليفة

نشرت اللواء تحت عنوان (إخلاص المصريين للعرش الحميدى الأقدس . آيات الشعراء) قصيدة قالت إنها "لشاعر حكيم من أكبر شعراء العصر في مصر" دون ذكر اسمه . ويلاحظ أن معظم قصائد شوقي في الخليفة كانت دفاعا عن الخلافة والاسلام ضد التعصب الأوروبي الذى كان يحرص دول البلقان التابعة لتركيا على الثورة والانفصال ، وإنها كانت غفلا من الإمضاء . ولعل ذلك يرجع إلى أن شوقي كان شاعر السراى وكان قصر الدوايرة يعمل على الحط من شأن الخلافة التى يعتصم بها المصريون الأحرار كما كان يرى في كل تقرب الى السلطان مظهرا عدائيا له .

والقصيدة سلسلة جيدة النسيج . وحسبها هذا البيت :

وتحمل الملك والاسلام عن أمم شلاء لا تحفظ الأشياء أيديها

هذا البيت من وحي العبقرية . وهو من التمثيل الحسى الرائع . وقد يقول قائل إن الصورة قد كتلت عند قول الشاعر « شلاء » . ولا يزيد الصورة أو المعنى شيئا قوله بعد ذلك « لا تحفظ الأشياء أيديها » . ولكن روعة التمثيل الحسى هي في هذه الزيادة بالذات لأن الصورة لا تبدو في تمامها ونضجها إلا في هذا الوصف الجزئى الإضافى . وفى مثل هذا التمثيل تبدو عبقرية العرب . مثال ذلك قول الشاعر :

سلام على الدنيا إذا ما فقدتمو بنى بركم من رائحين وغادى

فلو وقف عند « بنى بركم » لم المعنى . ولكن قوله بعد ذلك « من رائحين وغادى » خلق لنا صورة حسية من صور الحياة الواسعة تنطق بهول الفاجعة التى تمثل في ناحية من المسرح الكونى . وإن من البيان لسحرا ولقد وفق الشاعر في قوة الأداء والتركيب واختيار اللفظ في قوله (من رائحين وغادى) . ولو قال ثرا أو شعرا من رائحين وغادين ، أو من رائح وغادى ، أو من رائح أو غادى ، أو من رائحين أو غادين لأنطمت الصورة كلها بنغمها وشبهاها وزهبت حلاوة ذلك الطلى والنشر .

ومن الإيجاز المعجز في التمثيل الحسى قوله تعالى : « وقودها الناس والحجارة » . كلمة « الحجارة » جزئية في الصورة قد يتم المعنى بدونها ولكنها توسع الصورة وتعمقها وتجسمها تجسيدا يقذف الرعب .

(قصيدة شوقي)

عش لخصلة رضاها وترضاها وتفتق السكة الكبرى وتحيا^(١)
وتنشر الأمن في بدو وفي حضر وتقل الأرض عمرانا وتحيا
وتحمل الملك والإسلام عن أم شلاء لا تحفظ الأشياء أيديها
هوى الأجانب أعماها وظلها صيان ساقطها فيه وعالها
تفرقت وتولت عنك فاحتكت للقوم فيها يد كالنار عاديها
إن أضحك الملاء المفتون حاضرها أبكى الأجنة في الأرحام آتيها
توهبوا القرى في ذل يراد بهم وشبهت لهم النماء تشبيها
لا يعيش في النبل إلا للذليل ولا حياة للنفس إن ماتت أمانها
أنقض البد من عز مؤمله وتحت رايتك الأساد ترجيها
إن أظمت الحرب كانوا اليد ظامئة أو أحرقت الحرب كانوا هم عواليها^(٢)
من كل قاز محابي له ثقة باقه لا تقصم البلوى أواخيها^(٣)
لا تصلح الخيل إلا بمنحه طربا ولا يرى الخيل إلا في نواصيها
يا كافي (البيت) لا تمزع الحادثة وثق بنفسك إن الله كافيا
ثاني الحوادث إلا أن تلاعبها ترميك بالحوادث الداجي وتردها
وأنت من فوقها رأيا ونجربة بالصبر في الصدمة الأولى تلاقيها
عطفت كل فؤاد فيه مرحلة وكل نفس مصير الدين يعنينا
لم يسبق للدين لا جيش ولا علم سنواك يوم تميد الأرض يوسينا
لا بارك الله في البلغار يوم بغت ويوم تخزى ولا في ملك مغربها^(٤)
شعب يحمر النصاري في مآربه وسيفه في يهود الأرض يفينا
كان صاحبه فرعون برهته موكلًا ببنى إسرائيل يؤذيها
تفرشيمة موسى من رعبته وأنت من كرم الإسلام تؤويها
حضارة يخذع الأغرار زخرفها وما زخارفها إلا مخازيها

(١) إشارة إلى مشروع سكة حديد الحجاز .
ولا عرى . لأنهم كاليه في احتمال الظلمة منها اشتد وكالغوالي يؤدون مهمتهم في الحرب وإن أضررتهم .
(٢) الأوراني جمع أخيه (فتح الحزمة وتشديد الهمزة) وهي العروة . (٤) قرر مؤتمر برلين في سنة ١٨٧٨
جعل بلغاريا إمارة مستقلة مرتبطة بتركيا . وكان السكان البلغار نحو مليونين ونصف والأتراك حوالي نصف مليون .
وكان البلغار لا يتون في السعي لتحرير الكاسل من كل تبعية عثمانية . وكانوا أبدا في تناوشات مستمرة مع الجيش التركي .



عبد الخليفة في الدنيا وساكنها
 تطوى السماء إلى (إدريس) زيتته
 ويزدهى الركن والبيت الحرام به
 كأنه النيل في ماضى مواسمه
 يحيه فيها ويحليه أخو كرم
 جار الخليفة لا يبنى به بدلا
 يا أمة المصطفى جلت حوائجكم
 لا تسمعوا المريب في خلافكم
 ما هذه الحرب في زى السلام لكم
 يقوم عنكم بها جيش ملائكة
 يؤذى كما كان يؤذى الصاحب غملا
 تكثرُوا ما استطعتم من ديونكم
 تلك الإعانة لأمين ولا كذب
 فمن يرض عن (طه) وفي يده
 ومن يلب في دنيا يشيدها
 قالوا الطريق إلى المختار نائية
 لكل شيء زمان ينقضى معه
 كأنى بسبيل البيت قد فتحت
 يمرى البخار إلى خير البطاح بهم
 ويبلغ البيت والقبر الذى دفنت
 مثوبة ودّها في عهده (عمر)
 لا ترقى عن محل الفخر آبتها

عيد الملائك في على مساريها
 أشعة بركات في لياليها
 والقدس والهند قاصيها ودانيها
 تعلية مصر وتطريه أهاليها
 في المسلمين أبى النفس عاليها
 إذا الرجال تخلت عن مواليها
 فقدموا الخير على الله يقضيها
 كفى الخلافة ما يأتى أعاديها
 إلا صابئة والكل صاليها
 موكل بتقوم الدين يحيا
 في طاعة الله والمختار يبغيها
 عند النبي فإن الله موفيا
 إعانة المصطفى ، جبريل جايها^(١)
 فضول مال فللشيطان ما فيها
 للمسلمين وفي أخرى يرجيها
 قلت الإمام بإذن الله مدنيها
 فودعوا التوق واطووا ذكر حاديها
 تطوى ويدنو لو قد الله قاصيها
 جرى الثواب حثيثا في نواحيها
 فيه المكارم خاليها وباقيها
 وودّ (عثمان) لو يحيا فينتها
 إلا إلى قلم في اللوح يحصيها

(١) فتح بمناسبة عيد الجلوس باب الإعانات لمساعدة الدولة العلية في تنفيذ مشروع سكة حديد الحجاز .

(١)
من قصيدة تهته

جعل للفؤاد شغلا	وانتم مهجتي وأغلى
أحلم في سواد عيني	تالله نسوتم المحلا
يا مالكين الفؤاد رقعا	يا مالكين العنان مهلا
رضيت إلا الصدود منكم	فعلوني في الحب إلا
أنا الذي ذلت في خواكم	ما ذاق قيس من حب ليل
أزيدكم ما استطعت حيا	ما زادني العاذلون هذا
يا أهل العين أي ذنب	صير حظي لديك كحلا
يا لين الأذن هل ألانوا	وشاية في الهوى وتغلا
يا فافر السطف لا لداع	من ذا أراك الفار سهلا
صبك ما يستفيق مشقا	وأنت ما تستفيق دلا
هلا حكيت الفصون ليلا	كما حكك الفصون شكلا
جئت في راحتيك روي	وذاك شيء في الحب قلا
وتجنون السلو مني	يا مالك الروح كيف تسلي
تماد في المهجر أو تمهل	لعل بعد الصدود وصلا
تكاد بشري رصاصك عندي	تعدل بشري القدم فعلا

(١) اكتضينا بالنزل وأسقطنا المديح . وقد نثر شاعرا في نظم هذه القصيدة بأبي نواس .

(مقتطفات من الشوقيات الجديدة)

يا رب لا غبطة ولا حسد ولا انتقاد فطست تنقذ
أرى ثراء أفاده قلم أخف منه في المسمع الوند
فهل أفاد البلاد فائدة أم اغنى بالجهالة البلاد

(ذكرى)

يا طير مالك لا تبيع لك الجوى نسيت أبحار خطرنا وفاق
مات (الجوى) والغرام فلا «الصبا» في العالمين صبا ولا «العشاق»



وصاحب عود به مازف يحركه عن هزار غرد
أنامه تلتقي في الفؤاد وريشته تبهرى للكبد



ياناي كيف عرفت أرباب الهوى وحكيهم فيه حكاية صادق
فكان صوتك أنه بعث الجوى وكأن غابك من ضلوع العاشق

و (١)

أمين بزرى

سالوا أمينا كيف يبكي الشاي في يده ويستبكي الملا بشجونه
فأجاب خلى لا عدست وداده أبكي على عيني بكل عيونه

(١) جاء في الجزء الأول من كتاب (الموسيقى الشرقية والغناء العربي) مؤلفه الأستاذ قسطندي رزق ص ١٢١ تحت عنوان (أمين البزري) ما يأتي : « كان من أغنياء البلد ومن هواة الناي الذي تعلمه من رجل إسلامبولي (مولوي) اسمه دادا وتفوق على أستاذه ولما قلب له الدهر ظهر الجبن اضطر إلى احتراف العزف في الأعراس والحفلات . وقد احترف عبده الجولي له بالمعزفة في العزف على الناي بدار الوجيه موسى بك عصمت نجل المرحوم جعفر باشا . وقد حضر عثمان الموصل الفنان المشهور إلى مصر خصيصا لسمعه وهو في حلوان ولما سمعه بمنزل عثمان باشا غالب الذي كان يحسن إلى الموسيقيين وبعد من محبي الغناء العربي ، بعد أن أبطأ وتوط الروح تيبها ودلالا ، دهش من مهارته التي أنسته ما حصل منه من تناقل وتباطؤ » .

حكم

في سنة ١٩٣٢ صدر لشوقي كتاب (أسواق الذهب) وهو اثر شعري أكثره يجمع وفي أواخر الكتاب فصل عنوانه (خواطر) يضم حوالى مائتى حكمة أو أكثر . بعض هذه الحكم قد كتب في المنفى وبعضها بعد العودة وتطور ثورة ١٩ من حركة وطنية شعبية إلى حركة حزبية تجمع بالأغراض والشهوات . لذلك كانت أروع حكمه هي الحكم التي أملتتها تجارب الثورة كقولها : « قادة الثورة مفودون بها كاللأميد تقدمت السبل تحسبها تقوده وهي به مندفعة . الثورة جنون طرفاه عقل . ألدغ من شئت إلا التارنج . مجد السياسة عرضة للأحداث وقد يهدم على أهله في الأحداث . الجماعات مطايا أهل المطاعم تُبَاهِمهم إلى منازل الشجرة . الطير لا تغرب أنفا فسد فضائه والحريّة تهرب من بلد اختل قضاؤه . الحق نبي قليل النج » ، والباطل مشعوز كثير الشج » .

وقد نظم شوقي أكثر هذه الحكم في شعره ورواياته في ألوان شتى . على أن بعض هذه الخواطر يرجع إلى عهد الشباب . فقد نشرت (المجلة المصرية) في يونية ويولية سنة ١٩٠٠ وفي يناير سنة ١٩٠١ (شذرات حكم . لتناظم التريّد . والنائر المجيد أحمد بك شوقي) وظهرت هذه الحكم ، منقولة بلا شك عن المجلة ، في الطبعة الثالثة من (جواهر الأدب) يونية سنة ١٩٠١ ، تحت عنوان (حكم وأمثال عصرية) . وقد اختار شوقي بعض هذه الحكم وأعاد نشرها في (خواطره) .

ونحن نورد هنا مثالا مما أثر تركه وقد ورد في (المجلة المصرية) عدد أول يولية سنة ١٩٠٠ « أمس خبر . واليوم عبر . وغدا قدر . يا بى الله وبذر . لا بغنى عن نفس حذر . ولا ينفعها خبز . يا أيها الزمر . عهد العبر . وأرداكم البطر . هل من أثر أو صالح يدخر . فما كان للدنيا فيسر . وحديث يدكر . وما كان للآخرة فمصمة في السفر . وسلام في الحضر . وأمان من سقر . إن للدنيا لخطرا . وإن منها لمن علم لوطرا . الجاهل مقبور في بدنه . راقب في كفته . غريب في وطنه . عالم ذو همة . يحى أمة » .

وقد نشر شوقي أيضا في جريدة (الظاهر) بين ٣ ديسمبر سنة ١٩٠٣ و ٢٢ مايو سنة ١٩٠٤ حوالى مائة حكمة أو أكثر يجمعها القارئ في الصفحات التالية . والعجيب أن شوقي لم يعد نشر حكمة واحدة من هذه الحكم في (خواطره) . وأظن الظن أنه نسبها أو لم تكن تحت يده شأنها شأن بقية قصائده المجهولة المنشورة في هذا الكتاب .

حكم من كلم شوقى بك

- إثنان من نعم الله عليك عدو تسفله كثيرا وصديق يشغلك كثيرا .
- إن كنت عصا فكن لنا وإن كنت سيفاً فكن قاطعاً .
- القلم كالمصباح نور في يد الكبير نار في يد الصغير .
- الإقدام والجلد إذا اجتمعا لرجل لم يقف له شيء في طريقه .
- السعادة في الدنيا لا كاملة ولا شاملة . سل أسعد الناس يحبك .
- بين الحلم والحذر وبين المداراة والرياء وبين التواضع والتدنى مسافة أرق من الصراط .
- فمن شاء وقع في الفضيلة ومن شاء وقع في الرذيلة .
- مودع المعروف عند الأشرار كمودع الحطب عند النار .
- من وثق بالله مشى على الماء .
- الأصل من كان لنفسه أصلاً لا من كان عالة على الأصول .
- العلم أرفع النسب والعمل أرفع الحساب .
- بعض الفضل كتور الكوكب يظهر من نفسه وهو الحقيقي . وبعضه كضوء السرج تظهره بنفسك وتجلبه بيدك وهو الفضل الكاذب .
- إثنان لا مال لهما الكريم والبخل إلا أن عرض الأول موفور .
- في النفس ألف داء وفي القرآن ألف دواء له ودواء .
- من أحسن إلى لئيم أساء إلى نفسه .
- جاء المناصب مبدد وجاء الفضل محدد .
- لا أدب في أمة يتساب أداؤها .
- مثل رجال الأعمال في المنافسة والمزاحمة كأصائل الخيل تجرى على أفراد ومتدعة .
- وهي أجرى إذا انبرت مجتمعة .
- إن كان ولا بد نخذ من شهواتك ولا تدعها تأخذ منك .

حفظ البخل من ماله حفظ اليسر من آماله وربما كان الأخير أسعد^(١).
صداقة اللئيم ندامة وبطلانه سلامة .

من حدث الناس عن نفسه بما يرضى تحدثوا عنه بما يكره .

(الظاهر) في ٩ ديسمبر سنة ١٩٠٢

نفس الظالم على كلف الظالم كلما بسطها إلى الله وكلما قبضها .
الحق يطلب بغيره بعضا فكيف إذا طلبه صاحبه .
العالم القصور كالعارض يتكسر بعضه على بعض . والعالم المتواضع كالغدير الصافي يمسك
بعضه بعضا .

لا تزال النفس تهزل حتى يحضرها الموت فتجده .
العمر سلعتان سامة الموت والساعة التي أنت فيها .
الوجوه مرايا أصدقها ما أخذ من قلبك . واليون مرايا أصدقها ما ترك من حبيب .
كن مع الله ثم كن كيف شئت منك مع كريم .
عامل الحق حامل الثعب كله .

إذا أصيبت أمة في الأخلاق أصيبت في أنفس الأعلام .
الشرف الرفيع تؤذيه ريبة كما يؤذى ضوء الشمس من غمامة .

(الظاهر) في ١٤ ديسمبر سنة ١٩٠٢

الدنيا حسناء تحب مقبلة ومعدية .
همة تهض بأمة . وعزيمة تفرج أزمة . وصوله تبني دولة . والعزائم تله العظام .
وبالإقدام تضع المسالك حدودها أي تناء .
لا جد لمن لا هزل له ، ولا هزل لمن لا جد له .
الموت داء النوع البشري ودواؤه .
تسعة أعشار الفضل في الاعتراف بفضل الغير .

(١) اليسر : القوم المجتهدون على اليسر . (٢) العارض السحاب الممطر في الأفق .

- من كثر أعداؤه كثر أعداؤه .
- جوهرة في الدماغ خير من ألف جوهرة في الجيب .
- ما اشتريت بمالك أغلى من عرضك .
- ثلاثة يمزون بالدنيا مرا : البخيل والجاهل والمجنون .
- كن من تُستقبح عليه النعمة ولا تكن من تُستقبح عليه النعمة .

(الظاهر) في ١٧ ديسمبر سنة ١٩٠٣

- النصيحة دين لا يؤدي مرتين .
- الرذيلة في الرجل بعض الشر . وهي في المرأة كله . والفضيلة في الرجل بعض الخير . وهي في المرأة الخير كله .
- قلب المرأة خلف عينيها . وعقلها بين جنبيها .
- الدنيا يوم ويوم . والناس قوم وقوم . فدار الأنام . ودر مع الأيام .
- لا تزال في الصغر حتى تعلم فتدخل في الكبر .
- كن ابن نفسك ثم كن ابن من شئت . واصنع المعروف بين الناس ثم اصنع ما شئت .
- الله أعين والناس السن فأين المقر .

(الظاهر) في ٢٣ ديسمبر سنة ١٩٠٣

- شهرة أخذت غصبا ترد عفا .
- الدنيا إذا اتسعت ضاقت . وإذا ضاقت اتسعت .
- الحياة مع الموت على الناس .
- الخواص حفظة الدنيا والعوام حفظة الدين .
- القاهر فوق نفسه قاهر فوق شياطين الأرض والسماء .
- على الأرض كما في السماء ملائكة هم الراحون والراحات .
- من أمن الدائرات أن تدور . والموت أن يزور . فليشمت بمن عاش ويلعن من مات .
- لا تجمع النفس بين الكبير والكبير^(١) .

(١) الكبير الشرف - الإثم الكبير .

- الناس في اتقاء اللئيم وخداع الكريم .
- لو دخل الجنة دينار لأخرج منها الأبرار .
- من حل عما حل ممّا .
- بطن الأرض أوسع من بطن حواء .
- أرحمُ الذكي وأخشنه فإن صدقته يعقل وعداوته يعقل .
- مثل الأمانى والأحلام كالأزهار ما تراكم عليك منها قتل .
- ليس بعد القلم واللوح أجل من القلم والطرس بين يدي حكيم .
- النفس الصغيرة مولعة بالصغائر .

(الظاهر) في ٢٩ ديسمبر سنة ١٩٠٢

- المرة مروءته .
- الدنيا بلب الآخرة فأنت الآخرة من بابها .
- علوم الدنيا شارحة لعلوم الدين .
- أمة تزدى مجلساتها أمة فاضلة .
- إذا ضحكت من الينيم ضحكت من العنابة . وإذا بكث من الينيم بكث من العناية .
- لكل حال حلوممر . فاشرب بكأسي الحياة حتى تمر .
- الله مستقم لا يحب المتقمين .
- ما أضياء زيت الحكمة في أوج من سُرج الشعر ^(١) .
- السعادة الحقيقية في احتقار السعادة الوهمية .
- ليس فوق الصحة نعمة ولا فوق المرض نقمة .
- العاقل حيث يعمل نفسه . والجاهل حيث يجعله نفسه .
- تكثر من الحساد بفضلك . ولا تكثر من الأعداء بجهلك .

(الظاهر) في ٣٠ ديسمبر سنة ١٩٠٢

- شر الإماء نفوس اللؤماء من ملك منها ملك .
- السعادة صديق يعرفك إذا أنكرتك السعادة .

- الناس في غبطة الملوك والملوك في حسد العلماء .
- المستنسل من عشق فجع ، والياصل من صدق فوق .
- كل الأمهات بقلوب إلا الدنيا .
- صديقك من ماهر ك فوق الرمس لا من ماهر ك ليلة أمس .
- يكتشف ألف كوكب في السماء قبل أن يكتشف حكيم فوق الأرض .
- العادل من ظلم نفسه في انصاف الغير .
- مثل أمة يضيع عالمها كريض يضيع طبيبه .
- البخيل حتى يرزأ من حيث يرزق .
- زكاة العلم العمل وزكاة الجاه النفع .
- صدوق لم يتيل الإنسان بشر منهما : نفسه ولسانه .
- الظالم لنفسه أظلم .
- الجاهل ميت الأحياء .
- شاهد الزور شر القتلة : يرى القاتل ويقتل البريء .

(الظاهر) في ٢٢ مايو سنة ١٩٠٤

النفس

النفس حرة إذا ملكك ، أمة إذا ملكك . النفس كالمرأة لا تُرَدُّ في حالين : إذا انصرفت عن هوى وإذا انصرفت إلى هوى . إذا كنت في أمر فكن على نفسك في صدوره تكن معك في عواقبه . هوى للنفس أغلب فدارها كما تدارى السفیه واعطها بمقدار ما تشتهيه . النفس حاكم مستبد إن لم تستطع خلعه فقيده بدستور من الاحتدال . من كرمت نفسه طيه هانت الدنيا في عينه . مالك نفسه المعتدل في الأمر كله . السفیه من بذل نفسه لا من بذل قيسه . ما عرف قط الندامة من عرف لنفسه الكرامة . النفس أضعف ما تكون قاهرة وأقوى ما تكون مقهورة .

كلمات مأثورة

ما أولع الناس بالناس ، يشغل أحدهم بشؤون أخيه . وفي أسر شانه ما يلهيه .

إثنان في التاريخيا وأخرى : الحاسد والحاقد .

بين السلم والخور جسر أدق من السراط .

ليس العلم وطن . ولا الحكمة دار . بل العاقل من له في كل أرض مدرسة وعلى كل

طريق آية .

لكل زمان كتاب . ولكل جيل آداب . ولكل كاتب قارئ . ولكل شاعر منشد .

والناس أخرج إلى أدب من غير أدب . منهم إلى أدب بنير أدب .

العاقل من رضى الدنيا حيلة . ولم يرضعها خيلة . لأنها كالمرأة تسكن إلى بعل .

ولا تصير على خل .

العقل أمان الملك . ولا عقل إلا حيث القضاء يدور دولا به . ويولاه أربابه . وتوثق

أسما به . فهو سريرة الحكومات التي تراهي إليها هي من استقامة أو عوج . وظلم أو عدل .

ومصلاح أو ساد . ولرفقاء أو المظالم . وأمان الممالك إذا سلم سلمت . وإذا تهتم

انهضت . وعنوان شعور الأمم وتعلقها ودرجتها في القوانين التي تضعها كل أمة وتتواصى

بالخضوع لها ليست إلا مجموعة تاريخها وأدائها وأخلاقها وعاداتها . ولأن القائمين عليه بهذه

القوانين ليسوا إلا أفرادا من أبنائها يبصرون بعينها . ويسمعون بأذانها . ويشعرون مثل

شعورها . ويعبدون مثل وجدانها . فإذا زكوا زكا سائر الأمة . وإذا حشوا حشنت

الأمة جمعا .

• • •

الأوهام داء الأمم . منذ القديم . لم تخل منها أمة خالية . ولن تخلو منها أمة آتية .

خلق الإنسان من ضعف فكان الوهم أول دين دان به وأول حكومة دان لها . وأول

شيطان سكن إليه . يستعمل الحسرات . ويخذل منها أمة يسجد لها ولا يزال آخر الدهر يتوجه

إليها بالتأليه والتقدس والتزيم . وإذا عبد الله كما تعبذونه أتم والنصارى واليهود كان الله الشطر

من تلك العبادة وللا وهام الشطر . فالمسيحي يبلى الحديد في كنيسة القديس بطرس بروما

استلاما وتقبلا . كما يضع المسلم خده في عتب الأضرحة بالقاهرة تمسحا وتأميلا . وتعظيما

وتجيلا . وكان في شبيه الدهر قوة الجبارة من البشر أمثاله . ويحكمهم في عرضة

ودمه وماله .

الوهم أول شيطان سكن إليه الانسان . تولد منه يقينه ونشأ عنه علمه . وجرت عليه
أموره . وأثني عليه حكمه . وتألف منه مألوف طاداته . يحس به ويشعر . ويسمع به ويبصر
ويحجز به ويقدر . وبه يعيش وعليه يموت .

* * *

الأوهام لا تخلو منها الأمم الكبيرة والشعوب الحية إلا أنها تقف حينئذ حيث العامة .
ولا تتجاوزها إلى الخاصة إلا ما ندر . كما أنها تملك الأمم الصغيرة والشعوب المنحطة فيكون
الخاصة منها مثل حظ اللة^(١) وهنا عظيم البلوى ومنتهى نكد الدنيا .

* * *

ليس من الوهم القاتل للأنفس . الميت القلوب . أن يصبح في أذهان خاصة المصريين
من أمراء وعظماء وأدباء وعلماء أنهم أمة ليس فيهم فلاح . ولا يرحى في أمرهم صلاح .
وأن اتقاقهم ساجع الجهات . ورايع المستحيلات . وأن الوطن ميت وأنهم ميتون . وما أشبه
فلك من الدعاوى الباطلة التي لا تنطبق على نواميس الوجود . ولا ترد إلى أحوال البشر
وحوادث التاريخ .

* * *

الأوهام هاء الأمم ومنية الشعوب . إذا تمكنت من قوم كانت كالفأس في الأساس .
وكالشار في الشعار . وكالحبل في الخناق . وكالعلقة في القلب . لا يخفق معها إلا إلى حين .
ومن تبالغ نكد الدنيا على الشرق الحاضر تبالغ هذا الداء فيه . حكوماته دواليب تدور بالأوهام
وبلداته مملوءة ما بين السماكين من الأوهام . وأمه تروح وتنفد حيث تجعلها الأوهام . نظر
الواحد منهم في الأمور عرضاً وبعين غيره . وحكمه فيها عن الهوى . وانقيادها في إرادها
وإصدارها بأزمة الأوهام .

* *

ليس مع السلوة عيش . ولا مع القنوط عمل . ولا مع اليأس حياة . وليس أجلب
للشر والضر من الدعوة إلى الریوض وتوهين العزائم . وإماتة القلوب . وإخراج النفوس
من الرجاء إلى اليأس الذي هو الموت في أشنع صوره وأقبح أحواله .

* * *

الأمم تموت . ولئن بدت عليها دلائل الموت في أزمنة الاضمحلال فما تلك إلا بؤسى
نزول . وحال سنجول . الأمة تصح ثم تعتل . تتجعد من حيث تبلى . وتقوم من حيث

(١) لم ترد اللة بمعنى المراء أو الدماء . جاء في القاموس : اللة الصاحب أو الأصحاب في السفر " لا تسافروا
حتى تعبوا الة " أى رقة . واللة المنزل الواحد والجمع قول " هو آدم لى " .

تسقط وتصبح بالطل . هذه اليابان هل كان في حضان أحد أن تضم صوتها يوما إلى أصوات
دول التسرب — مسألة من أكبر مسائل العصر — وتطمع مع الممالك الطامعة . وتسير
الجيوش في البر . وتخرج الأساطيل في البحر . وقد كانت ، وأنت في زمن الدراسة ، لا يذكر
اسمها إلا مقرونا باسم الصين . عنوان الحمجية . ومثال التوحش . والمشبه به إذا ذكر
التأخر والانعطاط .

* * *

الغضب يسمى صاحبه . ويضل رايه . يريه صدور الأمر ولا يريه عواقبه .
عرفت صنوف الفلسفة فلم أرك الفلسفة يأخذها المرء من نفسه . ثم من حيث التفت
قراى . وكما قيل له قسّم . من حديث المتكلم . إن صدقا وإن كذبا . وصموت الصامت .
إن بكامة ، وإن بكاء ، ونعيم النعم . ويؤس اليأس . ومشيئة المتكبر ، وهذيان المهوس^(٢) ،
وعريضة السكران ، ومن التمل في مشاغلها ، والتمل في معاملها ، والذر في مستناره ، والبرق
في مستطاره ، ومن الدهر في إقباله وإدباره ، والفلك في ليله ونهاره ، والبحر في مضطربه
وقراره ، ومن النفس إذا اعتلت ، وإذا صحت ، وإذا طمعت ، وإذا رغبت ، وإذا تسلت ،
وإذا جشأت ، وإذا اطمانت ، وإذا شكرت ، وإذا جمحت ، ومن الطباع إذا امتحنت ،
والسرار إذا بليت ، والأهواء إذا اختبرت . مدارس لا يفرغ اللبيب منها ، ودروس لا يصبر
الحكيم عنها .

* * *

عليكم بالإقدام فإنه مفتاح الفنى ، والطريق المختصر إلى العلياء ، والسلاح الأمضى
في معترك الأحياء . به سدت وعليه اعتمدت فيما أسست وشيدت . وإنه ليخرج أصحابه من
غمار العامة إلى عليا مراتب الملوك ، ومن هون الخمول إلى العز والسؤدد والذكر الجليل .

* * *

الذى يميز علماء هذه الأمة على غيرهم ، ويحوى بهم إلى الغايات ، ويكفل لهم السبق ،
ويجعلهم أسانذة وقتهم ، ومصابيح عصرهم . إنهم يطلبون العلم لذاته ثم لأنفسهم
ثم للأحاديث من بعدهم . وهذه الثلاثة ما قامت بنفس طالب علم رزق الحى والذكاء وفسحة
الأجل إلا نبغ في حياته ثم جلوز ذلك إلى رتبة الخلود بالذكر بعد مماته .

(١) البكم : الخرس . والبكامة : الامتناع عن الكلام تمعدا .

(٢) والمهوس كالمنطم : ذو الهوس . وفي الأساس الرجل الذى يحدث نفسه .

(٣) جشأت نفسه جشوا وجشأ : من شدة الفزع والغم : نهضت إليه وارتفعت وتارت القى . وجشأت
الأرض : انتبعت جميع نباتها وجشأت البلاد بأهلها قتلهم .

حظ النفس من الحرص . حظ المقاتل من السلاح ، إذا زاد عن حاجته اختل . وناه
بما حمل . وإذا قصر تفهقروا ونخل .

* *

لا تهافت على اللئيم فتهم في مروءتك ، ولا على الغني فتهم في عفتك ، ولا على الجاهل
فتهم في فطنتك .

* * *

لا تمطسوا الغواية أزمتمكم فتسلب منكم ذكاءكم ومهنتكم . دخل الرعاة بلادكم في شبيبة
الدهر فأفسدوا فيها وجعلوا أعزة أهلها أذلة . وكان آباؤكم على أخلاقهم القديمة . يأخذون
الفضيلة . ويندبون الرذيلة . صحاح العقول . صحاح النفوس . صحاح الأبدان . فاستجمعوا
في وقت السكون . ثم وثبوا في وقت الوثوب فاستردوا ملكهم بقوة . ويراد منكم أن تكونوا
في الأمن في دوع مضاعفة من الفضيلة . لا تأمنوا الدهر أن يأتي على عجل . يا حملة
السلاح لا تقتلكم في السلم الراح . يا حملة العلم . لا تغلبكم الجمر على الحلم .

* * *

انظر إلى هذه الجبال كيف قطعت . وإلى الآساس كيف وضعت . وإلى العمدة كيف
رفعت . وإلى الزخارف كيف جمعت . هل ترى في جميع ذلك إلا معرفة في العلم . ودراية
في الفن . ومهارة في الصناعة . وغير إحكام في الصنع . وإتقان في العلم . ورغبة في الثناء .
وهمة عالية في الأمر وذكاء فائق . وطاعة واجبة للحاكم على الرعايا . وعدالة مفروضة للرعايا
على الحاكم . وهذه يا بني أسس الآداب . ورؤوس الأخلاق . وقوى الحياة في الأمم وسر
نجاح الشعوب .

* * *

إن بيوت التجار لا تعمر - ولا يرفع لها عماد حتى تكون أوسع من صدر الحليم .
وأرحب من فناء الكريم . تحف بالثقلاء . ويدارى فيها السفهاء . ويعالج البخلاء . ويصبر
للاغبياء . ويتهاون على النظار . ويعمل فيها الكبراء .

تم الجزء الأول

موت الله رحمتك توفيقه قد تم طبع الجزء الأول
من "التقنيات الجديدة"

الجنّة الأولى

(1)

الصفحة	الموضوع
٤ - ٣	مقدمة
٥٧ - ٥	مقدمة
١٩٦ - ٥٩	القسم الأول (١٨٨٨ - ١٨٩٩)
٣١٩ - ١٩٧	القسم الثاني (١٩٠٠ - ١٩٠٣)

(1)

الفهرس المفصل (الشعر) - أول

صفحة	موضوع القصيدة	مطلعها	القافية	عدد الآيات	التاريخ
١٥	الصلاح	قد مثلوا في صورة مزوقة	منقصة — ق	١٣	١٨٩٣
٢٠	عيد الجلوس	عيد المسيح وعيد أحمد صاغا	تكفر — ر	٢	١٩٠٩
٥٠	رثاء أسما صيدناوى	ملك أعيد إلى دموع هجابه	به — ب	٤	١٩١٠
٦٢	الأمير شكيب	صحبته شكيبا برهة لم يفترها	كثير — ر	٤	١٨٩٣
٦٣	رواية على بك الكبير	بين السيوف والخناجر	الجمال — ل	٥	>
٦٧	> > >	ألا يا شمس يا حسنا	موال — ل	٢	>
٩٤	> > >	كربك بطير الجمال اعترت أركانها	بأمانه — ت	٣	>
٦٤	> > >	إن شئت تعرف طاقى فانظر إلى	الدار — ر	٢	>
٦٤	> > >	أين الحساب حساب بيت اليلك هل	نظرات — ت	٢٠	>
٦٦	> > >	إنما المبلغ الذى قلت عنه	القليل — ل	٥	>
٦٦	> > >	هو ذا مذهبي وهذا شعارى	شعنا — ر	٢	>
٦٦	> > >	إن الذى يرق الممالك الفنى	كبير — ر	٤	>
٦٦	> > >	تالله فتأ تزدى بمحمد	يعتدى — د	٤	>
٩٧	> > >	فداها نساء الأرض من مركبة	تدار — ر	٥	>
٩٨	تنشئة	في ذى الجفون صوامر الأقدار	البارى — ر	١٥	١٨٩٤
٧١	>	رضاكم بالعلاقة لي كغيل	ينيل — ل	١٨	>

(تابع) الفهرس المفصل (الشعر) - أول

صفحة	موضوع القصيدة	مطلبها	القافية	عدد الآيات	التاريخ
٧٢	تهنئة	سل الليل من أخلاقه هل جرت سدى	مضى - د	١٩	١٨٩٥
٧٤	هلال الصيام	يا هلال الصيام هل ...	الأفلاك - ك	١٣	>
٧٦-٧٧	وانما الأمم الأخلاق	صوت واستدركنى شئى الأدب	الطرب - ب	٢٦	>
٧٩	إن من الشعر لحكمة	زعم المقلم أنه	فلسفة - ف	٢	>
٨٠	تهنئة	ملك بأفق الرمل هل كريما	ليبيا - م	١٦	١٨٩٦
٨١	>	بات المعنى والدين يجل	منجل - ل	٢٤	>
٨٧	عيد الفطر	طوتك السحب باليمن	دندن - ن	١٧	١٨٩٧
٨٩	مدح	سلو الوعد بقى وراك	تراك - ك	١٢	١٨٩٨
٩٠	>	مضى وليس به حراك	رأك - ك	٨	١٨٩٠
٩١	>	يا قلب أحمد هل سلك	رماك - ك	١٩	١٩٠٤
٩٥	تشيد وطنى	يا مصر مماؤك جوهرة	عسجده - هـ	٧	١٩١٠
٩٩	مدح	الله فى الخلق من صبور من عانى	الجانى - ن	٣٩	١٨٩٤
١٠٣	>	لولا اللبال ما حلت القذى	نيسام - م	٥	>
١٠٣	تهنئة	خل الأمد لأمم سابق جار	جار - ر	٢٠	١٨٩٤
١٠٧	>	يود من الأيام ما لا تودّه	جده - د	١٧	١٨٩٦
١٠٩	وصف البال	يا ليلة البال ما خالوك راقصة	الحقب - ب	١٧	>
١١١	تهنئة	انما البنت وإن ضاها بها	عباده - د	١٠	١٨٩٧
١١٢	رواية عذراء الهند	رأيت الجنون جديا به	الحائده - د	٢	>
١١٢	> > >	أشيم يامن بحبه نعلو	نعل - ل	١٢	>
١١٣	> > >	أنا فى تطلابه وهو لى	عل - ي	٤	>
١١٣	> > >	ألا هل لى ببقاء يذان	شافى - ن	٤	>
١١٣	> > >	ماذا تريد بلى ما دى وإيمادى	عادى - د	٧	>
١١٩	> > >	يا ليلة ميمتها لى	مرت - ت	٦	حوالى ١٨٩٧
١٢١	حكاية السودان	تأمل فى الوجود وكن ليبيا	خطيبا - ب	٤٤	١٨٩٨
١٢٥	عيد الجلوس الحيدى	جلوسك أم سلام العالمينا	فينا - ن	٧٦	>
١٣١	رواية فتودة (أرجوزة)	فتودة رواية	آية - ي	١٠٥	>
١٤٢	فتيد	يا سادة وأسوا الفقير	بالمسن - ن	٦	١٨٩٩
١٤٢	>	أشرفت حلوان	محيا - هـ	٨	>
١٤٣	الاحفال بإقامة تمثال دلسبس	لا والقوام الذى والأعين الاتى	المشريات - ت	٣٩	>
١٤٨	تقديم التوقيات إلى السلطان عبد الحميد	سلام الله لا أرضى سلاى	المقام - م	٩	١٨٩٨
١٤٨	تقديم التوقيات إلى عباس	لى ابن محمد أهدي كتابى	الكريم - م	٧	١٨٩٨
١٤٩	رثاء أحمد بك النجلى	ما زلت أسكب دمع عيني بايكا	بعائد - هـ	٥	حوالى ١٨٩٧

(تابع) الفهرس المفصل (الشعر) - أول

صفحة	موضوع القصيدة	مطلعها	الفاية	عدد الآيات	التاريخ
١٤٩	رثاء عبد الرحمن رشدي باشا	يقولون رشدي مات قلت صدقتم	وآمالى - ل	١٠	١٨٩٥
١٤٩	على قبر مصطفى عاكف	في القبر أم في قوادى الواجف	عاكف - ف	٧	١٨٩٧
١٥٠	من رثاء سليم تقيلا	زاحمت على الطريق عقول	بضاعة - ع	٢	١٨٩٢
١٥٠	من قصيدة تهنته	زاحمت كل أمي جهل وزاحني	الظلمة - م	٢	١٨٩٦
١٥٠	من رثاء على حيدو باشا يكن	العزاء العزاء يا صفر الخير	النق - ي	٤	١٨٩٧
١٥٠	رثاء أمين فكرى باشا	يا أقرب الناس من أمين	للثمين - ن	٩	١٨٩٨
١٥١	إن من الشعر لحكمة	كم لنا من عجيبة	البسيطة - هـ	٩	حوالي ١٨٩٣
١٥١	» » »	من يرد حقه فلحق أنصار	كرام - م	٢	»
١٥١	» » »	غالب الأمر بالتوا كل غالب	المطالب - ب	٢	»
١٥١	» » »	أرى دنيا ولا دنيا	ناس - س	٢	»
١٥١	تهنته بشهر الصوم	تحبك صاحبي منا قلوب	الصميم - م	٣	١٨٩٦
١٥٢	» » »	لحظها لحظها رو يدا رو يدا	كيدا - د	١٣	١٨٩٣
١٥٤	البصر	والماء يمدح من كل الجهات بنا	قالأفقا - ق	٤	١٨٩٩
١٧٩	الصفور	ما هيح البصفور مثلك شاعرا	التاريخ - خ	٢	»
١٨٨	المنايات والمظلات	شمس النهار وأختها	مستظلة - ل	٤	»
١٩٧	تهنته بشهر الصوم	أفي هذا الشباب تمف نفس	العميم - م	٨	١٩٠٠
١٩٨	الرد على هانوتو	محمد ما أخلفتنا ما وعدتنا	ضهير - ر	٩	»
١٩٩	مدحة سنية	بدأ الطيف بالجميل وزارا	النار - ر	٤١	»
٢٠٣	خلق المرأة في الهند (أرجوزة)	أروى لكم خرافة	اللطافة - ف	٤٥	»
٢٠٦	سرقة الشعر	لا تسرق الشعر وأتركه لقائله	الناس - س	٢	»
٢٠٩	التواضع	كن في التواضع كالمداة	الكؤوس - س	٢	»
٢٠٦	تشبيب	هام العؤاد بشادن	المدي - د	٢	»
٢٠٦	بعضهم لبعض كالمرآة	رأيت قومي يذم بعض	الوجوه - هـ	١٠	»
٢٠٧	ما بعد الصين	لن المساكين كالمقابر	كفاير - ر	٦١	»
٢١٢	نشيد نوار اليوكسر	ليتنا كل معبود معين	المتفقين - ن	١٦	»
٢١٦	جمعية العروة الوثقى	يا مريضاً بالناسب (نشيد)	العصال - ل	١١	»
٢١٦	» » »	يا ربنا يا ذا المنن (نشيد)	الوطن - ن	١٤	»
٢١٨	» » »	يا أيها السائل ما الحرية (نشيد)	منية - ي	١٤	١٩٠٢
٢٢١	دولة السوء (أرجوزة)	تم لبعض الناس فيا قد سلف	فاحترق - ف	١١	١٩٠٠
٢٢١	غزل	تسكوا المحصور من الصدور تخاملا	الأرداف - ف	٢	»
٢٢١	»	أقول لقلبي والهوى يزحم الهوى	يلتقى - ق	٣	»
٢٢٢	ملح وآداب	أما وزهر الأنجم	المغرم - م	٥٤	»
٢٢٦	رواية دل و تيمان	أحوم على حسنكم ما أحوم	النجوم - م	١٢	١٨٩٩

(تابع) التمهيد المفصل (الشعر) - أول

صفحة	موضوع القصيدة	مطلعها	القافية	عدد الآيات	التاريخ
٢٢٧	رواية دل و تيمان	فيا طير يهتك طوبى الكرى	النسيم - م	٥	١٨٩٩
٢٢٨	» » »	ودهر تيم على حوى يملها	المهانى - ن	٣	»
٢٢٨	» » »	متماشقان من الزهور تبتيا	عجيب - ب	٣	»
٢٢٨	» » »	في زهرق ذا الورد من	صفات - ت	٨	»
٢٢٩	» » »	بسط لميسا ينادى السمع ناظره	محاجره - ر	١٠	»
٢٣٠	» » »	بأي جوابا فترقا السيف طمع	مقنع - ج	١٠	»
٢٣٠	» » »	الحرب لا بد منها	الأنام - م	٧	»
٢٣١	رثاء حبيب باشا مطران	رواية الموت فوق هام البباد	الآباد - د	٣٣	١٩٠٠
٢٣٥	قال يصف صاحبه	لى ساعة من معدن	مقنن - ن	٦	»
٢٣٥	الى داود عمون	طبت بأن الحطام انصرف	الشرف - ف	٩	»
٢٣٦	نشيد الجمعية الخيرية الإسلامية	أنا بنت البر أم الفقرا	للقاصدين - ن	١٠	»
٢٣٧	عيد الخلول	الأزليكة فيها دزة عجب	يفلها - هـ	١١	١٩٠١
٢٣٨	من تيم	لازم أغر يحلل الأنعام	هانئ - هـ	٤	»
٢٤٠	القائمة على وجه	أخضرت من الخلق	ديريت - ت	٦	»
٢٤٠	إن من الشعر لحكمة	لللؤلؤ زمان يصب من أحداه	إشفاق - ق	٤	»
٢٤٠	» » » »	كأنه بالحمام أجاب ركني	يبل - ل	٣	»
٢٤١	» » » »	شكوت لله من فسل وكثرة	مقننى - د	٤	»
٢٤١	كلام الآثانة	قالوا فروق الملك دار مخاوف	وسواس - س	٢	١٩٠١
٢٤١	» »	رأيت كلابا بدار السعادة	زيادة - د	٦	»
٢٤١	المنساب	يا أيها الرجل المنجاب صاحبه	تناساء - هـ	٣	»
٢٤٢	تقريظ ديوان حافظ	قالوا حبيب أنت تطرى شعره	حبيب - ب	٧	»
٢٤٣	وداع ودعاء	بين سمع الله والبصر	النفر - ر	٢٠	»
٢٤٤	الكهرباء	لبيد من ماذا ترى في الكهرباء	السماء - هـ	١٤	»
٢٤٥	رثاء بشارة تفللا	جل بالأمسين خطب جليل	قليل - ل	٢٠	»
٢٤٦	مسألة الأوصفة	قالوا فرنسا أغرت سلطانا	مهول - ل	٢	»
٢٤٧	تهنئة السلطان عبد الحميد	لك أن تلوم ولدى من الأعذار	الأقدار - ر	٣٣	»
٢٥٥	مرابي وما جنى	أهلا وسهلا بحاميا وفادها	مرابيا - هـ	٢٦	»
٢٥٧	حودة مرابي	بهار في القباب وفي الإياب	مرابي - ب	١٨	»
٢٥٩	تحية الأمير	مقلد من يفتيك عمون حاليا	خاليا - ي	٢٩	»
٢٦١	طوفان الغرب	تناصر في الأمور تفلن قصدا	اضطرار - ر	٥	»
٢٦١	الوطن	زعموا اللؤلؤ من طول النوى	الاصفرار - ر	٥	»
٢٦٢	مرابي أمام تلى النل الكبير	مرابي كيف أوفيك الملاما	الأناما - م	٩٤	١٩٠٢
٢٦٧	أذن النظام	كان في الروم عظيم	إليه - هـ	٦	»

(تابع) الفهرس المفصل (الشعر) — أول

صفحة	موضوع القصيدة	مطلعها	القافية	عدد الآيات	التاريخ
٢٦٧	الشيء بالشيء يذكر	دام (ديريت) غانما	مخاربه — ب	٣	١٩٠٢
٢٦٩	ميلاد ول المهد	يا كريم المهد يا ابن الأكرمين	للبنين — ن	٨	»
٢٧٠	الترشيح للانتخابات	عندى لكم مشخپ	اندبوا — ب	١٥	»
٢٧١	فلسفة القوة	لما سمعت بنقطة	هوة — هـ	٦٠	»
٢٨٢	السيد البدوي	لما رأيت جباه قوم في الثرى	الأعتاب — ب	٦	»
٢٨٢	أسمى التهانى	حيبك من تحب ومن تهل	أهل — ل	٢٠	»
٢٨٣	عام الكف	رفة الكف فوق خلدك أسمى	الأوتار — ر	٢	»
٢٨٣	» »	ورث الحلم عن نخل كريم	عادة — د	٢	»
٢٨٣	» »	أحمد فرغت حقيقتك التي	حكيم — م	٢	»
٢٨٣	» »	لقد نقل الراورن عني حكاية	وأشاما — م	٣	»
٢٨٣	» »	لا تدخل الخانات يستهترا	يطوف — ف	٢	»
٢٨٤	» »	رأيت امرأ ذاق الكفوف ولم يبل	حداه — د	٢	»
٢٨٤	» »	في كل ليل أنسى	أراك — ك	٢	»
٢٨٥	» »	مجبوا من المصفوع كيف تجمت	واحد — د	٣	»
٢٨٦	» »	يا عدو الله والرسل	انظيفة — ف	٢	»
٢٨٦	» »	يا بأذلا وجنتيه	كأنهم — م	٢	»
٢٨٦	» »	أرقصوه بقولم فيلسوف	الكفوف — ف	٤	»
٢٨٦	» »	ما هذه الكف التي قد كفت	الراحة — ح	٣	»
٢٨٧	» »	لك خد كأنه قطعة الجلود	استغفه — ف	٢	»
٢٨٧	» »	قل للأولى جعلوا القربض وسيلة	المصباح — ح	٢	»
٢٨٧	» »	كتاب مصراثنان في آرائنا	المعصية — ع	٢	»
٢٨٧	» »	قد صفعتك صفعة	أثر — ر	٢٠	»
٢٨٨	» »	قالوا نرى شعراكم	قفاه — هـ	٣	»
٢٨٨	» »	إذا ثار يوما عليك العدا	والخاقد — د	٢	»
٢٨٨	» »	أنا واقف أصليح للخازي	نهب — هـ	٢٠	»
٢٨٨	» »	لا تعجبوا لكويتب صفعت	نثأت — ت	٢	»
٢٨٨	» »	يقول صافئك الفتان إذ جعت	لتفاح — ح	٢	»
٢٨٩	» »	رأى وجهه بارذا جامدا	الحلم — م	٢	»
٢٨٩	» »	راك تحب البسج حتى ظفه	الطبع — ع	٢	»
٢٨٩	» »	رأى فنيك الذي رآه	بالمنع — ع	٢	»
٢٨٩	» »	لقد صفعوه صفعة جل شأنها	علاجها — ج	٢	»
٢٨٩	» »	هي صفعة سر الصحافة ورفقتها	وبدع — ع	٣	»
٢٨٩	» »	هي صفعة لهج الأنام يذكرها	لم يعلم — م	٣	»

(تابع) الفهرس المفصل (الشعر) - أول

الصفحة	موضوع القصيدة	مطلعها	القافية	عدد الآيات	التاريخ
٢٩٠	عام الكف	قد كنت لا شيء في الأنام لكني	عدلا - ل	٢	١٩٠٢
٢٩٠	» »	توليت الصحافة فاستكانت	وسوما - م	٢	»
٢٩٠	» »	يرى كاتب المصباح في الصفح لذة	قفعا - ع	٢	»
٢٩٠	» »	لي سؤال يا أهل مصر فردوا	مفيد - د	٢	»
٢٩٠	» »	بين أهل الصعيد شاع حديث	صفوه - و	٢	»
٢٩٠	» »	أحمد لا تحسبن الصفح	إليه - ي	٢	»
٢٩٠	» »	ولقد ظننتك يا محمد في	فهنا - م	٢	»
٢٩١	» »	رأى خذك الفنان أشبهى من الخي	مولع - ع	٢	»
٢٩١	» »	سموه عام الكف وهو الذي	كفى - ف	٢	»
٢٩١	» »	رأيت حمادات الهوى ونياته	أديم - م	٢	»
٢٩١	» »	صرت أرحوب أن تكون المرجى	مدحا - ح	٢	»
٢٩١	» »	مفقتا روحه بيد المساني	جحلا - ل	٢	»
٢٩٣	عهد الخلوص	جفتنا بالشعور والإحداق	العشاق - ق	٩	١٩٠٣
٢٩٤	احتفال الخزان	أعياد عزك للدينا مجالها	غالبا - ي	٥٢	١٩٠٢
٣٠٠	تحية لعفيف عظيم	مرحبا بالفتى العظيم الشأن	الأمان - ن	٢٠	١٩٠٣
٣٠٢	وداع	تنقل أبها القمر المنير	والمسير - ر	١٢	»
٣٠٣	رثاء على باشا رفاعة	فيم أفسامك للدينا رغابتها	متحبا - ب	٢١	»
٣٠٤	من شاعر صالح إلى شيخ صالح	ماذا رجوت من الخفاوة عنده	بالانجيل - ل	٣	»
٣٠٥	عيد الخليفة	عش للخلافة ترضاه وترضها	ومحبها - ي	٤٤	»
٣٠٨	تهنئة	جعلتم للفؤاد شغلا	وأعلى - ل	١٥	»
٣٠٩	نراء قلم	يا رب لا غبطة ولا حسد	تتقد - د	٣	»
٣٠٩	ذكرى	يا طير ما لك لا تهيج لك الجوى	رفاق - ق	٢	»
٣٠٩	عازف	وصاحب غوده عازف	غرد - د	٢	»
٣٠٩	النباى	يا ناي كيف عرفت أرباب الهوى	صادق - ق	٢	»
٣٠٩	أمين بزرى	سألو أamina كيف يبكي الناي في	بشجونه - ن	٢	»

(٣)

الفهرس المفصل (النثر) - أول

الصفحة	موضوع المقالة	التاريخ
١٤١ - ١٣٩	شذرة أدبية في حلوان	١٨٩٨
١٩٦ - ١٥٤	بضعة أيام في عاصمة الإسلام (٢٢ مقالة)	١٨٩٩
٢٧٦ - ٢٧٥	الكاظمى	١٩٠٢
٣١٩ - ٣١٠	حكم	١٩٠٠ - ١٩٠٤